أدونيس

ديوان النثر العربي

الجزء الثالث



بدايات

أدونيس

ديوان النثر العربي

(الجزء الثالث)

(النثر الصوفي I)

الطبعة الأولى 2012

دار بدايات

سوريا . جبلة . مجمّع الروضة التجاري

هاتف: 807826 - 41- 00963

دمشق، ص. ب : 30833

البريد الإلكتروني

bidayat2007@yahoo.es

أدونيس

ديوان النثر العربي

(الجزء الثالث)

(النثر الصوفي I)

بدايات 2012

أويس القرني*

– مكانك يرحمك الله حتى أدخلَ مكَّة فآتيك بنفقةٍ من عطائي، وفضل كسوةٍ من ثيابي، هذا المكان ميعادٌ بيني وبينك**.

– يا أمير المؤمنين*** لا ميعاد بيني وبينك. لا أراك بعد اليوم تعرفني. ما أصنع بالنفقة؟ ما أصنعُ بالكسوة؟ أما ترى عليّ إزاراً من صوف، ورداءً من صوف، متى تراني أخرقهما. أما ترى أنَّ نعليَّ مخصوفتان متى تراني أبليهما؟ أما تراني إني قد أخذتُ من رعايتي أربعة دراهم متى تراني آكلها؟ يا أمير المؤمنين إنَّ بين يدي ويديك عقبةً كؤوداً لا يجاوزها إلا ضامرٌ مخفٌّ مهزول، فأخفَّ يرحمك الله.

– ألا ليتَ أم عمر لم تلده****. يا ليتها كانت عاقراً لم تعالج حملها، ألا من يأخذها بما فيها ولها؟

– يا أمير المؤمنين خذْ أنت ها هنا، حتى آخذ أنا ها هنا.

*

---

* أويس القرني (مات سنة 37 هـ)، من سادات التابعين، أصله من اليمن، يسكن القفار والرمال، شهد وقعة صفّين مع عليّ وقُتل فيها.

** الخليفة عمر بن الخطاب يُخاطب أويساً القُرني وقد التقى به على أطراف مكة وكان النبي مُحمّد قد تنبأ لـ «عُمر» بهذا اللقاء.

*** أويس القُرني مخاطباً الخليفة عمر.

**** لما سمع عمر كلامه ضرب بدرعه الأرض ثم نادى بأعلى صوته ما هو مذكور أعلاه.

- كيف أصبحتَ؟*

- أصبحتُ أحمدُ الله.

-كيفَ الزَّمانُ عليك؟

- كيف الزَّمانُ على رُجلٍ إن أصبح ظنَّ أن لا يمسي، وإن أمسى ظنَّ أن لا يصبح، فمُبشّرٌ بالجَّنة، أو مبشّرٌ بالنَّار. يا أخا مراد إنَّ الموت وذكره لم يدعْ لمؤمنٍ فرحاً، وإنَّ علمه بحقوق الله لم يترك له في ماله فضّةً ولا ذهباً، وإنَّ قيامه بالحقّ لم يترك له صديقاً.

*

اللهمَّ مَنْ ماتَ جوعاً لا تؤاخذني به،

ومَنْ مات عرياناً لا تؤاخذني به.

*

كان أويس رضي الله عنه تعالى يلتقطُ الكِسر من المزابل فيغسلها، ويأكلُ بعضها ويقول: اللهمَّ إنّي أبرأ إليك من كُلِّ كبدٍ جائع.

*

روي أنَّ أويساً القرنيَّ رضي الله تعالى عنه كان يقتاتُ من المزابل ويكتسي منها. فنبحه يوماً كلبٌ على مزبلة، فقال له أويس: كُلْ مما يليك وأنا آكل مما يليني ولا تنبحني، فإن جزتُ على الصراط فأنا خيرٌ منك، وإلا فأنتَ خيرٌ مني.

*

* رجل يسأل أويساً القرني.

سفيان الثوري*

رضى الناس غاية لا تُدرك، وطلب الدنيا غاية لا تُدرك.

*

ازهد في الدنيا، ونمْ.

*

احذر حب المنزلة فإن الزهادة فيها أشد من الزهادة في الدنيا.**

*

إذا رأيتَ عالماً يلوذ بباب سُلْطانٍ فاعلم أنه لص.

*

لو خُيِّرتُ بين ذهاب بصري وبين أن أملأ بصري منهم لاخترت ذهاب بصري!

*

ما أحسن تذلّل الأغنياء عند الفقراء، وما أقبح تذلّل الفقراء عند الأغنياء.

*

ثلاثة من الصبر: لا تحدّث بمصيبتك، ولا بوجعك، ولا تُزَكِّ نفسك.

*

---

* سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (97 هـ . 161 هـ) من بني ثور بن عبد مناة، من مضر. كان مشهوراً بالزهد والتقوى.

** من كتاب إلى أخ له.

إذا زهد العبد في الدنيا أنبت الله الحكمة في قلبه، وأطلق بها لسانه، وبَصّرهُ عيوب الدنيا داءها ودواءها.

*

إني لأفرح إذا جاء الليل، ليس إلا لأستريح من رؤية الناس.

*

إذا عرفت نفسك، فلا يضرك ما قيل فيك.

*

وجدنا أصل كل عداوة اصطناع المعروف إلى اللئام.

*

إذا رأيت الرجل حريصاً على أن يُؤتمَّ، فأخِّره.

*

لا تتكلم بلسانك ما تكسر به أسنانك.

*

إذا مشيتم إلى الطمع فامشوا رويداً.

*

لا يحرز المؤمن إلا قبره.

*

سفيان بن عيينة*

من زِيدَ في عقلِهِ نقصَ من رزقه.

*

الزّهد في الدنيا، الصبرُ وارتقاب الموت.

*

ليس من حبِّ الدنيا طلبك منها ما لا بدّ منه.

*

أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر.

*

إنما سُموا المتقين لأنهم اتّقوا ما لا يُتقى.

*

لم يعرفوا حتى يحبّوا أن لا يعرفوا.

*

* سفيان بن عيينة بن مأمون الهلالي الكوفي (107 هـ - 198 هـ) من الموالي، كان معروفاً بزهده.

رابعة العدويّة*

والله ما أعرف لِعلّتي سبباً: عُرضتْ عليَّ الجنّة، فملتُ بقلبي إليها، فأحسبُ أنّ مولاي غار عليَّ، فعاتبني فله العُتْبى.

*

إنَي لأستحي أن أسأل الدّنيا من يملكها، فكيف أسألها من لا يملكها؟

*

لو كانت الدّنيا لرجلٍ ما كان بها غنيّاً، لأنها تفنى.

*

استغفارنا يحتاجُ إلى استغفار، لعدم الصّدق فيه.

*

كم من شهوةٍ ذهبتْ لذّتها، وبقيتْ تَبعتُها.

يا ربّ، أما كان لك عقوبةٌ ولا أدبٌ غير النار؟

*

- من أين أتيتِ؟
- من العالم الآخر.
- وإلى أين تذهبين؟
- إلى العالم الآخر.
- وماذا تفعلين في هذه الدنيا؟

---

* ماتت سنة 135 هـ.

- أعبث بها.

- وكيف تعبثين بها؟

- آكل من خبزها وأعمل عملَ الآخرة.

- أتحبيّن الله تعالى؟

- أوه، نعم، أحبّه حقّاً.

- وهل تكرهين الشيطان؟

- إنّ حبيّ لله قد منعني من الاشتغال بكراهية الشيطان.

- أترين من تعبدينه؟

- لو كنتُ أراه، لما عبدته.

*

حيّونة المتصوّفة*

يا واحدي! تمنعني بالليل التلاوة، ثم تقطعني عنكَ بكَ في ضياء النهار؟
إلهي، وددتُ أنّ النّهار ليلٌ حتى أتمتّع بقربكَ.
... قد لامني خلقكَ في خدمتك. فوَ عزّتك وجلالك، لأخدمنّك حتى لا يبقى لي عصبٌ ولا قصب.

*

من أحبَّ الله أَنِسَ، ومن أَنِسَ طَرِب، ومن طربَ اشتاق، ومن اشتاقَ وَلِهَ، ومن وَلِهَ وصلَ، ومن وصل اتّصل، ومن اتّصل عرفَ، ومن عرف قَرُبَ، ومن قَرُبَ لم يرقد.

*

* كانت صديقة لرابعة العدويّة ومعاصرة لها.

حبيب العجمي*

أريد سفراً ما سافرته قط!

أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط!

أريد أن أزور سيداً ومولى ما رأيته قط!

أريد أن أشرف على أهوال ما شاهدت مثلها قط!

أريد أن أدخل تحت التراب، وأبقى تحته إلى يوم القيامة، ثم أقف بين يدي الله تعالى، وأخاف أن يقول لي: يا حبيب، هات تسبيحة واحدة، سبحتني في ستين سنة، لم يظفر الشيطان منها بشيء فماذا أقول؟! وليس لي حيلة؟! أقول: يا رب! هو ذا قد أتيتك مقبوض اليدين إلى عنقي!

*

---

* مات سنة 119 هـ.

الفضيل بن عياض*

لا تكمل مروءة الرجل حتى يسلم منه عدوه. كيف والآن لا يسلم منه صديقه.

*

احفظْ لسانك وأقبلْ على شأنك. واعرف زمانك، وأخفِ مكانك.

*

كان يُقال: كن شاهداً لغائب ولا تكن غائباً لشاهد.

*

جُعل الشرُّ كلّه في بيت، وجُعل مفتاحه حبُّ الدنيا،
وجُعل الخير كلّه في بيت، وجُعل مفتاحه الزّهدُ في الدنيا.

*

في آخر الزمان أَقْوامٌ، يكونونَ إخوان العَلاَنية، أَعداءَ السَّريرة.

*

من عَرَفَ الناس، استراح.

*

إنـي لا أَعْتَقِدِ إخاءَ الرجل في الرِّضا، ولكنّي أعتقد إِخاءَه في الغضب، إذا أغضبتُه.

*

أَشْتَهي مَرَضاً بلا عُوَّاد.

*

---

* أصله خراساني من ناحية «مرو» مات سنة 187 هـ.

من كَفَّ شرَّه فما ضَيّع ما سرّه.

*

خير العمل أخفاه. وأمْنَعُه من الشيطان أَبْعَدُه من الرِّياء.

*

من شكْرِ النعمة أن تُحَدِّثَ بها.

*

أبى اللهُ إلا أن يجعل أرزاق المتقين، من حيث لا يحتسبون.

*

لا عمل لمن لا نيّة له، ولا أَجْرَ لمن لا حِسْبَةَ له.

*

طُوبَى لمن استوحش من الناس، وآنس بربّه، وبكى على خطيئته.

*

مكثتُ في جامع الكوفة ثلاثةَ أيام لم أطعَمْ طعاماً ولم أشربْ شراباً. في اليوم الرابع هزلني الجوع. فبينما أنا جالس إذ دخل عليَّ من باب المسجد رجلٌ مجنون وبيده حجَرٌ كبير، وفي عُنقه غُلٌّ ثقيل، والصبيانُ من ورائه. فجعل يجولُ في المسجد، حتى إذا حاذاني جعل يتفرَّسُ فيَّ فجزعت على نفسي منه، فقلت: إلهي وسيدي أجعتَني وسلَّطتَ عليَّ مَنْ يقتلني؟

فالتفتَ إليَّ وقال:

مَحلُّ نيات الصبرِ فيك عزيزةٌ فيا ليتَ شعري هل لصبرك آخِرُ

فزال عني جزَعي، وطار عني هلَعي.

وقلت: يا سيدي، لولا الرجاء لم أصبر.

قال: فأين مستقرُّ الرجاء منك ؟

قلت: بحيث مستقرُّ همم العارفين.

قـال: أحسـنتَ والله يـا فُضـيل. إنهـا لقلـوبٌ الهمـومُ عمرانُهـا والأحـزانُ أوطانـها، عرفَتْهُ فاستأنستْ به وارتحلتْ إليه، فعقولـهم صـحيحة وقلوبـهم ثابتـة وأرواحهم بالملكوت الأعلى معلَّقة. ثم ولَّى وأنشأ يقول:

فهـامَ ولـيُّ اللهِ فـي القفْرِ سـائحاً وحطَّـتْ علـى سَيْرِ القـدوم رواحِلُـهْ

فعاد بخير قد جرى فى ضميره تــذوب بـــه أحشـــاؤه ومفاصــلُهْ.

فوالله، لقد بَقِيتُ عشرةَ أيام لم أطعَمْ طعاماً ولم أشرب شراباً وَجْداً بكلامه. فطوبى لمن استوحش من الخلق، وأنِسَ بالحقّ.

*

ذو النون المصري*

اللهم اجعلنا من الذين جازوا ديار الظالمين، واستوحشوا من مؤانسة الجاهلين، وشابوا ثمرة العمل بنور الإخلاص، واستقوا من عين الحكمة، وركبوا سفينة الفطنة، وأقلعوا بريح اليقين، ولجوا في بحر النجاة، ورسوا بشط الإخلاص.

اللهم اجعلنا من الذين سرحت أرواحهم في العلا، وحطت همم قلوبهم في عاريات التقى حتى أناخوا في رياض النعيم. واستظلوا تحت العرش في الكرامة. اللهم اجعلنا من الذين فتحوا باب الصبر وردموا خنادق الجزع، وجازوا شديد العقاب، وعبروا جسر الهوى.

اللهم اجعلنا من الذين أشارت إليهم أعلام الهداية، ووضحت لهم طريق النجاة، وسلكوا سبيل إخلاص اليقين.

*

إلهي وسيلتي إليك نعمك علي، وشفيعي إليك إحسانك إليَّ. إلهي أدعوك في الملأ كما تدعى الأرباب، وأدعوك في الخلا كما تدعى الأحباب. أقول في الملأ يا إلهي، وأقول في الخلا يا حبيبي، أرغب إليك وأشهد لك بالربوبية مقراً بأنك ربي، وإليك مردي. ابتدأتني برحمتك من قبل أن أكون شيئاً مذكوراً، وخلقتني من تراب ثم أسكنتني الأصلاب ونقلتني إلى الأرحام.

---

* ثوبان بن ابراهيم الإخميني المصري (مات سنة 245 هـ)، أحد الزهّاد العبّاد المشهورين، من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي.اتهمه المتوكّل العبّاسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه، ثم أطلقه، فعاد إلى مصر وتوفي بجيزتها.

(...) وربيتني بأحسن تربية، ودبرتني بأحسن تدبير، وكلأتني من طوارق الجن، وسلمتني من شياطين الإنس، وصنتني من زيادة في بدني تشينني، ومن نقص فيه يعيبني. فتباركت ربي وتعاليت يا رحيم فلما استهللت بالكلام أتممت علي سوابغ الأنعام، وأنبتني زائداً في كل عام، فتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، وحتى إذا ملّكتني شأني، وشددت أركاني أكملت لي عقلي، ورفعتَ حجاب الغفلة عن قلبي وألهمتني النظر في عجيب صنائعك، وبدائع عجائبك وأوضحت لي حجتك ودللتني على نفسك وعرفتني ما جاءت به رسلك، ورزقتني من أنواع المعاش وصنوف الرياش بمنك العظيم، وإحسانك القديم، وجعلتني سوياً ثم لم ترض لي بنعمة واحدة دون أن أتممت علي جميع النعم، وصرفت عني كل بلوى، وأعلمتني الفجور لأجتنبه، والتقوى لأقترفها، وأرشدتني إلى ما يقربني إليك زلفى، فإن دعوتك أجبتني، وإن سألتك أعطيتني، وإن حمدتك شكرتني، وإن شكرتك زودتني.

إلهي فأي نِعَمِكَ أحصي عدداً؟ وأي عطائك أقوم بشكره؟ أما أسبغت علي من النعماء أو صرفت عني من الضراء.

إلهي أشهد لك بما شهد لك باطني وظاهري وأركاني.

إلهي إني لا أطيق إحصاء نعمك فكيف أطيق شكرك عليها؟ أم كيف يستغرق شكري نعمك وشكرك من أعظم النعم عندي وأنت المنعم به علي. إلهي وسيدي بلغت رسلك بما أنزلت إليهم من وحيك غير أني أقول بجهدي ومنتهى علمي ومجهود وسعي ومبلغ طاقتي: الحمد لله على جميع إحسانه حمداً يعدل حمد الملائكة المقربين، والأنبياء والمرسلين.

اللهم إليك تقصد رغبتي، وإياك أسأل حاجتي ومنك أرجو نجاح طلبي، وبيدك مفاتيح مسألتي. لا أسأل الخير إلا منك ولا أرجوه من غيرك ولا أيأس من رَوْحِكَ بعد معرفتي بفضلك.

*

خرجت في طلب المناجاة، وإذا أنا بصوت فعدلت إليه. فإذا أنا برجل قد غاص في بحر الوله، وهو يقول في دعائه: أنت تعلم أني لأعلم أن الاستغفار مع الإصرار لؤم، وأن تركي الاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك لعجز. إلهي أنت الذي خصصت خصائصك بخالص الإخلاص، وأنت الذي سلمت قلوب العارفين من اعتراض الوسواس، وأنت آنست الآنسين من أوليائك، وأعطيتهم كفاية رعاية المتوكلين عليك، تكلؤهم في مضاجعهم، وتطلع على سرائرهم، وسري عندك مكشوف، وأنا إليك ملهوف. قال: ثم سكنت صرخته، فلم أسمع له صوتاً.

*

تنال المعرفة بثلاث:

بالنظر في الأمور كيف دبرها،

وفي المقادير كيف قدرها،

وفي الخلائق كيف خلقها.

*

يقدر المقدرون، والقضاء يضحك.

*

بينا أنا أسير في جبال أنطاكية، وإذا أنا بجارية كأنها مجنونة وعليها جُبَّةٌ من صوف. فسلمت عليها فردت السلام، ثم قالت: ألست ذا النون المصري؟

قلت: عافاك الله كيف عرفتني؟

قالت: فتق الحبيب بيني وبين قلبك، فعرفتك باتصال معرفة حب الحبيب.

*

بينا أنا في بعض مسيري إذ لقيتني امرأة، فقالت لي: من أين أنت؟

قلت: رجل غريب.

فقالت لي: ويحك هل يوجد مع الله أحزان الغربة؟ وهو مؤنس الغرباء ومعين الضعفاء؟

قال: فبكيت.

فقالت لي: ما يبكيك؟

قلت: وقع الدواء على داء قد قرح فأسرع لي نجاحه.

قالت: فإن كنت صادقاً فلم بكيت؟

قلت: والصادق لا يبكي؟

قالت: لا!

قلت: ولم؟

قالت: لأن البكاء راحة للقلب، وملجأ يلجأ إليه، وما كتم القلب شيئاً أحق من الشهيق والزفير، فإذا أسبلت الدمعة استراح القلب، وهذا ضعف الأطباء بإبطال الداء.

قال: فبقيت متعجباً من كلامها.

فقالت لي: ما لك؟

قلت: تعجبت من هذا الكلام.

(...) ثم أخذت في البكاء والزفير والشهيق وهي تقول: سيدي إلى كم تخلفني في دار لا أجد فيها أحداً يسعفني على البكاء، أيام حياتي. ثم تركتني ومضت.

*

كم من مطيع مستأنس، وكم عاص مستوحش، وكم محب ذليل، وكل راج طالب.

*

ثلاثة من أعلام المحبة: الرضا في المكروه، وحسن الظن في المجهول، والتحسين في الاختيار في المحذور.

وثلاثة من أعلام الصواب: الأنس به في جميع الأحوال، والسكون إليه في جميع الأعمال، وحب الموت بغلبة الشوق وجميع الأشغال.

وثلاثة من أعمال اليقين: النظر إلى الله تعالى في كل شيء، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كل حال.

وثلاثة من أعمال الثقة بالله: السخاء بالموجود، وترك الطلب للمفقود، والاستنابة إلى فضل الموجود.

وثلاثة من أعمال الشكر: المقاربة من الإخوان في النعمة، واستغنام قضاء الحوائج قبل العطية، واستقلال الشكر لملاحظة المنة.

وثلاثة من أعلام الرضى. ترك الاختيار قبل القضاء، وفقدان المرارة بعد القضاء، وهيجان الحب في حشو البلاء.

وثلاثة من أعمال الأنس بالله: استلذاذ الخلوة، والاستيحاش من الصحبة، واستحلاء الوحدة.

وثلاثة من أعلام حسن الظن بالله: قوة القلب، وفسحة الرجا في الزلة، ونفي الأياس بحسن الإنابة.

وثلاثة من أعلام الشوق: حب الموت مع الراحة، وبغض الحياة مع الدعة، ودوام الحزن مع الكفاية.

*

دخلت إلى سواد نيل مصر، فجاءني الليل فقمت بين زروعها، فإذا أنا بامرأة سوداء قد أقبلت إلى سنبلة ففركتها ثم امتنعت عليها، فتركتها وبكت وهي تقول: يا من بذره حباً يابساً في أرضه ولم يك شيئاً، أنت الذي صيرته حشيشاً ثم أنبته عوداً قائماً، بتكوينك وجعلت فيه حباً متراكباً، ودورته فكونته وأنت على كل شيء قدير.

وقلت: عجبتُ لمن هذه مشيئته كيف لا يُطاع، وعجبتُ لمن هذا صنعه كيف يشتكي. فدنوت منها فقلت: من يشكو أمل المؤمنين؟

فقالت لي: أنت يا ذا النون، إذا اعتللت فلا تجعل علتك إلى مخلوق مثلك، واطلب دواءك ممن ابتلاك وعليك السلام. لا حاجة لي في مناظرة الباطلين.

*

الطبيعة النقية هي التي يكفيها من العظمة رائحتها، ومن الحكمة إشارة إليها.

*

قلبي لك مقفل، فإن فتح لك أجبتك، وإن لم يفتح لك فاعذرني، واتهم نفسك.*

*

(...) أولئك قوم حجبهم الله عن عيون خلقه، وأخفاهم عن آفات الدنيا وفتنها، ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين، واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم، واستدلوا على فساد أعمالهم بالمعرفة، وهربوا من وحشة الغفلة وتسربلوا بالعلم لاتقاء الجهالة.

*

– كيف أصبحت؟

– أصبحت بطّالاً عن العبادة، متلوّثاً بالمعاصي، أتمنّى منازل الأبرار وأعمل عمل الأشرار.

*

* رجل يسأل ذا النون.

سقم الجسد في الأوجاع، وسقم القلوب في الذنوب. فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع الذنوب.

*

من لم يعرف قدر النعم، سُلِبها من حيث لا يعلم.

*

ما خلع الله عزَّ وجل على عبد من عبيده خلعة أكمل من العقل، ولا قلّده قلادة أجمل من العلم، ولا زيّنه بزينة أفضل من الحلم، وكمال ذلك كله التقوى.

*

أكثر الناس إشارة إلى الله في الظاهر، أبعدُهم من الله.

*

إلهي، إن كان صَغُر في جنب طاعتك عملي، فقد كَبُر في جنب رجائك أملي.

*

من ذبح حنجرة الطمع بسيف اليأس، وردم خندق الحرص، ظفر بكيمياء الخدمة.

ومن استقى بحبل الزهد على دلو المعروف استقى من جُبِّ الحكمة.

ومن سلك أودية الكمد جنى حياة الأبد.

ومن حصد عشب الذنوب بمنجل الورع أضاءت له روضة الاستقامة.

ومن قطع لسانه بشفرة الصمت وجد عذوبة الراحة.

ومن تدرع درع الصدق قوي على مجاهدة عسكر الباطل.

ومن فرح بمدحة الجاهل ألبسه الشيطان ثوب الحماقة.

*

من تطأطأ لَقَّطَ رطباً، ومن تعالى لقي عطباً.

*

سبحان من جعل الأرواح جنوداً مجندة، فأرواح العارفين جلاليَّة قدسْية،
وأرواحُ المؤمنين روحانية، لذلك حَنُّوا إلى الجنةِ،
وأرواحُ الغافلين هوائيةٌ، فلذلكَ مالوا إلى الدنيا.

*

الوجد بالموجود قائم، والموجود بالواجد قائم.

*

من صحّح استراح،
ومن تقرّب قُرّب،
ومن صفا صُفي له،
ومن توكّل وثق،
ومن تكلّف ما لا يعنيه ضيّع ما يعنيه.

*

إظهار المعنى هو الوجد، ونفي السرور هو الموجود، وإقامة القلب هو الواحد.

*

– ادعُ الله لي.
– إن كنت قد أُيدت في علم الغيب بصدْق التوحيد، فكم من دعوة مجابة قد سبقت لك، وإلا فإن النداء لا يُنقذ الغرقى.

*

الرضا: سرور القلب بمر القضاء.

*

لا تسكن الحكمة معدةً مُلئت طعاماً.

*

أدنى مقام الأنس: أن يلقى في النار فلا يغيبه ذلك عمن أنس به.

*

إياك أن تكون بالمعرفة مدَّعيا؛ أو تكون بالزهد مُحتَرِفاً؛ أو تكونَ بالعبادة مُتَعَلِّقاً.

*

- ما أخفى الحجابِ وأشدُّه؟
- رُؤْيةُ النفس وتَدْبيرُها.

*

إذا نطق، أبانَ نُطْقه عن الحقائق،
وإن سكت نطقت عنه الجوارحُ بِقَطْعِ العلائق.

*

الأُنْسُ بالله، من صَفاء القلب مَعَ الله؛ والتفَرُّد بالله، الانقطاعُ من كل شيءٍ سوى الله.

*

لم أر شيئاً أَبْعَث لِطَلَبِ الإخلاص، من الوحدة؛ لأنه إذاَ خلا، لم ير غير الله تعالى؛ فإذا لم ير غيرَه، لم يُحرِّكْه إلا حكمُ الله. ومن أحبَّ الخَلْوة، فقد تعلَّق بعمودِ الإخلاص، واستمسك بركنٍ كبير من أركان الصدق.

*

لئن مَدَدْتُ يدي إليك داعياً، لَطَالَما كَفَيْتَنِي ساهياً. أَأَقْطَعُ مِنكَ رجاي، بما عَمِلتْ يداي؟ حَسبي من سؤالي، علمَك بحالي.

*

كُلُّ مُدَّعٍ محجوبٌ بدعواه عن شُهودِ الحق؛ لأن الحقَّ شاهدٌ لأهل الحقِّ؛ لأن الله هو الحقُّ، وقولُه الحقُّ، ولا يحتاج أن يَدَّعي إذا كان الحقُّ شاهداً له؛ فأما إذا كان غائِباً فحينئذٍ يدَّعي. وإنما تقع الدعْوى للمحجوبين.

*

العارفُ، كلَّ يوم، أَخْشعُ؛ لأنه كلَّ ساعة أقربُ.

*

الصدقُ سيفُ الله في أرضه، ما وُضع على شَيءٍ إلا قَطَعَهُ.

*

بأوَّلِ قدم تطلُبُه، تُدْرِكُه وتَجِدُه.

*

الأُنْس بالله نور ساطع؛ والأُنْس بالخَلْق غَمٌّ واقِع.

*

الخَوْف رقيبُ العملِ، والرجاءُ شَفِيع المِحَنِ.

*

اطلبْ الحاجة بلسان الفَقْرِ لا بلسانِ الحكم.

*

مِفْتاحُ العبادَة الفكرةُ. وعلامةُ الهوى متابعة الشهوات. وعلامة التوكّلِ انقطاعُ المطامِع.

*

يا مَعْشر المريدين! من أراد مِنْكم الطريقَ، فلْيَلْق العلماءَ بالجهلِ، والزهادَ بالرَّغبَةِ، وأهل المعرفةِ بالصمت.

*

إن العارف لا يَلْزم حالةً واحدةً، إنما يلزمُ ربَّه في الحالاتِ كلِّها.

*

كان الرجلُ من أهل العلم، يزداد بعلمه بغضاً للدنيا وتركاً لها؛ واليوم يزداد الرجل بعلمه، للدنيا حبّاً، ولها طَلَباً.

وكان الرجلُ يُنفِق مالَه على عِلْمه؛ واليوم يَكْسَبُ الرجلُ بعلمه مالاً.

وكان يُرى على صاحب العلم، زيادةٌ في باطنه وظاهرِه؛ واليومَ، يُرى على كثيرٍ من أهل العلم فسادُ الباطِنِ والظاهِرِ.

*

إلهي، سري إليك مكشوف، وأنا إليك ملهوف،

إذا أوحشني الذنبُ آنسني ذِكرُك عالماً بأن أزمة الأمور بيدك وأن مصدرها عن قضائك.

إلهي، من أوْلَى بالذل والتقصير منّي وقد خلقتني ضعيفاً؟ ومن أوْلَى بالعفو منك وعِلمُك بي سابقٌ وأمْرك بي مُحيطٌ؟ أطعْتُك بإذنك والمنةُ لك عليَّ، وعصيتُك بعلمك والحُجةُ لك عليَّ. أسْألك بوجوب رحْمتك وانقطاع حُجتي وتفقري إليك وغناك عني، أن تغفر لي خطيئتي الظاهرة والباطنة.

*

توبة العوام من الذنوب، وتوبة الخواص من الغفلة.

*

بينا أنا أسير في جبل المقطّم إذا أنا برجل على باب كهف، فسمعته يقول: سبحانَ من عطل قلبي من الإياس وعمّرَه بالآمال. فاليأس منه قد فارقني والأمل فيه قد أوصلني. فتأملته، فإذا هو رجل قد أكمدته العبادة وأقرحته الزهادة. فدنوت منه، فتركني وولّى، فقلت له: أوصني، قال: انظرْ أن لا تقطع أملك عن الله تعالى طرفة عين، واجمعْ بين السراء والضراء، وصلْ بينك وبين الله تعالى، تر السرور في يوم يخسر فيه المبطلون.

قلت: زدني، قال: حسبك حسبك.

*

كل ما رأته العيون نسب إلى العلم، وما علمته القلوب نسب إلى اليقين.

*

- من العارف؟

- كان ها هنا، فذهب.

*

من قنع استراح من أهل زمانه، واستطال على أقرانه.

*

اليقين داع إلى قصر الأمل،

وقصرُ الأمل يدعو إلى الزهد،

والزهد يورث الحكمة،

والحكمة تورث النظر في العواقب.

*

– ما التوحيد؟

– أن تعلم أن قدرة الله تعالى في الأشياء بلا مزاج،

وصنعه للأشياء بلا علاج،

وعلّةُ كلِّ شيءٍ صُنعه ولا علّة لصُنعه، ومهما تصوَّر في نفسك شيءٌ فالله بخلافه.

*

رأيتُ في جبل لبنان في كهفٍ رجلاً أبيضَ الرأس واللحية، أشعثَ أغبرَ نحيفاً نَحِيلاً، وهو يُصلي. فسلَّمتُ عليه بعد ما سلَّم من الصلاة، فرَدَّ عليَّ السلام وقام إلى الصلاة، فما زال راكعاً وساجداً حتى صلى العَصر، ثم استند إلى حجر، وجعل يُسَبِّحُ الله ولا يُكلِّمُني، فقلت له: رحمك الله، ادْعُ اللهَ

عزّ وجلّ لي؟ فقال: آنسَك اللهُ بقُرْبِه. فقلت له: زِدْني؟ فقال: يا بُنَّي، مَن آنسه الله بقربه أعطاه أربعَ خصال: عِزّاً مِن غير عشيرة، وعِلماً من غير طلب، وغِنىً من غير مال، وأنساً من غير جماعة. ثم شَهِقَ شَهقةً فلم يُفِق إلا بعد ثلاثةِ أيام. ثم قام فتوضَّأ، وسألني: كم فاته من صلاة؟ فأخبرته. فقال:

إن ذِكرَ الحَبيب هَيَّجَ شَوْقِي ثمّ حُبُّ الحبيبِ أذْهَلَ عَقلي

وقد استوحشت من ملاقاة المخلوقين، وأنِسْتُ بربِّ العالَمين. انصرفْ عني بسلام. فقلت له: يرحمك الله، وقَفتُ عليك ثلاثة أيام رجاءَ الزيادة، وأُريد موعِظةً منك؟ وبَكَيْت. فقال: أحببْ مولاك، ولا تُرِدْ بحبه بَدلاً؛ فالمحبُّون لله هم تيجانُ العُبَّاد، وعَلَمُ الزُّهاد، وهم أصفياءُ الله وأحِبَّاؤه، وعبادُه وأولياؤه. ثم صرخ صرخةً، وفارقَ الدنيا، فما كان إلاَّ هنيهة، فإذا نحن بجماعةٍ من العُبَّاد يتحدَّرون من الجبل، فتولَّوه حتى وارَوْه تحت التراب. فسألتُ ما اسمُ هذا الشيخ؟ فقالوا: شيبان المُصَاب.

*

بينما أنا جالس في بعض أودية بيت المقدس، إذ سمعت صوتاً يقول: يا ذا الأيادي التي لا تُحصَى، ويا ذا الجُود والبَقَاء، مَتِّعْ بصَرَ قلبي في الجَوَلانِ في جبروتك، واجعلْ هِمَّتي متّصلةً بجود لطفك يا لطيف، وأعذْني من مسالكِ المتجبِّرين بجلال بهائك يا رؤوف، واجعلْني لك في الحالين خادماً وطالباً، وكن لي يا منوِّر قلبي وغايَة طلبي في القصد صاحباً. فطلبتُ الصوت، فإذا هي امرأة كأنها العُود المُحترق، وعليها درعٌ من الصوف وخِمارٌ من الشّعر، قد أضناها الجَهْد، وأفناها الكَمَد، وذوَّبها الحُبُّ، وقتلها الوَجْد. فقلت: السلامُ عليك. فقالت: وعليك السلام يا ذا النون. فقلت: لا إله إلا الله! كيف عرفت اسمي ولم تريني؟ قالت: كشَفَ عن سرِّي الحبيب، فرفع عن قلبي حجابَ العَمَى، فعرَّفني اسْمَك. فقلت:

ارجعي إلى مناجاتك؟ فقالت: أسألك يا ذا النور والبهاء أن تصرفَ عني شرَّ ما أجد، فقد استوحشتُ من الحياة. ثم خرَّتْ ميتة! فبَقِيتُ متحيراً متفكراً، فأقبلَتْ عجوز كالولهانة، فنظرتْ إليها، ثم قالت: الحمد لله الذي أكرمها. فسألتها: مَنْ هي؟ فقالت: أنا زهراء الولهانة، وهذه ابنتي، توهَّم الناس منذ عشرين سنة أنها مجنونة، وإنما قتَلَها الشَّوق إلى ربها.

*

إن لله عباداً نصبوا أشجار الخطايا نُصْبَ أعينهم وسَقَوها بماء التوبة فأثمرت ندماً وحُزْناً، فجُنُّوا من غير جنون وتبلَّدوا من غير عِيٍّ ولا بَكَم، وإنهم لهمُ البُلغاء الفصحاء العارفون بالله ورسوله،

ثم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء،

ثم تولَّهتْ قلوبهم في الملكوت، وجالتْ فِكَرُهم بين سرايا حُجُب الجبروت، واستظلوا تحت روَاق الندم وقرؤوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجَزَع، حتى وصلوا إلى عُلُوِّ الزُّهْد بسُلَّم الورَع فاستعذبوا مرارة التَّرْك للدنيا واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعُروة السلامة، وسرحَتْ أرواحهم في العُلَى حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحياة وردموا خنادقَ الجزَع، وعبروا جسورَ الهوى حتى نزلوا بفناء العِلْم واستَقَوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة الفِطْنة، وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدِنِ العِزِّ والكرامة.

*

اللهمَّ اجعلْني من الذين تاهت أرواحُهم في الملكوت وكُشفَ لهم حجاب الجَبَروت، فخاضوا في بحر اليقين، وتنزَّهوا في زهر رياض المتقين، وركبوا في سفينة التوكُّل، وأقلعوا بشراع التوسُّل، وساروا بريح المحبَّة في جدولِ قُرْبِ العزَّة، وحطُّوا بشاطئ الإخلاص، فنبذوا الخطايا، وحملوا الطاعات برحمتك يا أرحم الراحمين.

*

سمعتُ بعض المتعبِّدين بساحل بحر الشام يقول: إنَّ لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمّروا قصداً إليه احتملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا بالأشجان وتنعموا فيها بطول الأحزان. فما نظروا إليها بعين راغب ولا تزوَّدوا منها إلا كزاد الراكب. خافوا البياتَ فأسرعوا ورجوا النجاة فأزمعوا، وبذلوا مُهَجَ نفوسهم في رضا سيدهم. نصبوا الآخرة نُصْبَ أعينهم وأصغوا إليها بآذان قلوبهم. فلو رأَيْتَهم لرأيتَ قوماً ذبلاً شفاهُهُم خُمْصاً بطونُهم حزينةً قلوبهم ناحلةً أجسامهم باكيةً أعينُهم لم يصحبوا العلل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقوتٍ طفيف.

لبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفراً خالية،

هربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الأخْدان فلو رأيتَهم لرأيتَ قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر وفصلَ أعضاءهم بخناجِرِ التعب.

خُمص البطون لطول السُّرى، شعث الرؤوس لفقد الكَرَى قد وصلوا الكلال بالكلال وتأهَّبوا للنقلة والارتحال.

*

بينما أنا في بعض سياحتي إذا بشيخٍ على وجهه سيما العارفين،

فقلت له: يرحمك الله كيف الطريق إلى الله؟

فقال: لو عرفتَ الله لعرفتَ الطريقَ إليه.

ثم قال: ياهذا دَع الخلاف والاختلاف.

قلت: ياهذا يرحمك الله أليس خلافُ العلماء رحمة من الله؟

قال: نعم، إلاَّ في تجريد التوحيد؟

قلت: وما تجريد التوحيد؟

قال: فقدانُ رؤية ما سواه لوجدانه.

قلت: وهل يكون العارفُ مسروراً؟

فقال: وهل يكونُ العارفُ محزوناً؟

قلت: أليس مَنْ عرف الله طال همُّهُ؟

قال: بل من عرف الله زال همُّه.

قلت: وهل تُغيِّرُ الدنيا قلوبَ العارفين؟

قال: وهل تغيِّر العُقبى قلوب العارفين حتى تغيِّرها الدنيا؟

قلت: أليس من عرف الله صار مستوحشاً؟

قال: معاذ الله أن يكن العارف مستوحشاً، ولكن يكون مهاجراً متجرِّداً.

قلت: وهل يتأسَّف العارف على شيء غير الله؟

قال: وهل يعرف العارفُ غيرَ الله فيتأسَّف عليه؟

قلت: وهل يشتاقُ العارفُ إلى ربِّه؟

قال: وهل يكون العارفُ غائباً عنه طرفةَ عين حتى يشتاق إليه؟

قلتُ: ما اسمُ الله الأعظم؟

قال: أن تقول: الله وأنت تهابه.

قلت: فأنا كثيراً ما أقول ولا تداخلني الهيبة.

قال: لأنك تقول: الله من حيثُ أنت لا من حيث هو.

قلت: عِظْني.

قال: حسبك من الموعظة عِلْمُك بأنه يراك.

فقمتُ من عنده، فقلت: ما تأمرني به؟

قال: إطلاعه عليك في جميع أحوالك، ولا تنسه.

*

– صف لي الأبدان.

– إنك تسألني عن دياجي الظلم! لأكشفها لك يا عبد الباري! هم قوم ذكروا الله بقلوبهم تعظيماً لربهم، لمعرفتهم بجلاله. فهم حجج الله تعالى على خلقه. ألبسهم النور الساطع من محبته. ورفع لهم أعلام الهداية إلى

مواصلته. أقامهم مُقام الأبطال لإرادته. وأفرغ عليهم الصبر عن مخالفته. وطهر أبدانهم بمراقبته. وطيبهم بطيب أهل معاملته. كساهم حُللاً من نسج مودتهم. ووضع على رؤوسهم تيجان مسرته، ثم أودع القلوب من ذخاير الغيوب، فهي معلقة بمواصلته. فهمومهم إليه ثابرة. وأعينهم بالغيب إليه ناظرة. قد أقامهم على باب النظر من قربه. وأجلسهم على كراسي أطباء أهل معرفته. (...) إن أتاكم عليل من فقدي فداووه، أو مريض من فرق فعالجوه، أو خائف مني فأمِّنوه، أو آمن مني فحذروه، أو راغب في مواصلتي فمنوه، أو راحل نحوي فزودوه، أو جبان في متاجرتي فشجِّعوه، أو آيس من فضلي فعدّوه، أو راج لإحساني فبشّروه، أو حسن الظنّ بي فباسطوه، أو محبّ لي فواظبوه، أو معظِّم لقدري فعظِّموه، أو مستوضع نحوي فأرشدوه، أو مسيئ بعد إحسان فعاتبوه.

*

طاهر المقدسي*

لايطيبُ العَيْشُ إلا لمن وَطِيء بساط الأُنْس، وعلا على سرير القُدْس؛ وغَيَّبه الأنْس بالقدس، والقُدْس بالأُنْس؛ ثم غاب عن مشاهدتهما بمطالعة القُدُّوس.

*

المفاوزُ عنه مُنْقطِعة، والطرُق إليه مُنْطَمِسة.

تَوَقَّ من عُلاَلاَتِه، واحْذَرْ أماكنَ الاتصال. فإنها خُدَع، وقِفْ حيث وقَفَ العوامّ تَسْلَمْ.

*

* من كبار مشائخ أهل الشام، التقى بذي النون المصري.

إبراهيم بن أدْهم*

التصوف عُلُوُّ الهمم عمّا تنافستْ فيه الأممُ، مخافة أن تزلَّ القدمُ، والزهدُ في ما أحلَّ الله تعالى لا في ما حرَّم.

*

– هل فرحتَ في الدنيا قط؟

– نعم، مرتين إحداهما: كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال عليَّ؛ والثانية: كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعني.

*

– أتحبُّ أن تكُون لله وليًّا؟

– نعم،

– لا ترغبْ في شيء من الدنيا والآخرة، وفرِّغ نفسك لله تعالى، وأقبلْ بوجهك عليه ليُقْبل عليك ويواليك.

*

الورع تركُ كلّ شبهة، وتركُ ما لا يعنيكَ هو تركُ الفضلات.

*

– يا أبا إسحاق! خبِّرني عن بَدْءِ أمرك، كيف كان.**

– كان أبي من ملوك خُراسان. وكنت شاباً. فركبت إلى الصيَّد. فخرجت يوماً على دابَّة لي، ومعي كلب؛ فأَثَرْت أرنباً، أو ثعلباً؛ فبينا أنا أَطْلُبُه، إذ

---

* زاهد مشهور، توفيّ سنة 161 هـ.

** إبراهيم بن بشّار يسأل إبراهيم بن أدهم

هتف بي هاتف لا أراه؛ فقال يا إبراهيم: أَلهذا خلقتَ؟ أم بهذا أُمِرت؟ ففَزِعْت، ووقفتُ، ثم عدتُ فركضتُ الثانية. ففعل بي مثلَ ذلك ثلاثَ مرات. ثم هتف بي هاتف، من قَرَبُوس السَّرْج؛ والله! ما لهذا خُلِقْتَ! ولا بهذا أمِرتَ! قال: فنزلت فصادفت راعياً لأبي، يرعى الغنم؛ فأخذت جُبَّتَه الصوفَ فلبِستها، ودفعت إليه الفرس، وما كان معي؛ وتوجهت إلى مكة. فبينا أنا في البادية، إذا أنا برجل يسير، ليس معه إناءٌ، ولا زادٌ. فلما أَمْسَى، وصلّى المغربَ، حرَّكَ شفتيه، بكلامٍ لم أَفْهَمه؛ فإذا أنا بإناءٍ، فيه طعامٌ، وإناءٍ فيه شرابٌ؛ فأكلتُ، وشربتُ. وكنتُ معه على هذا أيَّاماً؛ وعلمني «اسمَ اللهِ الأعظمَ». ثم غاب عني، وبقيتُ وحدي. فبينا أنا، ذاتَ يوم مستوحشٌ من الوحدة، دعوتُ الله به؛ فإذا أنا بشخص آخِذٍ بحُجْزَتي؛ وقال: سَلْ تُعْطَهْ. فَراعَني قولُهُ. فقال: لا رَوْعَ عليك! ولا بأْسَ عليك! أنا أخوك الخَضِر. إن أخي داود، عَلّمك «اسمَ اللهِ الأعظم»، فلا تَدْعُ به على أحد بينك وبينه شَحْنَاء، فتُهْلِكه هَلاكَ الدنيا والآخرة؛ ولكن ادْعُ الله أن يُشَجِّع به جُبْنَك، ويُقوّيَ به ضَعفَك، ويُؤْنِسَ به وَحْشتَك، ويجدِّدَ به، في كل ساعة، رَغبتَك. ثم انصرف وتركني.

*

لقيته بالإسكندرية*، فقال لي: من أنتَ ياغلامُ؟

قلتُ: شابٌ من أهل خُراسان.

قال: ما حَمَلَك على الخروجِ من الدنيا؟

قلت: زُهْداً فيها، ورجاءً لثواب الله تعالى.

فقال: إن العَبْد لا يَتِم رجاؤُه لثواب اللهِ تعالى، حتى يَحْمل نفسَه على الصَّبْر.

---

* إبراهيم بن أدهم يتحدث مع عثمان بن عمارة عن رجل من أهل الإسكندرية يُقال له أسلم بن يزيد.

فقال رجلٌ، مِمَّن كان معه: وأيُّ شيءٍ الصَّبْر؟

فقال: إن أَدنَى منازل الصَّبرِ، أن يَرُوضَ العبدُ نفسه على احتمالِ مكارهِ الأَنْفُس. قال؛ ثم مَهْ؟

قال: إذا كان مُحْتمِلاً للمكاره، أورثَ الله قلبَه نوراً.

قلت: وما ذلك النورُ؟

قال : سِراجٌ يكون في قلبه، يُفَرِّق به بَيْنَ الحق و الباطل، والناسخ، والمُتَشابه.

قلت: هذه صفةُ أولياءِ ربِّ العالمين.

قال :أستغفِرِ الله! صدق عيسى بنُ مريم، عليه السلام، حين قال: لاَ تَضَعُوا الْحِكْمَةَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهَا، فَتُضَيِّعوهَا؛ وَلاَ تَمْنَعوهَا أهْلَهَا، فَتَظْلِمُوهَا.

يا غلامُ! إياك إذا صحبتَ الأَخْيارَ، أو حادثتَ الأبْرار، أن تُغْضبَهم عليك؛ فإن الله يَغضَب لغضبهم، و يرضى لرضاهم. و ذلك أن الحُكماءَ هم العلماءُ؛ وهم الراضون عن الله عز وجل، إذا سخط الناسُ؛ وهم جلساءُ اللهِ غداً، بعد النبيين والصدِيقين.

يا غلامُ! احفَظْ عني واعْقِل. واحتملْ ولا تَعْجَل. فإن التَّأَنِّي معه الحِلْمُ والحياءُ، وإن السَّفَه معهُ الخُرْق والشُّؤم.

قال: فسالتْ عينايَ، وقلت: واللهِ! ما حملني على مُفارَقَةِ أَبَوَيَّ، والخروجِ من مالي، إلا حبُّ الأَثَرَةِ لله. ومع ذلك، الزهدُ في الدنيا، والرغبُة في جِوار الله تعالى.

فقال: إياك والبخلَ!

قلت: ما البخلُ؟

فقال: أما البخلُ، عند أهل الدنيا، فهو أن يكونَ الرجلُ بخيلاً بمالِه. وأما الذي عند أهلِ الآخرة، فهو الذي يبخلُ بنفسِه عن الله تعالى. ألاَ وإنَّ العبدَ

إذا جادَ بنفسه لله، أُورِث قلبُه الهُدى والتُّقى؛ وأُعطِيَ السكينةَ والوقارَ، والعِلْمَ الراجِحَ، والعقلَ الكاملَ. ومع ذلك تُفتَح له أبوابُ السماء، فهو ينظرُ إلى أبوابها بقلبهِ كيف تُفتَح، وإن كان في طريق الدنيا مطروحاً.

يا غلامُ! أما إنَّك ستصحب الأخيارَ؛ فكن لهم أرضاً يَطَأون عليكَ؛ وإن ضَرَبوك، وشَتَموك، وطردوك، وأسمعوك القبيحَ. فإذا فعلوا بك ذلك، ففكِّرْ في نفسك: من أين أُتِيَتْ؟ فإنك إذا فعلتَ ذلك، يؤيِّدُك اللهُ بنصره؛ يُقْبِل بقلوبهم عليك. واعلم أنَّ العبدَ إذا قَلاه الأخيارُ، واجتنب صُحبتَه الورعون، وأَبغضه الزاهدون؛ فإنَّ ذلك اسْتِعْتَابٌ من الله تعالى، لكي يعتبه فإن أعتب الله، عزّ وجلّ، أقبل بقلوبهم عليه، وإن تمرّد على الله، أورث قلبَه الضلالةَ، مع حِرْمان الرِّزق، وجفاءٍ من الأهل، ومَقْتٍ من الملائكة، وإعْراضٍ من الرسل بوجوههم. ثم لم يُبَالِ في أي وادٍ يُهلِكُه.

قال، قلت: إني صحبتُ وأنا ماشٍ بين الكوفة ومكَّةَ رجلاً فرأيتُه إذا أمسى يصلِّي ركعتين، فيهما تجاوز؛ ثم يتكلمُ بكلامٍ خَفي، بينه وبين نفسه؛ فإذا جَفْنَةٌ من ثَريد عن يمينه، وكُوزٌ من ماء؛ فكان يأكلُ ويُطعِمُني.

قال: فبكى الشيخُ عند ذلك، وبكى مَنْ حوله،

ثم قال: يا أبي! أو: يا أخي. ذاك أخي داودُ. ومَسْكَنُه من وراء بَلْخ، بقرية يقال لها: «البارِدَة الطَّيِّبَة». وذلك أن البقاع تَفَاخَرتْ بكينونةِ داود فيها. يا غلام! ما قال لك؟ وما علَّمكَ؟

قال: قلتُ:علَّمَني «اسم الله الأعظم».

فسأل الشيخُ: ما هو؟ فقلت: إنه يتعاظم عليَّ أن أنطقَ به. فإني سألتُ به مرةً، فإذا برجلٍ آخذٍ بحُجزتي؛ وقال: سَلْ تُعْطَه. فراعَني؛ فقال: لا رَوْعَ عليك! أنا أخوك الخَضِرُ. إنَّ أخي داودَ علمك إياه. فإياك أن تدعوَ به إلا في برّ! ثم قال: يا غلامُ! إن الزاهدين في الدنيا، قد اتخذوا الرضا عن الله

لِباساً، وحُبَّه دِثاراً، والأَثَرَةَ له شِعاراً. فتفضُّلُ اللهِ عليهم، ليس كتَفَضُّلهِ على غيرهم. ثم ذهب عنّي.

فتعجب الشيخ من قولي. ثم قال: إن الله سيَبْلغ بمن كان في مِثالك، ومن تبعك من المهتدين. ثم قال: يا غلامُ! إنّا قد أَفَدْناك ومَهَّدْناك، وعلَّمناك علماً.

ثم قال بعضهم: لا تطمع في السَّهر مع الشِّبَع، ولا تَطمعْ في الحُزن مع كثرةِ النوم،

ولا تَطْمَع في الخوفِ لله مع الرغبةِ في الدنيا؛

ولا تطمع في الأُنْس بالله مع الأُنْس بالمخلوقين؛

ولا تطمع في إلهام الحكمةِ مع تَرْك التقوى؛

ولا تطمع في الصِّحة في أمورك مع مُوافقَة الظَّلَمَة؛

ولا تطمع في حُب الله مع محبة المال والشرف؛

ولا تطمع في لِين القلب مع الجفاء لليتيم والأرْمَلَة والمسكين؛

ولا تطمع في الرِّقة مع فضول الكلام؛

ولا تطمع في رحمة الله مع ترك الرحمة للمخلوقين؛

ولا تطمع في الرُّشْد مع ترك مُجالسة العلماء؛

ولا تطمع في الحب لله مع حبِّ المِدْحة؛

ولا تطمع في الوَرَع مع الحِرْص في الدنيا؛

ولا تطمع في الرّضا والقناعة مع قلة الورع.

ثم قال بعضهم: يا إلهنا! احجُبْه عنا، واحجُبْنا عنه!

قال إبراهيم: فما أَدْرِي أين ذهبوا.

*

مَنْ عَرَف ما يطلبُ، هان عليه ما يَبْذُل.

ومن أَطْلق بَصرَه، طال أسفه.
ومن أطلق أمَلَه، ساء عَمَلُه.
ومن أطلق لسانَه، قتل نَفْسَه.

*

اتَّخِذْ اللهَ صاحباً، وذَرِ الناسَ جانباً.

*

اعلمْ أَنّك لا تنالُ دَرَجةَ الصالحين، حتى تجوز سِتَّ عِقَاب:
أُولاها: أن تُغلِق باب النعمةِ، وتَفْتَح بابَ الشدة.
والثانية: أن تُغلِق بابَ العِزِّ، وتفتح باب الذل.
والثالثة: أن تُغلِق بابَ الراحةِ، وتفتح باب الجُهْد.
والرابعة: أن تغلِق بابَ النوم، وتفتح بابَ السَّهَر.
والخامسة: أن تُغلِق بابَ الغِنى، وتفتح باب الفَقْر.
والسادسة: أن تُغلِق بابَ الأمَلِ، وتَفتَح باب الاستعداد للموت.

*

تربَّعتُ مرة فهتف بي هاتفٌ: هكذا تجالس الملوك؟ فما تربَّعت بعد ذلك أبداً.

*

الفقر مخزون في السماء، يَعْدل الشهادة عند الله، لا يعطيه إلا لمن أحبه.

*

وجدتُ يوماً راحة، فطابت نفسي لُحْسن صنع الله بي، فقلت: اللهم! إن كنت أعطيت أحداً من المحبين لك ما سكنت به قلوبُهم قبل لقائك فأعطني كذلك! فقد أضر بي القلق. فرأيت رب العزة في المنام، فأوقفني بين يديه،

وقال لي: يا إبراهيم! أما استحيت مني! تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي! وهل يسكن قلب المشتاق إلى غير حبيبه! أم هل يستريح المحب إلى غير من اشتاق إليه؟! فقلت: يا ربُّ! تهْتُ في حبك، فلم أدر ما أقول!

*

- عَلَامَ أَصَّلْتُم أصولكم؟*
- إذا رُزِقنا أكلنا، وإذا مُنِعنْا صبرنا.
- هكذا كلابُ بَلْخ! إذا رُزِقتْ أكلتْ، وإذا مُنعتْ صَبَرتْ. إنا أصَّلْنا أصولَنا على أنَّا إذا رزُقنا آثرنا، وإذا مُنعِنا حَمَدْنا وشكرنا. فقام شقيق، وقعد بين يديه وقال: أنت أستاذُنا!

*

- إنْ رأيتَ فيَّ عيباً فنبّهني عليه.**
- إني لم أر بك عيباً؛ لأني لاحظتك بعين الوداد؛ فاستحسنتُ منك ما رأيتُ، فسلْ غيري عن عيبكَ.

*

إن صحبتُ من هو دوني آذاني بجهله،
وإن صحبت من هو فوقي تكبّر عليّ،
وإن صحبت من هو مثلي حسدني.
فاشتغلت بمن ليس في صحبته ملال،
ولا في وصله انقطاع،
ولا في الإنس به وحشة.

*

---

* إبراهيم بن أدهم يسأل شقيق البلخيّ.

** رجل صحب إبراهيم بن أدهم ولما أراد أن يفارقه طلبَ منه هذا الطلب.

أتيتُ بعضَ البلاد، فنزلتُ في مسجد، فلمَّا كان العِشاءُ وصلَّينا، أتى إمام المسجد بعد انصراف الناس، فقال: قُمْ فاخْرجْ حتى أغلق الباب. فقلت: أنا رجلٌ غريب أبيتُ ههنا.

فقال: الغرباء يسرقون القناديل والحُصُر، فلا نتركُ أحداً يبيتُ فيه ولو كان إبراهيم بن أدهم.

قلت له: أنا إبراهيم بن أدهم. وكانت ليلةً شاتية.

فقال: كفى ما أنت فيه حتى تكذب. ثم قال: أكثرتَ. وعدا على رجلي فجرَّني على وجهي حتى رماني على باب أتُّون حمَّام ومضى. فقمتُ فرأيتُ الوقَّاد يقد النار في المستوقد. فقلت: أبيتُ عنده، فنزلت فوجدتُ رجلاً عليه قطعتا خيش فسلَّمتُ عليه فلم يردَّ السلام، بل أشار أن أجلسْ. فجلستُ وهو خائف وجِلٌ ينظرُ تارةً عن يمينه، وتارةً عن شماله. فداخلني الخوفُ منه. فلما فرغ من وقوده التفتَ إليَّ وقال: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. فقلت: عجباً لمَ لمْ تسلَّم عليَّ حين سلامي عليك؟

فقال: يا هذا، كنتُ أجيرَ قومٍ فخفتُ أنْ أسلِّم عليك فأشتغل بالسلام فآثم وأخون.

فقلت له: فرأيتك تلتفتُ عن يمينك وشمالك أتخاف؟

قال: نعم.

قلتُ: ممَّ ذا؟

قال: من الموت، لا أدري من أين يأتي أمن يميني، أم من شمالي؟

قلت: فبكمْ تعملُ كلَّ يوم؟

قال: بدرهم ودانق.

قلت: فما تصنع به؟

قال: أتقوَّتُ بالدانق أنا وأهلي، وأنفق الدرهم على أولاد أخٍ لي.

قلت: أَمِن أُمِّك وأبيك؟

قال: بل أحببتُه في الله عزَّ وجلَّ ومات، فأنا أقومُ بأهله وأولاده.

فقلت له: هل دعوت الله عزَّ وجلَّ في حاجة فأجابك؟

قال: لي حاجة أنا منذ عشرين سنة أدعو الله عزَّ وجلَّ فيها وما قضاها.

قلت: وما هي؟

قال لي: بلغني أنَّ في العرب رجلاً تميَّز عن الزاهدين وفاق العابدين يقالُ له: إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه، دعوتُ الله عزَّ وجلَّ في رؤيته وأموتُ بين يديه.

فقلت: أبشرْ يا أخي، فقد قضى الله تعالى حاجتك وقَبِل دعوتك، وما رضي لي أن آتيك إلاَّ سحباً على وجهي. (...) فوثب من مكانه وعانقني، وسمعتهُ يقول: اللهمَّ إنك قد قضيت حاجتي وأجَبْتَ دعوتي، اللهمَّ اقبضني إليك. فأجاب الله تعالى دعوتَهُ الثانية في الحال وسقط ميتاً.

*

إلهي إنك تعلم أن الجنة وما دونها لا تزن عندي جناح بعوضة بعدما وهبتَ لي معرفتك، وآنستني بك، وفرّغتني بالتفكر لعظمتك، وجعلتني في جوارك بالنظر إلى وجهك الكريم.

*

أمسكت بديني بين صدري، وبرزت من بلد إلى بلد، أرض ترفعني، وأرض تضعني. فمن رآني ظنني راعياً أو مجنوناً، أفعل ذلك لعلي أصون ديني من وساوس الشيطان وأمرّ بإيماني سالماً من باب الموت.

*

ما قاسيت شيئاً من أمْر الدنيا أشدّ عليّ من نفسي، مرة عليَّ ومرة لي. وأما هوايَ فقد والله استعنت بالله عليه فأعانني، واستكفيته سوء مغالبته فكفاني فو الله ما آسى على ما أقبل من الدنيا، ولا ما أدبر منها.

*

من عرف ربّه اشتغل بربّه عن غيره.

*

لا يقلُّ مع الحق فريد، ولا يقوى مع الباطل عديد.

*

أقلّوا من الإخوان والأخلاء.

*

كثرة النظر إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب.

*

إياكم والكبر، إياكم والإعجاب بالأعمال.

انظروا إلى من دونكم ولا تنظروا إلى من فوقكم.

من ذلل نفسه رفعه مولاه، ومن خضع له أعزه، ومن اتقاه وقاه، ومن أطاعه أنجاه، ومن أقبل إليه أرضاه، ومن توكل عليه كفاه، ومن سأله أعطاه، ومن أقرضه قضاه، ومن شكره جازاه.

فينبغي للعبد أن يزن نفسه قبل أن يوزن، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب.

*

اشغلوا قلوبكم بالخوف من الله، وأبدانكم بالدأب في طاعة الله، ووجوهكم بالحياء من الله، وألسنتكم بذكر الله، وغضوا أبصاركم عن محارم الله.

*

بشر الحافي*

سيحوا فإنّ الماء إذا ساحَ طاب وإذا وقف تغيّر واصفرّ.

*

- ما تصنع في هذا الموضع؟**

- إنّ نفسي اشتهت منذ ثلاثين سنةً خيارةً، فأَبيْتُ عليها فقالت: إن لم تطعمني فاعرضه عليّ، فأرضى منه بالنظر دون الأكل؛ فجئت لأنظر إليها فأرضيها بذلك.

*

صحبة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار.

*

يأتي على النَّاسِ زمانٌ، لا تَقَرُّ فيه عينُ حَكيم.
ويأتي عليهم زمانٌ تكونُ الدَّولَةَ فيه للحمْقَى على الأَكْياس.

*

الصبرُ الجميلُ، هو الذي لا شكوى فيه إلى الناس.

*

---

* (152 – 227 هـ)، سكن بغداد.

** عبيد بن عمر يسأل بشراً الحافي.

لا تكونُ كاملاً حتى يأمَنك عدوُّك.
وكيف يكونُ فيك خيرٌ، وأنتَ لا يأمنُكَ صديقُك؟!

*

هَبْ أنّكَ لاَ تخافُ، وَيْحَكَ، أَلاَ تشتاق؟

*

شاطِرٌ سَخِيٌّ أحبُّ إليَّ من قارئ لئيم.

*

إني لأَشْتَهي الشِّواء، منذ أربعين سنة، فما صفا لي دِرْهَمهُ.

*

بِحَسْبِكَ أَنَّ قَوْماً مَوْتَى، تحيا القلوبُ بِذكْرِهم،
وأَنَّ قوماً أحياءَ تقسو القلوبُ بِرؤْيتِهمْ.

*

من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا سليماً في الآخرة فلا يُحَدِّث، ولا يشهد، ولا يؤم قوماً، ولا يأكل لأحد طعاماً.

*

التكبّر على المتكبِّر من التواضع.

*

الْفقَراءُ ثَلاثَة: فقيرٌ لا يسأل، وإن أُعطِيَ لا يَأخُذ؛ فذاك من الرُّوحَانيين، إذا سألَ اللهَ أعطاهُ، وإن أَقْسَم على اللهِ أَبَرَّ قَسَمَه.
وفقيرٌ لا يسألُ، وإن أُعْطِي قَبِل؛ فذاك من أَوْسَطِ القَوْم، عَقْدُه التَّوَكُّلُ والسكُون إلى الله تعالى؛ وهو ممن تُوضَعُ له الموائدُ في حَظيرَةِ الْقُدْس.
وفقيرٌ اعتَقَد الصَّبْرَ، ومُدافَعَةَ الوَقْتِ. فإذا طَرَقَتْهُ الحاجَة، خرج إلى عَبيد الله، وقلبُه إلى اللهِ بالسُّؤال.
فكفارَة مَسألتِه صِدْقهُ في السؤال.

*

أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود حذّر أهلك أكل الشهوات فإنّي إنّما خلقت الشهوات لضعفة خلقي، فما للأبطال والشهوات؟!

*

إذا أعجبك الكلام فاصمت، وإذا أعجبك الصمت فتكلّم.

*

إنّا لله! عشت إلى زمان إن لم أعمل فيه بالجفاء لم يسلَمْ ديني.

*

لقد شهرني ربي في الدنيا فليته لا يفضحني في القيامة. ما أقبح بمثلي أن يُظنَّ فيَّ ظنٌّ وأنا على خلافه. إنما ينبغي لي أن أكون أكثر مما يُظن بي.

إنّي أكره الموت، وما يكره الموت إلا مريب، ولولا أني مريب: لأي شيء أكره الموت؟

*

غنيمة المؤمن غفلة الناس عنه، وإخفاء مكانه عنهم.

*

إن العبد إذا قصَّر في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه.*

*

ما شبعت منذ خمسين سنة.

*

اللّهم إنك تعلم أني أخاف أن أتكلم،
اللّهم إنك تعلم أني أخاف أن أسكت،
اللّهم إنك تعلم أني أخاف أن تأخذني في ما بين السكوت والكلام.

*

---

* من كلام قاله يوم ماتت أخته.

لو علمت أن رضـاه أن أشُدَّ في رجلي حجراً، ثم ألقي نفسي فـي البحر، لفعلت.

*

حادثوا الآمال بقرب الآجال.

*

الموتى خارج السور أكثر منهم داخل السور.*

*

* من كلام له وهو واقف على باب مقبرة.

فتح بن سعيد الموصلي*

رأيت غلاماً بالبادية، لم يبلغ الحلم، وهو يمشي وحده، ويحرك شفتيه؛ فسلمت عليه فرد علي السلام.

قلت: إلى أين؟

قال: إلى بيت ربي؛

فقلت: وبماذا تحرك شفتيك،

فقال: أتلو كلام ربي.

فقلت له: إنه لم يجر عليك قلم التكليف!

فقال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سناً.

فقلت: خطوك قصير، وطريقك بعيد.

فقال: إنما عليَّ نقل الخطا، وعليه الإبلاغ.

قلت: فأين الزاد والراحلة؟

قال: زادي يقيني، وراحلتي رجلاي.

فقلت: أسألك عن الخبز والماء!

فقال: يا عماه! أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله، أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك؟

قلت: لا!

فقال: إن سيدي دعا عباده إلى بيته، وأذن لهم في زيارته؛ فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم واني استقبحت ذلك، فحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعني!

---

* مات سنة 230 هـ.

فقلت: كلا وحاشا! ثم غاب عن بصري، فلم أره إلا بمكة. فلما رآني، قال: أنت، أيها الشيخ، بعد على ذلك الضعف من اليقين!

*

السري السّقطي*

من عرف السبب انقطع عن الطلب.

*

الدنيا كلها جهل إلا العلم فيها،
والعلم كله وبال إلا العمل به.
والعمل كله هباء منثور إلا الإخلاص فيه.

*

العلم العمل، وشكر العمل زيادة العلم.

*

الفترة غفلة، والخشية يقظة والقسوة موت.

*

كل الدنيا فضول إلا خمس خصال: خبز يشبعه، وماء يرويه، وثوب يستره، وبيت يكنه، وعلم يستعمله.

*

إن اغتممت بما ينقص من مالك فابكِ على ما ينقص من عمرك.

*

ما أحب أن أموت حيث أُعرَف، أخاف ألا تقبلني الأرض فأُفتَضَح.

*

* مات ببغداد سنة 298 هـ. خال الجنيد وأستاذه في الطريقة.

أكلهم أكل المرضى ونومهم نوم الغرقى.*

*

يا جنيد**، رأيت كأني قد وقفت بين يدي الله تعالى، فقال لي: يا سَرِي خلقت الخلق، فكلهم ادّعى محبتي،

وخلقت الدنيا فهرب مني تسعة أعشارهم وبقي معي العشر،

وخلقت الجنة فهرب مني تسعة أعشار العشر وبقي معي عشر العشر، فسلطت عليهم ذرة من البلاء، فهرب مني تسعة أعشار عشر العشر!

فقلت للباقين معي: لا الدنيا أردتم، ولا الجنة أخذتم، ولا من النار هربتم، فماذا تريدون؟

قالوا: إنك تعلم ما نريد.

فقلت لهم: فإني مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسي، أتصبرون؟

قالوا: إذا كنت أنت المبتلي لنا فافعل ما شئت. فهؤلاء عبادي حقاً.

*

الصوفيُّ هو الذي لا يُطفئ نُورُ مَعْرفته نُورَ ورعه، ولا يتكلَّمُ بباطن من العلم، ينقضه عليه ظاهرُ العلم، ولا تحمله الكراماتُ على هتَكْ أستارِ المحارم.

*

مَثَلُ الصوفي مثَلُ الشمس تطلع على كل شيء، والأرض يملؤها كل شيء، والماء، يشرب منه كل شيء، والنار، يستضيء بها كل شيء.

*

---

* يقصد أهل الحقائق.

** من كلام له يخاطب به تلميذه الجنيد.

صلّيت العشاء واشتغلت بوردي ليلة من الليالي، ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري، هكذا تجالس الملوك؟ فضممت رجلي، ثم قلت: وعزّتك وجلالك لا مددتُ رجلي أبداً.

*

وددتُ أنَّ حزن كلِّ الناس أُلقيَ عليَّ.

*

- أعْرِفُ طريقاً مختصراً، قَصْداً إلى الجَنَّة.
- ما هو؟
- لا تسألُ أحداً شيئاً؛ ولا تأخذُ من أحدٍ شيئاً؛ ولا يكونُ معك شيءٌ تُعْطِي منهُ أحداً*.

*

من أَرادَ أن يَسْلَمِ دِينُه، ويستريحَ قلبه وبدنُه، ويَقِلَّ غمُّه؛ فليعتزلِ النَّاسَ، لأنَّ هذا زمانُ عُزْلَةٍ ووِحْدَةٍ.

*

التَّوَكُّلُ الانْخِلاعُ من الْحَول والْقُوَّة.

*

اللهمَّ ما عذَّبْتَنِي بشيءٍ، فلا تُعَذِّبْنِي بِذُلِّ الحِجَابِ.

*

الأمورُ ثلاثَة: أمْر بانَ لك رُشْدُه، فاتّبِعْه؛
وأَمْر بانَ لَكَ غَيُّه، فاجْتَنِبْه؛
وأَمْر أَشْكَلَ علَيْك، فَقِفْ عِنْدَه، وكِلْه إلى اللهِ.
ولْيَكنْ اللهُ دَليلَك، واجعلْ فَقْرَكَ إليه، تَسْتَغْنِ به عَمَّنْ سواه.

*

---

* حوار بين سري السقطي والجنيد.

الأدب تَرْجُمان العقل.

*

ما أَكْثَرَ مَنْ يصفُ الصِّفَةَ، وأقلَّ من يُوافِقُ فِعْله صفتَه.

*

مَن خافَ اللهَ خَافَهُ كلُّ شيءٍ.

*

لِسانُك ترْجُمانُ قَلْبك؛ ووَجْهُكَ مرآة قلبك؛ يَتبيَّنُ على الوَجْهِ ما تُضْمِرُ الْقلوبُ.

*

الْقلوبُ ثلاثَةَ: قَلْبٌ مثلُ الجَبَلِ، لا يُزِيلُهُ شيءٌ؛
وقلبٌ مثل النَّخْلَةِ، أَصْلها ثابتٌ والريحُ تُميلها؛
وقَلْبٌ كالرِّيْشةِ، يَميلُ مَعَ الرِّيح يميناً وشمالاً.

*

لا تَصْرِمْ أَخَاكَ عَلَى ارْتِيابٍ، ولا تَدَعْهُ دونَ الاسْتِعْتَابِ.

*

مِنْ قِلّةِ الصِّدْقِ كَثْرَةَ الْخلَطاءِ.

*

مِنْ علامةِ الاسْتِدْرَاجِ العَمَى عن عُيوبِ النّفْسِ.

*

إني أذكر مجيء الناس إليَّ فأقول: اللهم هب لهم من العلم ما يشغلهم عني؛ فإني لا أحب مجيئهم إليَّ.

*

أنا منذ ثلاثين سنة أكلّم الله، والناس يتوهّمون أني أكلّمهم.

*

اللهمَّ ما عذبتني بشيء، فلا تعذبني بذل الحجاب. فإني إن لم أحجب عنك، هان بذكرك والتأمل فيك كل عقاب ينزل بي. وإن حجبت عنك، صارت رحمتك لي عذاباً. وليس في النار عذابٌ آلم ولا أنكى من الحجاب. فلو تجلى الله في النار لأهل النار، ما ذكر العصاة من المؤمنين الجنة أبداً، لأن رؤية الله تملؤهم فرحاً لا يحسون معه عذاباً جسدانياً، وليس في الجنة نعيم أعظم من رؤية الله. فلو أن أهلها حصّلوا كل نعيمٍ فيها، وأضعافه من النعيم، وحرموا رؤية الله، لذهبت نفوسهم حسرات. ولذلك كان من فضل الله، أن مكن قلوب أحبابه من رؤيته دائماً، حتى يمكنهم هذا النور من احتمال كلِّ عذاب. وهم يقولون في شهودهم: إنا لنرى جميع أصناف العذاب أهون على أنفسنا من الحجاب عنك، فإذا تجلّى جمالك لقلوبنا لم نفكر في العذاب.

*

لو أن واحداً أقفل عينه عن الله برهة، فلن يهتدي طول عمره، لأن اعتبار غير الله توكل على غيره. ومن تُرك لرحمة غير الله فقد هلك.

*

بينما نحن نسير في بعض بلاد الشام، إذ قال واحدٌ منا: ههنا: عابد، فميلوا بنا إليه؛ لعل الله يسخِّرُهُ يكلمنا. فملنا إليه، فوجدناه يبكي، فقلنا له: ما يُبكي العابد؟

فقال: مالي لا أبكي وقد توعَّرَتِ الطريق، وقلَّ السالكون فيها، وهُجرَتِ الأعمال، وقلَّ الراغبون فيها، وقلَّ الحقُّ، ودَرَس هذا الأمر؟ فلا أراه إلا في لسانِ كلّ بُطَّالٍ ينطقُ بِالحكمة ويفارق الأعمال، قد افترش الرُّخْصَة وتمهَّد التأويل، واعتلَّ بزَلَلِ العاصين. ثم صاح صيحةً، وقال: كيف سكَنَتْ قلوبُهم إلى رَوْح الدنيا، وانقطعتْ عن روح ملكوتِ السماء. ثم جعل يقول: واغَمَّاهُ

من فتنةِ العلماء، واكَرْباهُ من حَيْرةِ الأدِلاَّء. وجال جولةً، ثم قال: أين الأبرارُ من العلماء، بل أين الأخيار من الزهَّاد .

ثم بكى وقال: شغلهم والله طول الحساب وهمٌّ الجواب وذكر الجنة والنار والثواب. ثم قال: أستغفرُ الله من شهوة الكلام، تنحَّوا عني. فخلَّيناه يبكي، وقد مُلِئنْا منه غمّاً وهمّاً.

*

آهٍ على لقمة ليس لله فيها تبعة، ولا لمخلوق فيها منّة.

*

إنَّ في النَّفس لشغلاً عن الناس.

*

لا تكمُل محبةٌ بين اثنين حتى يقول كلٌّ للآخر: يا أنا!

*

سمعت برجل مجاب الدعوة فطلبته، فإذا بخلق كثير من المرضى والعميان ينتظرون خروجه، كلَّ سنة مرة، ليدعو لهم فيُشفونَ فخرج فدعا لهم ورجع. فتعلقت به وقلت: بي علَّة باطنة، قال: خلِّ عنّي يا سرّي، فإنه غيور، لا يراك تسأل غيره فتسقط من عينه.

*

ولمّا مرض لم يُرَ عليه تغيّر.

أخذ الجنيد بوله فذهب لطبيب نصراني فتأمله، وقال: بول عاشق. فصعق الجنيد وأغمي عليه. ثم أخبر السري فقال: قاتله الله ما أخبره. ما كنت أظنُّ أنَّ الحبَّ يظهر في هذا.

*

لا يطيب عيش الزاهد إلا إذا اشتغل عن نفسه، ولا عيشُ العارف إلا إذا اشتغل بنفسه.

*

لن يكمل الرجل حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه.

*

رأيت الفوائد ترد في ظلام الليل.

*

كنت يوماً أتكلّم بجامع بغداد، فوقف عليّ شاب حسن الشباب فاخر الثياب، ومعه أصحابه، فسمعني أقول في وعظي: عجباً لضعيف يعصي قوياً، فتغير لونه فانصرف. فلما كان من الغد جلست في مجلسي وإذا بالفتى قد أقبل، فسلم وصلى ركعتين، وقال: يا سري! سمعتك بالأمس تقول: عجباً لضعيف يعصي قوياً، فما معناه؟ قلت: لا أقوى من الله عزَّ وجلَّ، ولا أضعف من العبد وهو يعصيه. فنهض وخرج. ثم أقبل عليّ من الغد، وعليه ثوبان أبيضان وليس معه أحد، فقال: يا سري! كيف الطريق إلى الله عزَّ وجلَّ؟ فقلت: إنْ أردت العبادة، فعليك بصيام النهار وقيام الليل. وإن أردت الله عزَّ وجلَّ فاترك كلَّ ما سواه تصلْ إليه وليس إلا المساجد والخراب. فقام وهو يقول: والله لا سلكت إلا أصعب الطرق. وولّى خارجاً، فلما كان بعد أيام جاءني غلمان جماعته، فقالوا: ما فعل أحمد بن يزيد الكاتب؟ فقلت: لا أعرفه، إلا أنَّ رجلاً جاءني صفته كذا وكذا وأخبرتهم بما جرى لي معه، ولا أعلم حاله، فقالوا: نقسم عليك بالله متى عَرَفْتَ خَبَرَه عَرِّفنا، ودلونا على داره، فبقيت سنة لا أعرف خبره. فبينا أنا ذات ليلة بعد العشاء الآخرة في بيتي إذا بطارق يطرق الباب فأذنت له بالدخول، فإذا بالفتى عليه قطعة من كساء في وسطه وأخرى على عاتقه، ومعه زنبيل فيه نوى، فقبّلني بين عيني، وقال: يا سريّ أعتقك الله عزَّ وجلَّ

من النار كما أعتقتني من الدنيا، فأومأت إلى صاحبي أنِ امض إلى أهله فأخبرهم فمضى. فإذا زوجته قد جاءت ومعها ولده وغلمانه، فدخلت وألقت ولده في حجره وعليه حليّ وحلل، وقالت له: يا سيدي! أرْملتني وأنت حيّ، وأيتمت ولدك وأنت حيّ. فنظر إليّ، وقال: يا سري ما هذا؟ ثم أقبل عليها فقال: والله إنَّكِ لثمرة فؤادي وحبيبة قلبي، وإنَّ هذا ولدي لأعزُّ الخلق عليّ. غير أنَّ هذا السري أخبرني أنَّ مَنْ أراد الله سبحانه وتعالى قطع كلَّ ما سواه، ثم نزع ما على الصبي وقال: ينبغي أنْ يكون هذا في الأكباد الجياع والأجساد العارية. وخرق قطعة من كسائه فلفَّ بها الصبي، فقالت المرأة: لا أرى ولدي في هذه الحالة وانتزعته منه. فحين رآها قد اشتغلت به نهض، وقال: ضيعتم عليّ ليلتي، بيني وبينكم الله وولَّى خارجاً. فضجت الدار بالبكاء. فلما كان بعد مدة أتت عجوز فقالت: يا سري! بالشونيزية* غلام يسألك الحضور. فقمت معها إليه، فإذا به مطروح تحت رأسه لبنة. فسَلَّمت عليه ففتح عينه فقال: يا سري! وعليك السلام، أترى يغفر الله لي تلك الجنايات؟ فقلت: نعم، فقال: يغفر لمثلي؟ أنا غريق، قلت: هو سبحانه منجِي الغرقى. فقال: عليّ مظالم، فقلت: في الخبر «إنَّه يؤتى بالتائب يوم القيامة ومعه خصومه، فيقال لهم: خلوا عنه فإنَّ الله تعالى يعوضكم». فقال يا سري! معي دراهم من لقطة النوى، إذا أنا متُّ فجهزني بها، ولا تُعْلِم أهلي لئلا يغيروا كفني بغيره من مالهم. فجلستُ عنده قليلاً ففتح

* الشُّونيزيّة: بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة، وياء مثنّاة من تحت ساكنة، وزاي، وآخره ياء النسبة: مقبرة ببغداد بالجانب الغربي دُفنَ فيها جماعة كثيرة من الصالحين، منهم: الجنيد وجعفر الخلدي ورويم وسمنون المحبّ، وهناك خانقاه للصوفيّة. (انظرْ: ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد الثالث، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، 1995، مادة: الشونيزية).

عينيه، وقال: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾* ثم مات رحمه الله فجهزته بتلك الدراهم. فرأيت النَّاس يُهْرعون، فقلت: ما الخبر؟ فقالوا: مات وليّ من أولياء الله نريد أن نصلّي عليه فصلّينا عليه ودفنّاه. فلمَّا كان بعد مدة أرسل أهله يستعلمون خبره، فأخبرتهم بموته، فأقبلت امرأته باكية فأخبرتها بحاله. فسألتني أن أريها قبره، فقلت: أخاف أن تغيروا أكفانه، قالت: لا والله، فأريتها القبر فبكت، وأمرت بإحضار شاهدين، وأعتقت جميع الرقيق من الرجال والنساء، ووقفت جميع عقارها وتصدّقت بمال كثير، ولزمت عبادة الله تعالى إلى أن ماتت.

*

اتّق الإخوان ولا تأمنهم على سرك. واحذر إخوان السوء. واتهم صديقك كما تتهم عدوك.

*

---

* سورة الصافات، آية:61.

الحارث المحاسبي*

قلتُ، رحمك الله! صف لي كيف نُزولُ الصدق في القلب؟

قال: إن الصدق موهبة من الله عز وجل. فإذا وقَر في القلب، انصدع لذلك نور، وكان له هياج في القلب، وأخذ في الرأس وانتشر في سائر الجسد. فتأخذ كل جارحة منه بقسطها من الصدق على قدر الكثرة والقلة من هيجان الصدق، وعلى قدر ما وافق من ذلك رقة القلب وصحة العقل. فربما هاج الصدق في القلب فولَّهه. وربما حيّره. وربما أذهله. وربما أبكاه وأحزنه. وربما نَغَّصَ عليه الطعام والشراب. وربما لحقه التشنج وربما أفحم. وربما صرخ. وربما شهق. وربما زال عنه العقل، ساعة ويوماً ويومين. وربما سقط عنه التمييز، ساعة ويوماً ويومين. وأكثر من ذلك: على قدر هيجان الصدق من القلب. وربما قطعه الصدق عن كثير من أعمال البر، وهو مشتغل في مواجيد الصدق. وربما هام. وربما توحّش من الخلق إلى أنس الوحدة. وربما دام به الحزن. وربما كدَّ. وربما تغير منه اللون. وربما اقشعرّ منه الجلد. وربما استبسلت منه الجوارح. وربما خمدت منه الأعضاء. وربما لم ينتفع به أهل ولا ولد. وربما احترقت منه الجفون وبكت لبكائه العيون. فهذا الذي وصفناه كله يهيّجه من القلب صدق الحياة، أو صدق الخوف، أو صدق حسن الظن، أو صدق المحبة.

*

* الحارث بن أسد المحاسبي، من أكابر الصوفية. ولد ونشأ بالبصرة ومات ببغداد سنة 243 هـ.

وقلتُ: أجملْ لي حالات العارفين، ما هي؟

قال: عن أيّ حالات العارفين تسأل؟

قلت: أريد أن تدلني منها على حالة تثبتني في التواضع، وتكمل لي الحياء. وتجمع لي الرعاية، وتمزج لي السرور بالمقدور، وتسقط عني كثيراً من الإعجاب. ويدخل عليَّ منها مطالع الإمتاع عن كل سبب يجر إلى دواعي فتنة.

قال: الحمد لله الذي وفقك للصواب ودلّك على الرشاد وكشف عن قلبك غطاء ظلمة الجهل! الآن رجوت أن تكون قد قربت من المعرفة ووصلت إلى بابها. يا فتى، إن الحالة التي تجمع لك الحالات، هي كلها في حالة واحدة: في المراقبة. فألزم نفسك وقلبك دوام العلم فينظر الله إليك في حركتك وسكونك، وقيامك وقعودك، وذهابك ومجيئك. فإنك بعين الله، عز وجل، في جميع متقلبك وأنك في قبضته حيث كنت. وإن عين الله على قلبك، وهو ناظر إلى سرك وعلانيتك. فهذه الصفة، يا فتى، بحر ليس له شطآن. بحر تجري منه السواقي والأنهار، وتسري فيه المراكب إلى معادن الغنيمة.

قلت: فما معنى قولك في «البحر» والتمثيل به؟

قال: أما البحر، فهو العلم الذي وصفته لك، وهو العلم الذي ليست له نهاية ولا غاية. وهو علم القلب بقرب الرب. وهو العلم الذي يؤدي إلى العظمة. وهو البحر الذي ليس له حد ولا نهاية. حصرت قلوب العارفين عن التفتيش بكيفيته. وانقطعت أوهام الموقنين باستدراكها بالكلية. ورجعت أبصار قلوبهم خاسئة هايبة، إجلالاً وتعظيماً، لما سارت أوهامها في بحر المعرفة، وَلَجَّجَتْ في تيارها، وأقلعت بها سرعتها رجاء سرعة السير إلى كنوز العلم منها.

قلت: أيّ شيء بلغوا من ذلك؟

قال: إنما مبلغهم من ذلك على ما طابت لهم الريح، وسارت بهم الريح، واستقاموا على الاستواء، حتى وصلوا إلى معادن الجواهر، فتخيروا منها نوراً يسطع بالهداية.

قلت: رحمك الله! قد صعّبت عليّ الأمور. ودقّقت عليّ المذهب، وأبعدت علي الشقّة، بعد أن رجوت بلوغها. ضاق قلبي وحدثتني نفسي بطول المدة، قبل بلوغ الغاية.

قال: لا تعجل! إنما قرّبت عليك البعيد، وسهلت عليك الشديد.

قلت: وقد سمعتُ ما وصفتَ!

قال: حيث رجوت أن تكون قد فهمت عني. ويحك! عجزت بعد أن دللتك على كنوزها، وأبنت لك النار على المحجة عليها وقربتك إلى بابها، وزدت في حرصك على الهجوم؟ ويحك! لا يضيق قلبك، ولا يفتر عزمك. ولا تحدث نفسك بالضعف في أمرك. إن المعونة متألفة إلى من طلبها، ومُنْصَبَّة إلى من أشفق عليها. وليكن مثلك في طلب المعرفة مثل الراعي الرقيق، الكيّس، الرفيق، المحتال، المتأدب. إذا نفرت عنه الغنم في رؤوس الجبال وبطون الأودية، صاح بها صيحة من يريد أن يذودها عن موقع الهلكة. فاستجمعت له ولحق آخرها بأولها. فسار بها حيث يريد. فهكذا، يا فتى، إذا أردت المعرفة وجمعها: فكن حريصاً عليها، معنياً في طلبها، متفقداً في أحوالها، عاملاً في معانيها، راغباً فيها رغبة من قد عرف قدر منافعها. حتى إذا وصلت إلى شيء منها، دلّك أولها مع آخرها؛ واستجمعت لك برفقك بها، وحسن صبرك عليها، كما استجمعت الغنم لراعيها. فسرت في محجة الأبرار الى منازل الأخيار!

*

إخواني: وأحذركم مخالطة الناس، فإن جميع التعدي والأوزار مجموع في مخالطتهم ومعاشرتهم وما تشعرون. وإنما يعلم ذلك أهل الورع والمحاسبة. ولسنا مما نسلم بديننا إذا اجتمع شياطين الإنس والجن ونحن كبعضهم

يوحي بعضنا إلى بعض زخرف القول غروراً. ألا فعاشروا من الناس رجلين، أحدهما: يعين على البر والتقوى. والآخر: يعين على أحوالك من الدنيا. فإن جمع الله المعونة على الدين والدنيا في رجل واحد فتمسك به وجانب من سواه، فإن جميعهم ضرر في الدين إلا المعين على البر.

ألا وإن فضل السلامة في مجانبة الناس، وهي أجزل ثواباً، وأعظم مما تخشون. وكذلك بلغنا أن العبادة عشرة أجزاء: واحد منها في الصمت، وتسعة في مجانبة الناس.

*

إخواني: وتفقدوا سرائر الأنفس، وخفايا الصدور، وطهروها من الغل والحسد، والحقد والشماتة، وسوء الظن والعداوة والبغضاء، فإنه بلغنا أن الغل والحسد يأكلان الحسنات. وبلغنا أن من لم يحب ويكره للمسلمين ما يحب ويكره لنفسه فليس منهم.

ألا فتفقدوا السرائر في كل حين. عسى أن يكون منكم مصرّ على بعض المعاصي وما يشعر. وانظروا هل تجدون في القلوب حب الدنيا والسرور بإقبالها والتقلب في شهواتها؟ وهل تجدون حلاوة المدحة والتعظيم أحياناً؟ وهل تأنفون من المذمة وتمتعضون منها؟ وهل تكرهون شيئاً يخالف أحوالكم وترضون بما وافق الهوى؟ وهل تلهون بالنظر إلى الخلق من غير اعتبار؟ وهل تلهون بفضول الكلام؟ هل تصمتون أحياناً مفكرين في المعاد؟ وهل تعملون من الأعمال شيئاً، الله راض به وأنتم تأنفون من عملها؟ وهل تعلمون لباساً الله راض به وأنتم تأنفون من لباسه؟ وهل تجدون خوف الفقر أحياناً؟ وهل تكرهون شيئاً قضاه الله فيكم فهذا ونحوه من ذنوب القلوب وأنتم غافلون؟ قد أحسب قراءكم مصرين عليها وما تشعرون.

ألا فجاهدوا أنفسكم على الانتقال من الأخلاق المذمومة، ولا تستصغروها. فإنه بلغنا أن من استصغر ذنباً فقد استصغر بوعيد الله جل وعز.

إخواني فراقبوا من يعلم السر وأخفى، أن تصروا على شيء من مكاره الله عز وجل. فليس مع الإصرار صغيرة، وقد بلغنا أن بعض الصحابة قال: «الإصرار على الذنوب كفر ومعصية». وما أصرَّ عليه العبد فهو من الكبائر. وبعد فإن صاحب الكبائر مع الإنابة أقرب إليه العفو من المصرِّ على الصغائر. وقد بلغنا أن الله عز وجل يقول: لا أقبل عثرة المصرِّين في الدنيا والآخرة. لا شيء أعظم عندي من الإصرار، ألا وإنما اشتد الغضب على المصرِّين لقلة اكتراثهم بتراكم الأوزار عليهم، واستهانتهم بسخط الجبار. أعاذنا الله وإياكم من الإصرار، فإنه أمر عظيم. وسلك بنا وبكم سبيل المصطَفين الأخيار.

*

إخواني وإذا دعا الناس ربهم بالألسن، وبسطوا الأيدي، وقلوبهم عنه ساهية،

ألا فأحضروا القلوب مع الألسن، فإنه أبلغ.

يا قوم، فراقبوا الله ولا تحزنوا ولا تحرموا أنفسكم إجابة الدعاء بالغفلة عن الله عز وجل، إجابة المضطر إذا دعاه. فهذا فضل ما بين رجلين: أحدهما: داع بلسانه، وقلبه غافل عن الله ساهٍ. والآخر، وجل، يتضرع بقلبه ولسانه. جعلنا الله وإياكم من الوجلين. آمين.

*

واشكروه على ما أنعم به عليكم من العقل بالتفكر والتدبر، واعتقاد حسن النية، والاعتبار، وشدة الإشفاق، وطول الحزن في جميع الجوارح، وسلامة الصدر للعامة، والإضمار على مسرات الله.

فإن قصرتم في ذلك فراقبوا الله واتقوا حيث السرائر، وإضمار السوء، واعتقاد الغل والحسد، والعداوة وأشباهها من المكروهات.

*

قلت: رحمك الله، ما معنى المحاسبة؟

قال: قيام العقل على حراسة النفوس من خيانتها، لتتفقد منها زيادتها من نقصانها.

قلت: زدني في شرح البيان في المحاسبة أجلى من هذا.

قال: تقدم بين يدي كل فعل تفعله: لم؟ ولمن؟ فإن كان لله، مضيت فيه، وإن كان لغير الله امتنعت عنه، ولمت نفسك على إشارتها إلى روح دواعي الهوى، وعاقبتها على ذلك، وأثبت عليها جهلها، وبينت عند العقل فضيحتها، وعرفت أنها عدوة لك، لسوء فعلها، وما دعتك إلى ما يقطعك عن خالقها.

قلت: فمن أين مخرج المحاسبة؟

قال: من مخاوف النقص، وشين البخس، والرغبة في زيادة الأرباح. لأن الشريك إنما يحاسب شريكه مخافة البخس والخسران، وأمل رجاء كثرة الأرباح، وكثرة زيادة البضاعة، كما قال ذو النون لبعض العابدات: «بم تجدين الزيادة؟ قالت: بالتفقد والمحاسبة».

قلت: فما ميراث المحاسبة؟

قال: زيادة في البصيرة، وكيس في الفطنة، وسرعة إلى إثبات الحجة، واتساع في المعرفة، وهذا على قدر لزوم القلب للتفتيش.

قلت: بأي شيء يقوى العبد على محاسبة نفسه؟

قال: بثلاث خصال:

أولاها: قطع العلائق التي تشغله عن جمع الهم على المحاسبة، لأن من أراد أن يحاسب غريمه فرغ قلبه من الأشغال.

والثانية: التفرد لها عن غيرها اختياراً منه، لخوف الفوت لما أمل من المحاسبة.

والثالثة: الخوف من الله عز وجل أن يسائله عما فرط فيما بلغه على لسان نبيه عليه السلام حيث قال: «للمؤمن أن يرى في أربع ساعات: ساعة يحاسب فيها نفسه». الحديث.

قلت: لم تخلفت القلوب عن محاسبة النفس؟

قال: من غلبة الهوى والشهوة، لأنهما ضد النظر والعلم والبيان، فمن ثم تخلفت عن محاسبة النفوس، وعميت عن النظر، فلا ترى النفس جميلاً ترغب فيه، ولا قبيحاً تأنف عنه.

قلت: رحمك الله، أخبرني عن الهوى الذي حجبها عن المحاسبة.

قال: الهوى هو: تعلق النفوس بالشهوات، وميلها إلى الراحات، فعلى قدر الشهوات يتمكن منها الضعف، فيستولي عليها الهوى.

قلت: كيف أعاقب نفسي على ما جنت؟

قال: تفرق بينها وبين محابِّها، وتأخذ سوط الخشية لها، بدوام الرعاية لها في سعيها، وتضاعف عليها أورادها، وتزيد في كدها، وتنقص من غذائها، وتقطعها عن ملاذها، وتجرعها غيظ التهديد زجراً لها، حتى يغلب سلطان رعايتك سلطان كبرها.

*

قلت: فما معنى الزهد في الدنيا؟

قال: اختلف الناس في معنى الزهد.

قلت: فما الجواب عندك؟

قال: هو العزوف عن الدنيا ولذاتها وشهواتها.

قلت: ما معنى العزوف؟

قال: انصراف النفس، واعتوار الهم.

قلت: ما معنى انصراف النفس؟

قال: هو أن تميل إلى ما دعا الله عز وجل إليه بنسيان ما وقع بها من طباعها.

قلت: فما اعتوار الهم؟

قال: الانقطاع إلى خدمة المولى.

قلت: اكشف لي عن هذا، وزدني في شرح البيان، لأعرف معنى قولك في الزهد.

قال: الزهد هو الترك والقلى والبغض. ويتفاوت الناس في ترك الدنيا.

قلت: أخبرني: ما الذي يقويني على الزهد في الدنيا بما حضر من الجواب عندك؟

قال: إن الذي يقوي على ترك الدنيا: معرفة القلب بسوء عواقبها، وكثرة الوقوف للحساب على ما أخذ منها، مع دوام الاشتغال بها عن خالقها، وخوف العقاب على مثاقيل الذر منها.

قلت: صف لي حالة أجد العذوبة بها في تركها بلا مكايدة.

قال: بتركها موافقة الله عز وجل في تركها، رجاء وأملاً في الوصول إلى النعيم في جوار الله، والأنس بقربه.

قلت: دلني على حالة من غير ما وصفت، تزيد على قدر علمي، ليتوحش من الدنيا قلبي، وأعلم أن الناس متفاوتون في تركها.

قال: يا فتى، قلب قرعه التنبيه، فدله وأراه ذل العبودية لها، فضن بنفسه عن خدمتها، فاستحيا من الله عز وجل أن يراه خادماً لها. فرمى بها عن قلبه، وانقطع إلى خدمة سيده، وتعزز بملك ربه. فرحلت الدنيا عن قلبه، إذ علم أن في خدمته لها شغلاً عن خدمة غيره، فألبسه الله رداء عمله، واستغنى بخروج خوف الفقر من قلبه، ونفى التعب في ثبوت أسباب الحيلة عن نفسه، فأعتقها من رق عبوديتها، واعتز أن يكون خادماً لها بعزة العزيز الذي أعزه بالاعتزاز عنها.

فصار غنياً من غير مال، وعزيزاً من غير عشيرة. وجرت ينابيع الحكمة من قلبه، ونفذت بصيرته، وسمت همته، وقرب من محبته، وقطع عن نفسه أسباب حيلته. ووصل الوهم إلى منتهى منيته، فتراقى، وارتفع، ووصل إلى روح الفرج من هموم الأطماع، وعذاب الحرص.

قلت: ما علامة عذاب الحرص؟

قال: الطمع في ما لا يستحقه، واشتغال القلب بما لا يناله.

*

قلت: رحمك الله، فيكون زهد في غير المطعم والمشرب والملبس؟

قال: نعم، الزهد في الحياة.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: تبرماً بالدنيا، وبالبقاء فيها، والنظر إلى أهلها وأبنائها في دار العاصين، وحب القدوم على الله عز وجل، ورغبة في جواره مع المقربين.

قلت: قل لي فيه قولاً يبلغه فهمي، ويحتمله عقلي، ويقوى به إيماني، ويضبطه قلبي، وتقوم به جوارحي.

قال: احمل نفسك على ما قامت به الرغبة، وندب إليه العلم، ولا تكونَّن ممن يحدث نفسه بالفترة.

قلت: بِمَ ابتدئ من ذلك.

قال: بترك الشهوات لتستريح من ضررها، وتلزم قلبك قناعة المتخلص بنفسه من آفاتها.

قلت: شيء غير هذا؟

قال: خلع الراحة، وبذل المجهود.

*

قلت: رحمك الله، أخبرني عن العقل ما هو؟

قال: اختلف الناس في ذلك.

قلت: فما الجواب عندك؟

قال: العقول أنوار بصيرة أسكنها الله عز وجل القلوب، يفرق بها العبد بين الحق والباطل، في جميع ما يرد عليه من خطرات قلبه، ونزغات عدوه، ووساوس نفسه، وما تعبد برعايته.

قلت: فالعقول تكتسب، وكل من طلب العقل لحقه، وكيف له علمه، وخبرني عنها محدثة هي أو قديمة، أهي مكتسبة أو موهوبة؟

قال: إن الله تعالى خلق العقول وقسمها بين عباده، مواهب أسكنها القلوب، فمن ثم قلنا: عقلت القلوب عن الله بالمواهب، وبالعقول نيل حسن المواهب، وبالعقول ينبعث على الجد في المكاسب.

قلت: رحمك الله، خبرني عن العقل ما هو؟

قال: نعم يا فتى، إن العقل صفة تدل على معنى موجود في صواب القول وخطئه، وليس بجسم ولا حاسة يحسها، ولا ينظر إليها، ولكن تعرف الجسم كما تعرف الطبيعة.

ألا ترى أنك تقول: بطني متغير، فيقال: هذا عمل طبيعتك؟ فتقول: أجد يبوسة، فيقال: هذا عمل طبيعتك؟

وهكذا يا فتى الرجل، إنما دلَّ لسانهُ على عقله. فإذا كان الصواب فيه قيل: فلان عاقل، وإذا كان الخطأ فيه قيل: فلان أحمق. فاللسان يدل على أن في الجسم نوراً هو: العقل.

قلت: فكأنك قلت لي: إن العقل حالٌّ في البدن، إلا أنه ليس له حدّ يوجد فيه.

قال: نعم، وكفى بالبدن حداً.

قلت: رحمك الله، أخبرني عن هذه العقول، أتزيد وتنقص، أم هي واقفة لا تزيد ولا تنقص؟

قال: لله أبوك، لقد أنشأ لك الأدب، وعلمك المسائل في الصغر، وجمع بينك وبين الفطن.

اعلم يا فتى أن العقل في نفسه غريزة مخلوقة. والعقل عقلان: عقل غريزة، وعقل تجارب. فالغريزة أدركت التجارب، وبالتجارب عقل أن العقل عقل.

*

قلت: ما معنى الاعتبار؟

قال: الاستدلال بالشيء على الشيء.

قلت: ما معنى الاستدلال بالشيء على الشيء؟

قال: هو أن تنظر بقلبك إلى الشيء المتقن، فيلحق قلبك التعجب من نفاذ القدرة، وإتقان الصنع، وحسن التدبير فيه، ثم لم تقع عينك على شيء إلا دلك الشيء على غيره.

قلت: كيف ذلك؟ اشرحه لي.

قال: يدلك المفطور على أن له فاطراً.

قلت: أو لم أعلم قبل ذلك أن له فاطراً؟

قال: بلى، ولكن هذا من طريق التنبيه في الفروع، وذاك من اعتقاد القلوب، لأن الاعتقاد إنما هو تطرية للفكر، وزيادة في الإدمان. ويدلك المفطور ويدلك المخلوق على الزيادة في معرفة الخالق. ويدلك المصنوع على الزيادة في معرفة الصانع، ليكون منك التعظيم له. وتزداد في معرفة القدرة، فتنظر إلى الأشياء بعد ذلك بخالقها، وإلى المصنوع بصانعه، وإلى المفطور بالفاطر، فتنظر إلى الأشياء بعواقبها.

ثم يدلك وجود ما علمت منها على الشيء المغيب عنها، أنه أعجب مما رأيت وعلمت، وأن ما علمت عندما لم تعلم كلا شيءٍ في لا شيء.

قلت: وكيف ذلك؟

قال: إنما تنظر على قدر عقلك، وما سمت إليه همتك، وأصاب وهمك.

قلت: الناس متفاوتون في الاعتبار؟

قال: نعم، على قدر صحة العقول، وقوة الإيمان، وما ورد عليّ من ذلك على قدر اتساع المعرفة.

قلت: شيء غير هذا؟

قال: نعم، على قدر طهارة القلوب، لأن مخرج الاعتبار من القلب. فإذا خرج من قلب طاهر نفذ في الغيب، وسمت به الهمة، وتراقى به الفكر، ولم

يمنعه مانع من الأدناس، فوافق مراد القلب، وصفّى معرفة النفس، كما قال وهب بن منبه: قال الحواريون: يا عيسى، من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون؟ فقال عيسى: هم الذين نظروا إلى باطن الدنيا، حين نظر الناس إلى ظاهرها، وإلى آجل الدنيا، حين نظر الناس إلى عاجلها. وأماتوا ما يخشون أن يميتهم، وتركوا منها ما علموا أنه سيتركهم. فصار استكثارهم منها استقلالاً، وطلبهم لما أدركوا منها فوتاً، وفرحهم بما أصابوا منها حزناً. فما عارضهم من نائلها رفضوه، وما عارضهم من رفعتها بغير الحق وضعوه. وخَلَقَتِ الدنيا عندهم فليس يحيونها، فيبنون بها آخرتهم، ويبيعون دنياهم، فيشترون بها ما يبقى لهم.

رفضوا فكانوا برفضها هم الفرحين، ونظروا الى أهلها غرقى قد حلت بهم المثلات، فأحيوا ذكر الموت، وأماتوا ذكر الحياة الدنيا، يحبون الله عز وجل، ويحبون ذكره، ويستضيئون بنوره.

لهم خبر عجيب، وعندهم أعجب الخبر. بهم قام الكتاب وبه قاموا. وبهم نطق الكتاب، وبه نطقوا. وبهم علم الكتاب وبه علموا. ليس يرون نائلاً مع ما نالوا، ولا أماناً دون ما يرتجون، ولا خوفاً دون ما يحذرون.

*

الرضا: سكون القلب تحت جريان الحكم.

*

من اجتهد في باطنه ورَّثَهُ اللهُ حُسْن مُعامَلَة ظاهره. ومن حَسَّنَ مُعامَلَتَه في ظاهره، مع جُهْدِ باطنه، وَرّثَهُ اللهُ تعالَى الهِدَاية إليه.

*

العِلْمُ يُورِثُ المخافةَ، والزُّهدُ يُورثُ الراحةَ، والمعرفةُ تورِثُ الإنابَةَ.

*

لا يَنْبَغِي أن يَطْلُبَ العبدُ الوَرَعَ بتضييعِ الواجِبِ.

*

التّسْلِيمُ هو الثُّبوتُ عند نُزُولِ البلاءِ، من غير تَغَيُّر مِنْهُ في الظَّاهِرِ والباطنِ.

*

الحزْنُ على وجوه: حُزْنٌ على فَقْدِ أمر يُحَبُّ وجودُه؛ وحزنٌ مخافةَ أمر مُستقبلٍ؛ وحُزْنٌ لما أَحَبَّ من الظّفَرِ بأمرٍ، فَيَتأَخَّرُ عن مُرادِهِ؛ وحُزْنٌ، يَتذَكَّرُ من نفسه مُخالَفَاتِ الحقِّ، فَيَحْزَنُ له.

*

حُسْنُ الْخُلقِ احتمالُ الأذَى، وقِلَّة الغَضَب، وبَسْط الوجه، وطِيبُ الكلام.

*

لكلِّ شيءٍ جَوْهَرٌ، وجَوْهَرُ الإنسانِ العقلُ، وجَوْهَر العقل الصَّبْرُ.

*

العملُ بحركاتِ القلوبِ، في مُطالعاتِ الغُيوب، أشرفُ من العملِ بحركاتِ الجوارِح.

*

من طُبِعَ عَلَى البِدْعَةِ متى يَشِيعُ فيه الحقّ؟

*

الخَلْقُ كلُّهم معذورون في العَقْل، مأخوذون في الُحكْم.

*

المحبة ميلك إلى المحبوب بكليتك، ثم إيثارك له على نفسك وزوجك ومالك، ثم موافقتك له سرّاً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبّه.

*

(...) فتوهم نفسك في نزع الموت وكربه، وغصصه وسكراته، وغمه وقلقه. وقد بدأ الملك يجذب روحك من قدمك، فوجدت ألم جذبه من أسفل قدميك. ثم تدارك الجذب، واستحثَّ النزع، وجذبت الروح من جميع بدنك،

فنشطتْ من أسفلك متصاعدة إلى أعلاك، وحتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه، وعمت آلام الموت جميع جسمك، وقلبك وجِلٌ، محزون مرتقب، منتظر للبشرى من الله عز وجل بالغضب أو الرضا. وقد علمت أنه لا محيص له دون أن تسمع إحدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحك.

فبينما أنت في كربك وغمومك، وألم الموت بسكراته، وشدة حزنك لارتقابك إحدى البشريين من ربك، إذ نظرت إلى صفحة وجه ملك الموت بأحسن صورةٍ أو بأقبحها. ونظرت إليه مادّاً يده إلى فيك ليخرج روحك من بدنك، فذلت نفسك لما عانيت ذلك، وعاينت وجه ملك الموت، وتعلق قلبك بماذا يفجؤك من البشرى منه،

إذا سمعت صوته بنغمته: أبشر يا ولي الله برضا الله وثوابه، فتستيقن حينئذ بنجاحك وفوزك، ويستقر الأمر في قلبك. فتطمئن إلى الله نفسك، أو تستيقن بعطبك وهلاكك، ويحل الإياس قلبك، وينقطع من الله عز وجل رجاؤك وأملك. فيلزم حينئذ غاية الهم والحزن، أو الفرح أو السرور قلبك، حين انقضت من الدنيا مدتك، وانقطع منها أثرك، وحملت إلى دار من سلف من الأمم قبلك.

فتوهّمْ نفسك حين استطار قلبك فرحاً وسروراً، أو ملئ حزناً وعبرة، بفترة القبر وهول مطلعه، وروعة الملكين وسؤالهما فيه عن إيمانك بربك، فمثبت من الله جل ثناؤه بالقول الثابت، أو متحير شاك مخذول.

فتوهم أصواتهما حين يناديانك لتجلس لسؤالهما إياك ليوقفاك على مساءلتهما.

فتوهم جلستك في ضيق لحدك، وقد سقطت أكفانك على حقويك، والفطنة من عينيك عند قدميك.

فتوهم ذلك ... ثم شخوصك ببصرك إلى صورتهما وعظم أجسامهما. فإن رأيتهما بحسن الصورة أيقن قلبك بالفوز والنجاة، وإن رأيتهما بقبح الصورة أيقن قلبك بالهلاك والعطب.

فتوهم أصواتهما وكلامهما بنغماتهما وسؤالهما، ثم هو تثبيت الله إياك إن ثبتك أو تحييره إن خذلك.

فتوهم جوابك باليقين أو بالتحيّر، أو بالتردد والشك.

وتوهم إقبالَهما عليك إن ثبَّتك الله عز وجل بالسرور، وضربَهما بأرجلهما جوانب قبرك بانفراج القبر عن النار بضعفك.

ثم توهم وهي تتأجج بحريقها، وإقبالهما عليك بالقول، وأنت تنظر إلى ما صرف الله عنك، فيزداد لذلك قلبك سروراً وفرحاً، وتوقن بسلامتك من النار بضعفك.

ثم توهم ضربهما بأرجلهما جوانب قبرك، وانفراجه عن الجنة بزينتها ونعيمها،

فتوهم سرور قلبك وفرحك بما عاينت من نعيم الجنان، وبهجة ملكها، وعلمك أنك صائر إلى ما عاينت من نعيمها وحسن بهجتها.

(...) فأعظم بهذا خطراً، وأعظم به عليك في الدنيا غماً وحزناً حتى تعلم أي الحالتين في القبر حالك، ثم الفناء والبلاء بعد ذلك، حتى تنقطع الأوصال، فتفنى عظامك، ويبلى بدنك. ولا يبلى الحزن أو الفرح من روحك، متوقعاً روحك، متطلعاً للقيام عند النشور إلى غضب الله عز وجل وعقابه، أو إلى رضا الله عز وجل وثوابه. وأنت مع توقع ذلك معروضة روحك على منزلك من الجنة أو مأواك من النار.

فيا حسرات روحك وغمومها ويا غبطتها وسرورها حتى إذا تكاملت عدة الموتى، وخلت من سكانها الأرض والسماء، فصاروا خامدين بعد حركاتهم، فلا حسّ يسمع، ولا شخص يرى، وقد بقي الجبار الأعلى كما لم يزل أزلياً واحداً منفرداً بعظمته وجلاله، ثم لم يفجأ روحك إلا بنداء المنادي لكل الخلائق معك.

(...) فتوهم كيف وقوع الصوت في مسامعك وعقلك؟

وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى، فطار فؤادك، وشاب رأسك للنداء؟ لأنها صيحة واحدة للعرض على ذي الجلال والإكرام، والعظمة والكبرياء.

فبينا أنت فزع للصوت، إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك، فوثبت مغبراً من قرنك إلى قدمك بغبار قبرك، قائماً على قدميك، شاخصاً ببصرك نحو النداء. وقد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبرون من غبار الأرض التي طال فيها بلاؤهم.

فتوهم ثورتهم بأجمعهم بالرعب والفزع منك ومنهم.

فتوهم نفسك بعريك ومذلتك، وانفرادك بخوفك وأحزانك وغمومك وهمومك في زحمة الخلائق، عراة حفاة.

فلا تسمع إلا همس أقدامهم والصوت لمدة المنادي، والخلائق مقبلون نحوه، وأنت فيهم مقبل نحو الصوت، ساع بالخشوع والذلة. حتى إذا وافيت الموقف ازدحمت الأمم كلها من الجن والإنس عراة حفاة. قد نزع الملك من ملوك الأرض ولزمتهم الذلة والصَّغار، فهم أذل أهل الجمع وأصغرهم خلقة وقدراً، بعد عتوهم وتجبرهم على عباد الله عز وجل في أرضه.

ثم أقبلت الوحوش من البراري وذرى الجبال ... منكسة رؤوسها لذل يوم القيامة، بعد توحشها وانفرادها من الخلائق ذليلة ليوم النشور لغير بلية نابتها، ولا خطيئة أصابتها.

فتوهم إقبالها بذلها في اليوم العظيم ليوم العرض والنشور. وأقبلت السباع بعد ضراوتها وشهامتها منكسة رؤوسها ذليلة ليوم القيامة، حتى وقفت من وراء الخلائق بالذل والمسكنة، والانكسار للملك الجبار.

وأقبلت الشياطين بعد عتوها وتمردها، خاشعة لذل العرض على الله سبحانه. فسبحانه الذي جمعهم بعد طول البلاء، واختلاف خلقهم وطبائعهم، وتوحش بعضهم من بعض، قد أذلهم البعث، وجمع بينهم النشور.

*

حتى إذا تكاملت عدة أهل الأرض من إنسها وجنها وشياطينها ووحوشها وسباعها وأنعامها وهوامها، واستووا جميعاً في موقف العرض والحساب، تناثرت نجوم السماء من فوقهم، وطمست الشمس والقمر، وأظلمت الأرض بخمود سراجها وإطفاء نورها.

فبينما أنت والخلائق على ذلك، إذ صارت السماء الدنيا من فوقهم، فدارت بعظمها من فوق رؤوسهم، وذلك بعينك تنظر إلى هول ذلك.

ثم انشقت بغلظها خمسمائة عام، فيا هول صوت انشقاقها في سمعك. ثم تمزقت وانفطرت بعظيم هول يوم القيامة، والملائكة قيام على أرجائها، وهي حافات ما يتشقق ويتفطر.

فما ظنك بهول تنشق فيه السماء بعظمها، فأذابها ربها حتى صارت كالفضة المذابة تخالطها صفرة لفزع يوم القيامة.

(...) فبينما ملائكة السماء الدنيا على حافتها إذ انحدروا محشورين إلى الأرض للعرض والحساب، وانحدروا من حافتيها بعظم أجسامهم وأخطارهم وعلو أصواتهم بتقديس الملك الأعلى الذي أنزلهم محشورين إلى الأرض بالذلة والمسكنة للعرض عليه، والسؤال بين يديه.

فتوهم تحدرهم من السحاب بعظيم أخطارهم، وكبير أجسامهم، وهول أصواتهم، وشدة فرقهم، منكسين لذل العرض.

فيا فزعك وقد فزع الخلائق مخافة أن يكونوا أمروا بهم، ومسألتهم إياهم: أفيكم ربنا؟ ففزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لمليكهم أن يكون فيهم. فنادوا بأصواتهم تنزيهاً لما توهمه أهل الأرض: سبحان ربنا ليس هو بيننا ولكنه آت، حتى أخذوا مصافهم محدقين بالخلائق منكسين رؤوسهم لذل يومهم.

فتوهمهم وقد تسربلوا بأجنحتهم، ونكسوا رؤوسهم في عظم خلقهم بالذل والمسكنة والخشوع لربهم، ثم كل شيء على ذلك، وكذلك إلى السماء السابعة، كل أهل سماء مضعفين بالعدد، وعظم الأجسام، وكل أهل سماء محدقين بالخلائق صفاً واحداً.

حتى إذا وافى الموقف أهل السموات السبع، والأرضين السبع، كسيت الشمس حر عشر سنين، وأدنيت من رؤوس الخلائق قاب قوس أو قوسين، ولا ظل لأحد إلا ظل عرش رب العالمين. فمن بين مستظل بظل العرش، وبين مضحو بحر الشمس، قد صهرته بحرها، واشتد كربه وقلقه من وهجها.

ثم ازدحمت الأمم وتدافعت، فدفع بعضها بعضاً، وتضايقت فاختلفت الأقدام، وانقطعت الأعناق من العطش، واجتمع حر الشمس ووهج أنفاس الخلائق، وتزاحم أجسامهم، ففاض العرق منهم سائلاً حتى استنقع على وجه الأرض. ثم علا الأبدان على قدر مراتبهم ومنازلهم عند الله عز وجل بالسعادة والشقاء، حتى إذا بلغ من بعضهم العرق كعبيه، وبعضهم حقويه، وبعضهم إلى شحمة أذنيه، ومنهم من كاد أن يغيب في عرقه، ومن قد توسط العرق من دون ذلك منه.

فتوهم نفسك لكربك، وقد علاك العرق، وأطبق عليك الغم، وضاقت نفسك في صدرك من شدة العرق والفزع والرعب. والناس معك منتظرون لفصل القضاء إلى دار السعادة أو إلى دار الشقاء، حتى إذا بلغ المجهود منك ومن الخلائق منتهاه، وطال وقوفهم لا يكلمون ولا ينظرون في أمورهم. فما ظنك بوقوفهم ثلاثمائة عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة، ولا يلفح وجوههم روح ولا طيب نسيم، ولا يستريحون من تعب قيامهم ونصب وقوفهم، حتى بلغ الجهد منهم ما لا طاقة لهم به.

فبينما أنت واقف مع الخلائق، إذ نظرت إلى الملك، وقد أمر أن يحضر بالزبانية، بأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من النار، فلما رأيتهم فهبتهم طار قلبك فزعاً ورعباً.

فبينما أنت كذلك إذ نودي باسمك، فنوديت على رؤوس الخلائق الأولين والآخرين: أين فلان بن فلان؟ هلم إلى العرض على الله عز وجل، وقد

وكل الملائكة بأخذك حتى يقربوك إلى ربك، فلم يمنعها اشتباه الأسماء باسمك أن تعرفك لما ترى بك أنك المراد بالدعاء المطلوب.

فوثبت على قدميك ترتعد فرائصك، وتضطرب جوارحك، متغيراً لونك، فزعاً مرعوباً، مرتضًّاً قلبك في صدرك بالخفقان. فلما عاينتك الملائكة الموكلون بأخذك، قد حل بك الاضطراب والارتعاد والمخافة، علمت أنك أنت المُراد من العباد، فأهوت إليك بأيديها، فقبضت عليك بعنفها، ثم جذبتك إلى ربك عز وجل، كما تجذب الدواب المنقادة، تتخطى بك الصفوف محثوثاً إلى العرض على الله عز وجل، والوقوف بين يديه، وقد رفع الخلائق إليك أبصارهم، وأنت مجذوب إلى ربك عز وجل فيما بينهم.

فتوهم حين وقفت بالاضطراب والارتعاد.

وتوهم مباشرة أيديهم على عضديك، وغلظ أكفهم حين يأخذونك.

فتوهم نفسك محثوثة في أيديهم، وتوهم تخطيك الصفوف، طائراً فؤادك، متخلصاً قلبك.

فتوهم نفسك في أيديهم كذلك حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن، فقذفوا بك من أيديهم، وناداك الله عز وجل بعظيم كلامه: ادن مني يا ابن آدم، فغيبك في نوره، فوقفت بين يدي رب عظيم جليل كبير كريم بقلب خافق محزون، وطرف خائف خاشع ذليل، ولون متغير، وجوارح مرتعدة مضطربة، كالجمل الصغير حين تلده أمه، ترتعد بيدك صحيفة محبرة لا تغادر بلية كسبتها ولا مخبأة أسررتها. فقرأت ما فيها بلسان كليل، وحجة داحضة، وقلب منكسر، فكم لك من حصن وخجل وجبن من المولى الذي لم يزل إليك محسناً، وعليك ساتراً. فبأي لسان تجيبه حين يسألك عن قبيح فعلك، وعظيم جرمك، وبأي قدم تقف غداً بين يديه، وبأي نظر تنظر إليه، وبأي قلب تحتمل كلامه العظيم الجليل ومساءلته وتوبيخه؟

فتوهم نفسك بصغر جسمك، وارتعاد جوارحك، وخفقان قلبك، وقد سمعت كلامه بتذكير ذنوبك وإظهار مساوئك، وتوفيقك بمخبآتك.

فتوهم نفسك بهذه الهيئة، والأهوال بك محدقة من خلفك، فكم من بلية قد نسيتها، قد ذكرتها، وكم من سريرة قد كنت كتمتها قد أظهرها وأبداها، وكم من عمل، قد ظننت أنه قد خلص لك وسلم بالغفلة منك إلى ميل الهوى عما يفسده، قد رده في ذلك الموقف عليك وأحبطه، بعدما كان أملك فيه عظيماً.

فيا حسرات قلبك، وتأسفك على ما فرطت في طاعة ربك، حتى إذا كرر عليك السؤال بذكر كل بلية، ونشر كل مخبأة، فأجهدك الكرب، وبلغ منك الحياء منتهاه، لأنه الملك الأعلى، فلا حياء يكون من أحد أعظم من الحياء منه، لأنه القديم الأول الباقي الذي ليس له مثل، المحسن المتعطف المتحنن الكريم الجواد المنعم المتطول.

فما ظنك بسؤال من هو هكذا، وقد أبان عن مخالفتك إياه، وقلة هيبتك له، وحيائك منه، ومبارزتك له. فما ظنك بتذكيره إياك مخالفته، وقلة اكتراثك في الدنيا بالطاعة له، ونظرك إليه، إذ يقول: يا عبدي أما أجللتني، أما استحييت مني، واستخففت بنظري إليك؟ ألم أحسن إليك، ألم أنعم عليك؟ ما غرك مني، شبابك فيم أبليته، وعمرك فيم أفنيته، ومالك من أين اكتسبته وفيم أنفقته، وعملك ماذا عملت فيه؟

فإذا تبالغ فيك الجهد من الغم والحزن والحياء بدا لك منه أحد الأمرين: الغضب، أو الرضا عنك والحب لك. فإما أن يقول: يا عبدي أنا سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فقد غفرت لك كبير جرمك، وكثير سيئاتك، وتقبلت منك يسير إحسانك. فيستطير بالسرور والفرح قلبك، فيشرق لذلك وجهك.

فتوهم نفسك حين قالها لك، فابتدأ إشراق السرور ونوره في وجهك بعد كآبته وتكشفه من الحياء من السؤال والحصر من ذكر مساوئ فعلك، فاستبدلت بالكآبة والحزن سروراً في قلبك، فأسفر وجهك، وابيضَّ لونك.

فتوهم رضاه عنك حين سمعته منه، فثار في قلبك فامتلأ سروراً، وكدت أن تموت فرحاً، وتطير سروراً، ويحق لك، فأي سرور أعظم من السرور والفرح برضا الله عز وجل؟

فوالله تعالى لو أنك مت فرحاً في الدنيا حين توهم رضاه في الآخرة لكنت بذلك حرياً، وإن كنت لم تستيقن برضاه في الآخرة، ولكن آملاً لذلك، فكيف بك مستيقناً له في الآخرة؟ ولو توهمت نفسك وقد بدا لك منه الرحمة والمغفرة، كنت حقيقاً أن تطير روحك من بدنك فرحاً، فكيف أن لو قد سمعت من الله عز وجل الرضا عنك والمغفرة لك، فأمن خوفك، وسكن حذرك، وتحقق أملك ورجاؤك بخلود الأبد، وأيقنت بفوزك ونعيمك أبداً لا يفنى ولا يبيد بغير تنقيص ولا تكذيب.

فتوهم نفسك بين يدي الله عز وجل، وقد بدا لك منه الرضا، وطار قلبك فرحاً، وابيض وجهك، وأشرق وأنار وأحال عن خلقته، فصار كأنه القمر ليلة البدر.

ثم خرجت على الخلائق مسروراً بوجه محبور، قد حل به أكمل الجمال والحسن، يسطع نوراً مشرقاً بلألائه، تتخطاهم بالجمال والحسن والنور والضياء، كتابك بيمينك، أخذ بضبعيك ملك ينادي على رؤوس الخلائق: هذا فلان بن فلان سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً.

لقد شهرك ربك عز وجل بالرضا عنك عند خلقه، ولقد حقق حسن ظن الظانين، وأبطل تهم المتهمين لك. وإن في هذه المنزلة غداً على رؤوس الخلائق لعوضاً من المنزلة عند العباد بطاعته والتصنع لهم زهداً في المنزلة عندهم، والتعظيم عندهم بطاعة ربه عز وجل بصدق معاملته وحده لا شريك له، عوضك المنزلة الكبرى على رؤوس الخلائق، فشهرك برضاه عنك وموالاته إياك.

فتوهم نفسك وأنت تتخطى الخلائق، وكتابك في يمينك بجمال وجهك ونوره، وفرح قلبك وسروره، وقد شخصت أبصارهم إليك غيظة لك وتأسفاً

على أن ينالوا من الله عز وجل ما نلت، فليعظم من الله عز وجل في طلب ذلك أملك ورجاؤك، فإنه عز وجل إن تفضل عليك نلت ذلك، فهذا أحد الأمرين الذي أنت بينهما على خطر.

*

وأما الأمر الآخر: فإما أن يقول لك: عبدي أنا غضبان عليك فعليك لعنتي، فلن أغفر لك عظيم ما آتيت، ولن أتقبل منك ما عملت، فيقول لك ذلك عند بعض ذنوبك العظيمة: أتعرفها؟ فتقول: نعم وعزتك، فيغضب عليك فيقول: وعزتي لا تذهب بها مني، فنادى الزبانية فيقول: خذوه، فما ظنك بالله عز وجل يقولها بعظيم كلامه وهيبته وجلاله.

فتوهّم إن لم يعْف عنك، وقد سمعتها من الله عز وجل بالغضب، وأسند إليك الزبانية بغضاضتها، وغلظ أكفها، مستدفرة بأزمة من النيران، غضاباً لغضب الله عز وجل بالعنف عليك، والغلظ والتشديد. فلم تشعر حين قالها إلا ومجسة غلظ أكفهم في قفاك وعنقك.

فتوهم غلظ أكفهم حين قبضوا على عنقك بالعنف، يتقربون إلى الله عز وجل بعذابك وهوانك.

فتوهم نفسك مستجذباً ذليلاً، موقناً بالهلاك وأنت في أيديهم وهم ذاهبون بك إلى النار، مسوداً وجهك، تتخطى الخلائق بسواد وجهك، وكتابك في شمالك تنادي بالويل وبالثبور، والملك أخذ بضبعيك ينادي: هذا فلان بن فلان شقي شقاء لا يسعد بعده أبداً.

لقد شهرك بالغضب والسخط عليك، ولقد تمت فضيحتك عند خلقه، فأخلف حسن ظن الظانين بك، وحقق تهم المتهمين لك. ولعله إن فعل ذلك بك فعله بتصنعك لطاعته عند عباده بطلب المنزلة عندهم بسقوط المنزلة والجاه عنده، ففضحك عند من آثرته عليه في المعاملة، ورضيت بحمده على طاعة ربك عز وجل عوضاً من حمده إياك تبارك وتعالى.

فتوهم ذلك، ثم توهمه، واذكر هذا الخطر وكن مفكراً حذراً، أي الأمرين يرتفع بك وأي الأمرين قد أُعِدَّ لكَ.

فتوهّم ما حلّ من الوجل بفؤادك حين رفعت طرفك، فنظرتَ إليه مضروباً على جهنّم بدقته ودحوضه، وجهنّم تخفق بأمواجها من تحته. فيا له من منظرٍ ما أفظعه وأهوله، وقد علمت أنك راكب فوقه وأنت تنظر إلى سواد جهنم من تحته، وتسمع قصيف أمواجها وجلبة ثورانها من أسفلها، والملائكة تنادي: ربنا من تريد أن تجيزه على هذا؟ وتنادي: ربنا ربنا سلم سلم.

فبينما أنت تنظر إليه بفظاعة منظره إذ نودي مُرُوا الساهرة، فلم تشعر إلا وقد رفعت الأرض من تحتك وتحت الخلائق لأن تبدل، ثم بدلت بأرض من فضة، فإذا الخلائق منثورون على أرض من فضة بيضاء، ثم قيل لك وأنت تنظر إلى الجسر بفظاظته، وقيل للخلق معك: اركبوا الجسر.

فتوهم خفقان فؤادك وفزعه، وقد قيل لك اركب الجسر، فطار عقلك رعباً وفزعاً. ثم رفعت أحد قدميك لتركبه، فوجدت بباطن قدميك حدته ودقته، فطار قلبك فزعاً. ثم ثنيت الأخرى فاستويت عليه راكباً، وقد أثقلتك أوزارك، وأنت حاملها على ظهرك، ثم صعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته، والخلائق بين يديك ومن ورائك عرفاً واحداً فصعدت عليه بطيران قلبك حتى بلغت ذروته، ثم انحدرت باضطرابه بك، والخلائق عليه عرف واحد يضطرب بهم خفقان جهنم تحته، فتهافت الناس من بين يديك ومن ورائك.

فتوهم صعودك بضعفك عليه، وقد نظرت إلى الزالين والزالات من بين يديك ومن خلفك، وقد تنكست هاماتهم، وارتفعت على الصراط أرجلهم، وأخذت الملائكة بلحى الرجال وذوائب النساء من الموحدين، إذ الأغلال في أعناقهم، وفارت إليهم النار بطلبتها، وفارت وشهقت على هاماتهم، وبادرت شرر النار إلى هاماتهم فتناولتها، ثم جذبت هاماتهم إلى جوفها وهم ينادون

ويصرخون، وقد أيسوا من أنسهم، وهم لاجتذاب النار لهاماتهم فيها ينحدرون، وهم بالويل ينادون، وأنت تنظرُ إليهم مرعوباً خائفاً أن تتبعهم فتزل قدمك، فتهوي من الجسر، وتنكسر قامتك، وترتفع على الصراط رجلاك.

فتوهمك ذلك في الدنيا بعقل فارغ وشفقة على ضعف بدنك، مخفف للمرور عليه، فإن أهوال يوم القيامة إنما تخفف على أولياء الله عز وجل الذين توهموها في الدنيا بعقولهم، فعظم خطر النجاة عندهم، فتحملوا من ثقل همومها في الدنيا على قلوبهم، وحرقة خوفها على ضرورتهم، فخففها في القيامة بذلك عليهم مولاهم، فألزم قلبك توهمها، والخوف منها والغم بها لأنه يخففها عليك بذلك ويهونها، لأنه آلى على نفسه ألا يجمع على أوليائه الخوف في الدنيا والآخرة.

فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف، وضعف البدن، وإن يكن مغضوباً عليك غير معفى عنك، ولم تشعر إلا وقد زلت قدمك عن الصراط.

فتوهم نفسك إن لم يعف عنك إن زلت رجلك عن الصراط، فقلت في نفسك مع ذلك: ذهبت أبداً هذا الذي كنت أحاذر وأخاف، وطار عقلك، ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك، وارتفعت عن الصراط رجلاك، فلم تشعر إلا والكلّوب قد دخل في جلدك ولحمك، فجذبت به.

وبادرت إليك النار ثائرة غضبانة لغضب مولاها، فهي تجذبك وأنت تهوي من الجسر، وتنادي حين وجدت مس نفحها: ويلي ويلي، وقد غلب على قلبك الندم والتأسف إلا كنت أرضيت الله عز وجل فرضي عنك، وأقلعت عما يكره قبل أن تموت فغفر لك، حتى إذا صرت في جوفها

التحمت عليك بحريقها، وقلبك قد بلغ غاية حرقته ومضيضه، فتورمت في أول ما ألقيت فيها. ونادى الله عز وجل النار، وأنت مكبوب على وجهك تنادي بالويل والثبور.

فناداها: ﴿هَلِ امْتَلأْتِ﴾*، فسمعت نداءه وسمعت إجابتها له: ﴿هَلْ مِنْ مَزِيدٍ﴾** يقول هل من سعة وأنت في قعرها، وهي تتلهب في بدنك، لها قصيف في جسدك، ثم لم تلبث أن تقطر بدنك، وتساقط لحمك، وبقيت عظامك، ثم أن أطلقت النار على ما في جوفك فأكلت ما فيه.

فتوهم كبدك والنار تدخل فيها، وأنت تنادي، فلا ترحم وتبكي وتعطي الندم إن رددت ألا تعود، فلا تقبل توبتك، ولا يجاب نداؤك.

فتوهم نفسك وقد طال فيها مكثك، وألح العذاب، فبلغت غاية الكرب، واشتد بك العطش، فذكرت الشراب في الدنيا، ففرغت إلى الجحيم، فتناولت الإناء من يد الخازن الموكل بعذابك، فلما أخذته نشَّت كفك من تحته! وتفسخت لحرارته، وهيج حريقه، ثم قربته إلى فيك فشوى وجهك، ثم تجرعته فسلخ حلقك، ثم وصل إلى جوفك فقطع أمعاءك، فناديت بالويل والثبور، وذكرت شراب الدنيا وبرده ولذته، ثم أقلعت الحريق، فبادرت إلى حياض الحميم لتبرد، كما تعودت في الدنيا الاغتسال والانغماس في الماء إذا اشتد عليك الحر، فلما اغتمست في الحميم تسلخ من قرنك إلى قدمك، فبادرت إلى النار رجاء أن تكون هي أهون عليك، ثم اشتد عليك حريق النار فرجعت إلى الحميم، وأنت تطوف بينها وبين الحميم، وهو الذي قد انتهى حره، وتطلب الروح فلا روح بين الحميم والنار ... تطلب الروح فلا روح أبداً.

---

* سورة ق، آية 30.

** سورة ق، آية 30.

فلما اشتد بك الكرب والعطش، وبلغ منك المجهود، ذكرت الجنان، فهاجت غصة من فؤادك الى حلقك أسفاً على جوار الله عز وجل وحزناً على نعيم الجنة، ثم ذكرت شرابها وبرد مائها وطيب عيشها، فتقطع قلبك حسرة لحرمان ذلك.

ثم ذكرت أن فيها بعض القرابة من أب أو من أم أو من أخ وغيرهم من القرابة، فناديتهم بصوت محزون من قلب محترق قلق: يا أماه، أو يا أبتاه، أو يا أخاه، أو يا خالاه أو يا عماه، أو يا أختاه، شربة من ماء .. فأجابوك بالخيبة. فتقطع قلبك حسرات بما خيبوا من أملك وبما رأيت من أملك، وبما رأيت من غضبهم عليك لغضب ربك عز وجل.

ففرغت إلى الله بالنداء بالمرجع والعتبى أن يردك إلى الدنيا، فمكث عنك دهراً طويلاً لا يجيبك هواناً بك، وأن صوتك عنده ممقوت، وجاهك عنده ساقط.

ثم ناداك بالخيبة منه أن ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾* فلما سمعت نداءه بجلال كلامه بالتخسية لك ابتداء ... فمثلك لا يجاب، ومناخرك وفوك ملجومة بلجام، فبقي نفسك متردداً في جوفك لا مخرج له، فضاقت نفسك في صدرك، وبقيت قلقاً تزفر لا تطيق الكلام، ولا يخرج منك نفس.

ثم أراد أن يزيدك إياساً وحسرة، فأطبق أبواب النار عليك وعلى أعدائه فيها. فما ظنك إن لم يعف عنك وقد سمعت رجوف بابها قد أغلق؟

فيا إياسك وإياس سكان جهنم حين سمعوا وقع أبوابها تطبق عليهم، فعلموا عند ذلك أن الله عز وجل إنما أطبقها لئلا يخرج أحد أبداً. فتقطعت قلوبهم إياساً، وانقطع الرجاء منهم ألا فرج أبداً ولا مخرج منها، ولا محيص لهم من عذاب الله عز وجل أبداً.

---

* سورة المؤمنون، آية: 108.

(...) أحـزان لا تنقضـي وغمـوم لا تنفـذ وسـقم لا يبـرأ وقيـود لا تحـل وأغلال لا تفك أبداً وعطش لا يُروون بعده أبداً وكرب لا يهدأ أبداً وجوع لا يشبعون بعده أبداً إلا بالزقوم ينشب في حلوقهم فيستغيثون بالشراب ليسوغوا بـه غصصـهم، فيقطـع أمعـاءهم، وحسـرة فـوت رضـوان الله عـز وجـل فـي قلوبهم، وكمد حرمان جوار الله عز وجل عليهم فلا يرضـى عنهم أبداً. إذ أبغضهم ومقتهم، وسقطوا من عينه، وهانوا عليه فأعرض عنهم.

فلـو رأيتهم وقـد عطشـوا وجـاعوا. فنـادوا مـن أهـل الجنـة الأقربـاء، فقـالوا جميعاً: يا أهل الجنـة، يا معشـر الآبـاء والأمهات والإخوة والأخوات، خرجنا من قبورنا عطاشـى، وأوقعنـا بين يدي الله عز وجل عطاشـى، وأمر بنـا إلـى النــار عطاشــى، أفيضــوا علينــا مــن المــاء أو ممــا رزقكـم الله فأجـابوهم بالتخسية، فتراجع فـي قلـوبهم الحسـرة والندامـة، فهـم فيهـا يتقلبـون لا ينفح وجـوههم روح أبـداً، ولا يـذوقون منهـا بـارداً أبـداً، ولا يطبقـون جفـونهم علـى غمض نوم أبداً، فهم في عذاب دائم وهوان لا ينقطع.

فمثل نفسك بهـذا الوصـف إن لـم يعـف عنـك، فلـو رأيـت المعذبين فـي خلقهـم، وقـد أكلـت النــار لحـومهم، ومحــت محاسـن وجـوههم، وانـدرس تخطيطهم، فبقيت العظام مواصلة محترقة مسودة وقد قلقوا واضطربوا في قيودهم وأغلالهم، وهم ينادون بالويل والثبور، ويصرخون بالبكاء والعويل، إذاً لذاب قلبك فزعاً من سوء خلقهم، وتضعفت من رائحة نتنهم، ولما بقي روحك في بدنك من شدة وهج أبدانهم وحرارة أنفاسهم، فكيف بك إن نظرت إلـى نفسـك فيهـا وأنـت أحـدهم؟ وقـد زال مـن قلبـك الأمـل والرجـاء، ولزمـه القنـوط والإيـاس، وعطفـت علـى بـدنك فتقحمـت فـي الحـدقتين، فسـمعت تفصيصـهما انتقاماً وبدلاً من نظرك إلـى مـا لا يحـب ولا يرضـى، ودخلت

النار في مسامعك، فتسمع لها فيه تقصيفاً وجلبة، والتحفت عليك فنفضت منك العظام، وذوبت اللحام، أطلت إلى الجوف، فأكلت الكبد والأحشاء، فغلبت على قلبك الحسرات والندامة والتأسف.

(...) فإن كنت من أهل العفو والتجاوز، فتوهم إن تفضل الله عز وجل عليك بالعفو والتجاوز ممرك الصراط، ونورك معك يسعى بين يديك، وعن يمينك وكتابك بيمينك، مبيض وجهك، وقد فصلت من بين يدي الله عز وجل، وأيقنت برضاه عنك، وأنت على الصراط مع زمر العابدين ووفود المتقين، والملائكة تنادي: سلم سلم، والوجل مع ذلك لا يفارق قلبك ولا قلوب المؤمنين.

فتوهم نفسك وأنت تمر خفيفاً مع الوجل.

فتوهم ممرك على قدر خفة أوزارك وثقلها، وقد انتهيت الى آخره، فغلب على قلبك النجاة، وعلا عليك الشفق، وقد عانيت نعيم الجنان وأنت على الصراط، فحق قلبك على جوار الله عز وجل، واشتاق إلى رضا الله، حتى إذا صرت إلى آخره خطوت بإحدى رجليك إلى العرصة التي بين آخر الجسر وبين باب الجنة، فوضعتها على العرصة التي بعد الصراط، وبقيت القدم الأخرى على الصراط، والخوف والرجاء قد اعتليا في قلبك وغلبا عليك. ثم ثنيت بالأخرى فجزت الصراط كله واستقرت قدماك على تلك العرصة، وزلت عن الجسر ببدنك وخلفته وراء ظهرك، وجهنم تضطرب من تحت من يمر عليها، وتثب على من زل عنه مغتاظة تزف عليه وتشهق إليه.

ثم التفتَّ إلى الجسر فنظرت إليه باضطرابه، ونظرت إلى الخلائق من فوقه، وإلى جهنم من تحته تثب وتزفر على الذين زلزلوا عن الصراط لها

في رؤوسهم وأنحائهم قصيف، فطار قلبك فرحاً إذ رأيت عظيم ما نجاك الله منه، فحمدت الله وازددت له شكراً، إذ نجوت بضعفك من النار، وخلفت النار وجسرها من وراء ظهرك، متوجهاً إلى جوار ربك.

ثم خطوت آمناً إلى باب الجنة قد امتلأ قلبك سروراً وفرحاً، فلا تزال في ممرك بالفرح والسرور حتى توافي أبوابها، فإذا وافيت بابها استقبلك بحسنه، فنظرت إلى حسنه ونوره وحسن صورة الجنة وجدرانها، قلبك مستطير فرح مسرور متعلق بدخول الجنة حين وافيت بابها أنت وأولياء الرحمن.

فتوهم نفسك في ذلك الموكب، وهم أهل كرامة الله ورضوانه، مبيضة وجوههم، مشرقة برضا الله، مسرورون فرحون مستبشرون. وقد وافيت باب الجنة بغبار قبرك، وحر المقام ووهج ما مر بك، فنظرت إلى العين التي أعدها الله لأوليائه وإلى حسن مائها، فانغمست فيها مسروراً، لما وجدت من برد مائها وطيبه، فوجدت له برداً وطيباً، فذهب عنك حزن المقام وطهّرك من كل دنس وغبار، وأنت مسرور لما وجدت من طيب مائها لما باشرته، وقد أفلت من وهج الصراط وحره، لأنه قد يوافي بابها من أحرقت النار بعض جسده بلفحها وقد بلغت منه، فما ظنك وقد انفلت من حر المقام ووهج أنفاس الخلائق، ومن شدة توهج حر الصراط فوافيت باب الجنة بذلك، فلما نظرت إلى العين قذفت بنفسك فيها.

فتوهم فرحة فؤادك لما باشرت برد مائها بدنك بعد حر الصراط، ووهج القيامة، وأنت فرح لمعرفتك أنك إنما تغتسل لتتطهر لدخول الجنة والخلود فيها، وأنت تغتسل منها دائباً، ولونك متغير حسناً، وجسدك يزداد نضرة وبهجة ونعيماً، ثم تخرج منها في أحسن الصور وأتم النور.

فتوهم فرح قلبك حين خرجت منها فنظرت إلى كمال جمالك، ونضارة وجهك وحسنه، وأنت عالم موقن بأنك تتنظف للدخول إلى جوار ربك، ثم تقصد إلى العين الأخرى فتتناول من بعض آنيتها.

فتوهم نظرك إلى حسن الإناء وإلى حسن الشراب، وأنت مسرور بمعرفتك أنك إنما تشرب هذا الشراب لتطهر جوفك من كل غل، وجسدك ناعم أبداً. حتى إذا وضعت الإناء على فيك ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله، ولم تعود شربه، فيسلس من فيك إلى جوفك، فطار قلبك مسروراً لما وجدت من لذته، ثم نقي جوفك من كل آفة، فوجدت لذة طهارة صدرك من كل طبع كان فيه ينازعه إلى الغموم والهموم، والحرص والشدة، والغضب والغل.

فيا برد طهارة صدرك، ويا روح ذلك على فؤادك!

*

أبو العباس بن مسروق الطوسي*

- ما التصوفِ؟
- خُلُوُّ الأسرار مما عنه بُدّ، وتعلّقها بما ليس منه بدّ.

*

من لم يَحتَرِز بعقله، من عقله، لعقله، هلك بعقله.

*

مَن راقبَ الله تعالى في خَطَرات قلبِه، عَصَمَه اللهُ في حركات جوارِحه.

*

التقوى ألا تَمُدَّ عينَيك إلى زَهْرة الدنيا، ولا تُفَكِّر بِقَلْبك فيها.

*

شجرةُ المعرفة تُسقَى بماء الفِكْرة.
وشجرُة الغفلة تُسْقَى بماء الجهل.
وشجرة التوبةِ تُسْقَى بماء الندامة.
وشجرة المحبَّةِ تُسْقَى بماء الاتِّفاقِ والمراقبةِ والإيثارِ.

*

كنت آوي إلى مسجد؛ وفيه سِدْرَة يأوي إليها بلبلان، ففقد أحدهما صاحبه. وبقي الآخر على غصن ثلاثة أيام، لا ينزل يرعى، ولا يلتقط من الأرض شيئاً. فلما كان في الثالث، آخر النهار، مَرَّ به بلبل آخر، فصاح، فذكَّره صاحبه، فسقط ميتاً.

*

* من رفاق الحارث المحاسبي، مات ببغداد سنة 200 هـ.

شقيق البلخي*

سبعة أبواب يُسلكُ بها طريق الزهاد:

الصبر على الجوع بالسرور لا بالفتور، بالرضا لا بالجزع،

والصبر على العري بالفرح لا بالحزن،

والصبر على طول الصيام بالتفضل لا بالتعسف، كأنه طاعم ناعم،

والصبر على الذل بطيب نفسه لا بالتكره،

والصبر على البؤس بالرضا لا بالسُّخط، وطول الفكرة في ما يودع بطنه من المطعم والمشرب، ويكسو به ظهره من أين، وكيف، ولعل، وعسى.

فإذا كان في هذه الأبواب السبعة، فقد سلك صدراً من طريق الزهاد وذلك الفضل العظيم.

*

اصحبْ الناس كما تصحب النار: خذ منفعتها، واحذرْ أن تحرقك.

*

اسْتَعِدَّ! إذا جاءَكَ الموت لا تَسْأَلِ الرَّجْعَةَ.

*

الزاهد هو الذي يقيم زهده بفعله، والمتزهد هو الذي يقيم زهده بلسانه.

*

---

* من مشاهير مشايخ خراسان، صحبَ إبراهيم بن أدهم، عاشَ في القرن الثاني الهجري.

مَيِّزْ بين ما تُعْطِي وتُعْطَى: إنْ كان مَنْ يُعطيكَ أحبَّ إليك فإنّك محبٌّ للدنيا؛ وإنْ كان مَنْ تُعْطِيه أحبَّ إليكَ فَإنّك مُحِبٌّ لِلآخِرَة.

*

اتَّقِ الأَغْنِياءَ! فَإنَّكَ متى عَقَدْتَ قَلْبَك مَعَهُم، وطَمِعتَ فيهم، فقد اتَّخذتَهُم أرباباً مِن دون اللهِ.

*

الصَّبْرُ والرّضا شكلانِ؛ إذا تعمَّدتَ في العملِ فإنَّ أوّلهُ صَبْرٌ، وآخرَهُ رِضاً.

*

إذَا أرَدْتَ أَنْ تكونَ في راحةٍ، فَكُلْ ما أَصَبْتَ، والبَسْ ما وَجَدْتَ، وارْضَ بما قَضَى اللهُ عَلَيْك.

*

مَن دَارَ حولَ العُلوِّ، فإنما يدورُ حولَ النَّارِ. ومن دارَ حَوْل الشهواتِ، فإنه يدورُ بِدَرجاتهِ في الجنةِ ليَأكُلَها، ويُنْقصها في الدُّنيا.

*

جَعَلَ اللهُ أهلَ طاعتِه أحياءَ في مماتِهم، وأهلَ المعاصِي أمواتاً في حياتِهم.

*

أبو يزيد البسطامي*

جَنَّنني بي فمتّ،
ثم جَنّنني به فعشت،
ثم جَنّنني عنّي وعنه، فغبت،
ثم أوقَفني في درَجة الصّحو، وسألني عن أحوالي الثلاث، فقلت:
الجنون بي فناء، والجنون بك بقاء.

*

العارف طيّار، والزاهد سيَّار.

*

– ما التوكل؟**
– ما تقول أنت؟
– إن أصحابنا يقولون:
لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرُّك.
– نعم؛ هذا قريب؛ ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعّمون وأهل النار في النار يُعذّبون، ثم وقع لك تمييز عليهما خرجت من جملة التوكّل.

*

للخلق أحوال، ولا حال للعارف؛ لأنه محيت رسومه. فنيت هويته بهوية غيره، وغُيِّبت آثاره بآثار غيره.

*

---

* (188–261 هـ).

** سؤال يطرحهُ أبو موسى الدبيليّ على أبي يزيد في حوارٍ بينهما.

أرسل ذو النون إلى أبي يزيد رجلاً، وقال له: قل له إلى متى النوم والراحة، وقد جازت القافلة؟

فقال أبو يزيد: قل لأخي ذي النون: الرجل من ينام الليل كله، ثم يصبح في المنزل قبل القافلة.

فقال ذو النون: هنيئاً له؛ هذا كلام لا تبلغه أحوالنا.

*

الصوفية أطفال في حِجْر الحق.

*

رَفَعنْي مرة فأقامني بين يديه وقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يحبُّون أن يروك. فقلتُ زَيِّني بوحدانيتك، وأَلْبِسني أنانيتَك، وارفعني إلى أحدِّيتك، حتى إذا رآني خَلْقُك قالوا: رأيناك . فتكون أنت ذاك، ولا أكون أنا هناك.

*

أولَ ما صِرْتُ إلى وحدانيته: فصرتُ طيراً من الأحدَية. وجناحاه من الديموميّة. فلم أزل أطير في هواء الكيفية عشر سنين حتى صرتُ إلى هواء مثل ذلك مئةَ ألفِ مرة. فلم أزل أطيرُ إلى أن صرتُ في ميدان الأزلية. فرأيت فيها شجرة الأحدية، ثم وصف أرضَها وأصلها وفرعها وأعضاءها وثمارها ثم قال: فنظرتُ فعلمتُ أن هذا كله خُدْعة.

*

أشرفتُ على ميدان الليسية فما زلتُ أطير فيه عشر سنين حتى صرتُ مِنْ لَيْسَ في لَيْسَ بلَيْسَ. ثم أشرفتُ على التضييع حتى ضِعْتُ في الضياع ضياعاً؛ وضِعْتُ فضِعْتُ عن التضييع بليس في ليس في ضَياعة التضييع؛ ثم أشرفتُ على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف وغيبوبة العارف عن الخلق.

*

ضربتُ خيمتي بإزاء العرش.

*

كنتَ لي مرآةً، فصرتُ أنا المرآة.

*

أشرف الحق على أسرار العالم فشاهدها خاليةً منه، غيرَ سريّ فإنه رأى منه مَلاءً فخاطبني معظمّاً لي بأن قال: كل العالم عبيدي غيرك.

*

طاعتك لي يا رب أعظم من طاعتي لك.

*

بطشي أشد من بطشه بي.

*

لأن تراني مرةً خيرٌ لك من أن ترى ربّك ألف مرة.

*

سبحاني! ما أعظم شأني!

*

من عرف الله صار للجنة ثواباً. وصارت الجنة عليه وبالاً.

*

الجنة هي الحجاب الأكبر، لأن أهل الجنة سكنوا إلى الجنة، وكُلُّ من سكن إلى الجنة سكن إلى سواه، فهو محجوب.

*

ما النار؟! لأستندنّ إليها غداً وأقول: اجعلني لأهلها فداء أو لأبلعَنّها! ما الجنة؟! لُعْبة صبيان.

*

إن لله خواصَّ من عباده لو حجبهم في الجنة من رؤيته ساعةً استغاثوا بالخروج من الجنة كما يستغيث أهل النار بالخروج من النار.

*

غَلِطتُ في ابتدائي في أربعة أشياء: توهمت أنّي أذكره وأعرفه وأحبُّه وأطلبه. فلما انتهيت رأيت ذكره سبق ذكري. ومعرفته سبقت معرفتي. ومحبته أقدم من محبّتي، وطلبه لي أولاً.

*

غبتُ عن الله ثلاثين سنة. وكانت غيبتي عنه ذكري إياه. فلما خَنَسْتُ عنه وجدته في كل حالٍ حتى كأنّه أنا.

*

طلقتُ الدنيا ثلاثاً ثلاثاً بتاتاً لا رجعة فيها. وصرتُ إلى ربي وحدي فناديته بالاستغاثة: إلهي! أدعوك دعاءَ من لم يبق له غيرك! فلما عرف صِدْق الدعاء من قلبي والإياسَ من نفسي كان أولُ ما ورد عليَّ من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية. ونَصَبَ الخلائق بين يدي مع إعراضي عنهم.

*

رأيت ربَّ العزة في المنام فقلت: كيف الطريق إليك؟ فقال: اترك نفسك، وتعالَ.

*

غُصْتُ في بحار الأعمال أربعين سنة، فصعدت فإذا أنا مربوط بكل زُنّار.

*

ما من أحدٍ إلا وقد غَرِق في بحر الأعمال غيري، فإني قد غرقت في بحر البر.

*

- من تطلب؟*
- أطلبُ أبا يزيد.
- مُرْ! ويحك! فليس في الدار غير الله.

*

- من تطلب؟**
- يا بُنَيّ! أبو يزيد يطلب أبا يزيد منذ أربعين سنة.

*

رُبَّ أحدٍ قريب منا بعيد عنا. ورُبَّ أحد بعيد عنا قريب منّا.

*

إن الله تعالى هداني للزراعة. فزرعت في نفسي أنواع العبادة. ثم أرشدني للقِصارة. فلم أزل أغسل نفسي بأنواع الطهارات والمياه، فلم أرها طهرت بعد.

*

النساء أحسن حالةً منا: إن المرأة تصير كل شهر طاهرة، وربما تصير طاهرة في الشهر مرتين. فتغتسل من الحيض. ونحن لا نكاد نصير طاهرين في عمرنا مرة واحدة.

*

يستزيد أبو يزيد، ولا مزيد على التوحيد.

*

---

* أبو يزيد يسأل رجلاً دقّ عليه باب داره.

** أبو يزيد يسأل رجلاً قصده من أصحاب ذي النون المصري؛ ولمّا جاوبه أبو يزيد هذا الجواب عاد الرجل وأخبر ذا النون بالجواب فغشيَ عليه.

– بماذا نلت هذه الدرجة؟*

– جمعت أسباب الدنيا كلها فربطتها بحبل القنوع، ووضعتها في منجنيق الصدق، ورميت بها في بحر الإياس، فاسترحت.

*

– بماذا نلت ما نلت؟**

– بلا شيء.

*

– بأي شيء يصل العبد إلى الله تعالى؟***

– بالخَرَس والصَّمم والعمى.

*

– بماذا نالوا ما نالوا؟****

– بتضييع ما لَهم. وشهود ما لَهُ.

*

– بماذا بلغت إلى ما بلغت؟*****

– عملت أشياءَ أولها: اتخذته سبحانه معلماً.

فقلت: إن لم يكفِك ربُّك لم يَكْفِكَ غيرُه في السموات والأرض، وشغلت لساني بذكره وبدني بخدمته، كلما أَعْيَتْ جارحةٌ رَجَعْتُ إلى الأخرى.

ثم قيل: أبو يزيد أبو يزيد!

*

---

* سؤال موجّه لأبي يزيد.

** سؤال آخر.

*** يُسأل أيضاً.

**** أبو يزيد يُسأل.

***** يُسأل أيضاً.

- بماذا وجدت هذه المنزلة؟*

- دع عنك وجود المنزلة؛ ولكن أكرمني الحق بثماني كرامات، ثم بعده ناداني: يا أبا يزيد!

أوله: رأيتُ نفسي متأخراً. ورأيتُ الخلق قد سبقوني؛

والثاني: رضيتُ بأن أُحْرَق بالنار بدلَ خلقه شفقةً عليهم؛

والثالث: كان قصدي إدخال الفَرَحِ في قلب المؤمن؛

والرابع: لم أمسك شيئاً قط لغدٍ؛

والخامس: أردت رحمة الله بالناس أكثر مما أردتها بنفسي؛

والسادس: بذلتُ جهدي في إدخال السرور على المؤمن وإخراج الغمّ من قلبه؛

والسابع: ابتدأت بالسلام على من لقيني من المؤمنينَ من شفقتي عليهم؛

والثامن: قلت لو غَفَر الله لي يوم القيامة وأذن لي بالشفاعة لشفعت أولاً من آذاني وجفاني، ثم من بَرّني وأكرمني.

*

- إن أبا يزيد يسرف في الكلام.**

- وما بلغك من إسرافه في كلامه؟

- سمعناه يقول: سبحاني! سبحاني! أنا رَبِّي الأعلى.

- إن الرجل مُسْتَهْلَكٌ في شهود الإجلال، فنطق بما استهلكه لذهوله عن الحق عن رؤيته إياه؛ فلم يشهد إلا الحق تعالى؛ فنعته فنطق به ولم يكن من علم ما سواه ولا من التعبير عنه ضنّاً من الحق به. ألم تسمعوا مجنون بني عامر لما سئل عن اسم نفسه فقال: ليلى. فنطق بنفسه ولم يكن من شهود إياه فيه.

---

* سؤال موجّه لأبي يزيد.

** شخص يشكو إسراف أبي يزيد لأبي القاسم الجنيد، والجنيد يجيب.

وبلغنا أنه قيل له: أنت من أنت؟ قال: أنا مَنْ لَيْلى، ومن لَيْلى أنا.

*

هذا فرحي بك وأنا أخافك؛ فكيف فَرَحي بك إذا أَمِنْتُك!

*

ما من عبد اصطنعه الله لنفسه وشغله بذكره وحماه عن مخالفته، وجعل له محادثة بقلبه،

إلا سلّط عليه فرعون على كل حال من ذلك، ينكره ويؤذيه.

*

طلبت الله ثلاثين سنة، ظننت أنني أردته فإذا هو أرادني.

*

- إنك تذكر بالزهد والعبادة ولا أعرف لك كثير عبادة.*

- إن الزهد والعبادة والمعرفة مِنِّي انشقّتْ.

*

قال أبو موسى: قلت لأبي يزيد: كيف أصبحتَ؟

قال: لا صباحَ ولا مساء؛ إنما الصباح والمساء لمن تأخذه الصفة، وأنا لا صفة لي.

*

خالفت أمّي مرتين، فأصابتني المَضَرَّة كل مرة: مرةً قالتْ لي بأن ألقي الشيح من السطح إلى أسفل الدار فكنت أرميها فقالت: أَمْسِك! فقدمت فرميت قطعة منها؛ فأردت أن أدركها طاعةً لها وامتثالاً لأمرها فسقطتُ من السطح وانقرح أنفي. فكنت أرى ذلك القرح من خلافي لها وتركي أمرها.

---

* رجل ينتقد أبا يزيد.

ومرةً أمرتني بالاستقاء وقالت: احمل جرة. فحملت جَرّتين. فلمّا بَرَزْتُ جاء سكران وضربني وكسر جرّتي. فرأيت ذلك من خلافي أمرها.

*

– بِمَ بلغتَ ما بلغت؟*

– أنتم تقولون ما تقولون، وإنما أرى ذلك من رضا الأمِّ.

*

الاتصال بالله على أربعة مقامات:

المقام الأول: واقفين متألمين من ثِقْل ما يَردُ عليهم من الواردات وهم مُتَفَرعون؛

والمقام الثاني: يطردهم من حيث يعلمون، ويردهم من باب آخر؛

والمقام الثالث: يؤخرهم فيقولون: لا نبرح؛

والمقام الرابع: قد أحاط بهم، فليس يمكنهم البَرَاحُ.

*

– هل يقع للعارف عن الله حجبة؟**

– لا. لأن حجابه هويته.

*

كنت اثنتي عشرة سنة حَدّاد نفسي، وخمس سنين مرآة نفسي، وسنة أنظر في ما بينهما، فإذا في وسطي زنار ظاهر فعملت في قطعه اثنتي عشرة سنة. ثم نظرتُ فإذا في بطني زُنّار، فعملت في قطعه خمس سنين أنظر كيف أقطع فكشف لي ذلك؛ فنظرتُ إلى الخلق فرأيتهم مَوْتى، فكبّرْتُ عليهم أربع تكبيرات.

*

---

* رجل يسأل أبا يزيد عن حاله.

** سؤال موجّه لأبي يزيد.

إذا طابت نفس الرجل بقلبه، وطرب قلبه بحسن ظنّه بربّه، وصح ظنه بإرادته، واتصلت إرادته بمشيئة خالقه، فشاء بمشيئة الله ونظر بموافقة الله وتَرَقّع قلبُه برفعة الله وتحركت نفسه بقدرة الله وصار حيثما شاء هذا العبد بمشيئة الله تعالى ونزل حيث شاء الله في كل مكان علماً وقدرة.

فهذا العبد كان معه في كل مكان ولا يخلو منه مكان.

فإذا كان هذا العبد مع الله فلا يخلو منه مكان.

وإذا لم يكن مع الله فليس هو في مكان.

نَفَس الرجل متصل بقلبه، وقلبه متصل بظنّه، وظنّه متصل بإرادته، وإرادته بمشيئة الله تعالى.

قال الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي. فإذا كان الله عند ظن العبد إذا ظن فكأن العبد حيثما كان الله، كما أن الله لا يخلو عن العبد حيث كان العبد؛ كذلك العبد لا يخلو عن الله بالله حيثما كان الله، والله لا يخلو من مكان دون مكان. فإذا صح حسنُ ظن العبد بالله وقع ظنه بربه، وقلبه بظنه، ونفسه بقلبه، فصار من حيث شاء إلى حيث شاء بمشيئة الله ويأتيه كل شيء هو على مكانه بلا عناء: يأتيه المشرق والمغرب كله: فكلما ظن بمكان فالمكان يحضره. وهو لا يحضر المكان. إذ هو لا يزول وثم لا يزول، إذ هو مع من لم يزل ولا يزال، إذ هو من هو لم يزل ولا يزال. فافهم ذلك؛ تتبعه الأشياء. ولا يتبع شيئاً، إنما الأشياء كلها كائن من الله.

*

قد قلتُ لتلامذتي*: من لم يكن منكم يوم القيامة شفيعاً في أهل النار فيدخلهم الجنة لم يكن لي تلميذاً. فقال له أبو يزيد: ولكن قد قلتُ أنا لهم:

* أحد مشائخ الصوفية يتحدث أمام أبي يزيد.

ليس من تلامذتي إلا من وقف يوم القيامة، فكل من أُمِر من الموحدين إلى النار أخذ بيده وأدخله الجنة.

*

يا غلام!* تُحْسِن أن تصلّي؟

فقال: نعم إن شاء الله.

فقال له كيف تصلي؟

قال أكبّر بالتلبية وأقرأ بالترتيل وأركع بالتعظيم وأسجد بالتواضع وأسلّم بالتودّع.

يا غلام! إذا كان لك هذا الفهم والفضل والمعرفة، فلمَ تدع الناس يتمسحون بك؟

ليس بي يتمسحون، لكن يتمسحون بحلية حلّانيها ربّي. فكيف أمنعهم من ذلك، وذلك لغيري!

*

كنت أطوف حول البيت أطلبه؛ فلما وصلت إليه رأيت البيت يطوف حولي.

*

الناس يقولون به، وأنا أقول منه.

*

– بم نِلْتَ؟**

– انسلخْتُ من نفسي كما تنسلخ الحية من جلدها. ثم نظرت إلى نفسي فإذا أنا هو.

*

* أحد مشائخ الصوفية يحاور أبا يزيد وهو ما يزال حدثاً.

** أبو يزيد يُسأل.

إن الماء إذا وقف في مكان نتن، فكن بحراً لا تنتن.

*

تراني عيون الخلق أني مثلهم، ولو رأوني كيف صفتي في الغيب، لماتوا دهشاً.

*

الوصل مثل الفصل؛ ثم الفصل من الوصل؛ ولكل واحد منهما اسم ومُجْرى. ولكل مُجْرى منهم علم فصل، فإذا وصل بفصله أعطى علم غيب أزَلِهِ. فإذا كمل فيه استحكامه رجع الفصل إلى الفصل بلا إزالة الوصل ولا نَفي الفصل.

انتهى الأمر إلى معرفة لا إله إلا الله. انتهى إلى معرفة ثنائي وإلى غاية كمالي.

*

الرجل هو الرجل الذي يكون جالساً وتجيئه الأشياء أو يكون جالساً وتخاطبه الأشياء حيث كان.

*

أدخَلني معه مُدخلاً أراني الخلق كلهم بين إصبعي.

*

حججتُ أول حجة فرأيت البيت؛ وحججت الثانية فرأيت صاحب البيت ولم أر البيت. وحججت ثالثاً فلم أر البيت ولا صاحب البيت.

*

أدنى صفة العارف أن تَجري فيه صفات الحق وجنس الربوبية.

*

العابد يعبده بالحال؛ والعارف يعبده في الحال.

*

وددت أن الله تعالى جعل الدنيا لقمة واحدة فأعطانيها حتى أَنْبِذَها بين يَدَي كلب حتى لا يغترَّ بها الخلق. ولو عذبني في نار جهنم مكان الخلق جميعاً لما كان مني بكبير بما ادعيت أني أحبه؛ ولو غفر لجميع الخلق لما كان منه بكبير حيث قال: إني على الخلق رؤوف رحيم.

*

أنا اللوح المحفوظ.

*

لا تغترُّوا باللوائح، فإنها تلوح من متاهات يضيع فيها من لا سابقة له.

*

توبة الناس من ذنوبهم وتوبتي من قولي: لا إله إلا الله. إني أقول بالآلة والحروف، والحق خارج عن الحروف والآلة.

*

لو تغفر من رأس آدم إلى يوم القيامة غفرت عن قبضة تراب. ولو تحرق بالنار من رأس آدم إلى يوم القيامة أحرقت قبضة تراب.

*

كنت ثلاثين سنة أذكر الله. ثم سكنت، فإذا حجابي ذكْرِي له.

*

من نظر إلى الخلق بعين العلم مَقَتهم وهرب إلى الله عز وجل. ومن نظر إليهم بعين الحقيقة عذرهم وكان طريقاً لهم إليه.

*

منذ ثلاثين سنة كلما أردت أن أذكر الله عز وجل تمضمضتُ، وأغسل لساني إجلالاً لله عز وجل.

*

كمال العارف احتراقه بحبّه لربه.

*

من أظهر من نفسه علم الأزل يحتاج أن يكون معه نورُ الذات.

*

من لم ينظر إلى شاهدي بعين الاضطرار، وإلى أوقاتي بعين الاغترار، وإلى أحوالي بعين الاستهزاء، وإلى كلامي بعين الافتراء، وإلى عبادي بعين الاجتراء، وإلى نفسي بعين الإزْراء، فقد أخطأ النظر فيّ.

*

ذكرته بذكر أصناف خلائقه حتى ذكر أصناف الخلائق لذكري. ثم ذكرته بذكره حتى ذكرني لذكري.

*

– متى يصل العبد إلى الله تعالى؟*

– يا مسكين! وهل وصل إليه أحد! لو بدا للخلق منه ذرة ما بقي الكون، ولا ما هو فيه!

*

– عجبت ممن عرف الله كيف يعصاه!**

– عجبتُ ممن عرف الله كيف يعبده!

*

– ما التصوّف؟

– صفةُ الحق يلبسها العبد.

*

رأيت ربّ العزة في المنام فقال لي: كل الناس يطلبون مِنّي، غير أنك تطلبني.

*

---

* أبو يزيد يُسأل.

** رجل يقول هذه العبارة أمام أبي يزيد، وأبو يزيد يردّ عليه.

إن في الطاعات من الآفات ما لا تحتاجون إلى أن تطلبوا المعاصي.

*

- أستاذ!* أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر وأقوم الليل، وقد تركت الشهوات ولستُ أجد في قلبي من هذا الذي تذكره شيئاً بتّةً. وأنا أؤمن بكل شيء تقول وأصدّق به.

- لو صُمْتَ ثلاثمائة سنة وقُمْتَ ثلاثمائة سنة وأنت على ما أراك، لا تجد من هذا العلم ذرة.

- ولِمَ يا أستاذ؟

- لأنك محجوب بنفسك.

- فلهذا دواء حتى ينكشف هذا الحجاب؟

- نعم! ولكنك لا تقبل ولا تعمل.

- بلى! أنا أقبل وأعمل ما تقول.

- اذهبْ الساعة إلى الحجّام واحلق رأسك ولحيتك، وانزع عنك هذا اللباس، واتّزر بعباءة، وعَلّق في عنقك مخلاة، واملأها جوزاً واجمع حولك صبياناً وقلْ بأعلى صوتك: يا صبيان! من صفعني صفعة أعطيته جوزة. وادخل إلى سوقك التي تعظم فيه وينظر إليك كلُّ من عرفك على هذه الحالة.

- يا أبا يزيد! سبحان الله! تقول لي مثل هذا ويحسن أن أفعل هذا؟

- قولك: سبحان الله شِرْكٌ.

- وكيف؟

- لأنّك عظّمت نفسك، فسبّحتها.

- يا أبا يزيد! هذا ليس أقدِر عليه ولا أفعله؛ ولكن دُلّني على غير هذا حتى أفعله.

---

* رجل من مريدي أبي يزيد المخلصين يسأله.

فقال لـه أبو يزيد: ابتدئْ بهذا قبل كل شـيء حتـى تُسقط جاهك وتُذِل نفسك، ثم بعد ذلك أعَرِّفك ما يصلح لك.

- لا أطيق هذا.

- قلت إنك لا تقبل وأنا أعلم.

*

سِرْ فـي ميدان التوحيد حتـى تصـل إلـى دار التفريـد؛ وطِـرْ فـي ميدان التفريد حتـى تلحق وادي الديموميـة. فإن عطشـت، سقاك كأسـاً لا تظمـأ من الذكر بعدها أبداً.

*

من عرف الله صار على النار عذاباً.

ومن جهل الله صارت عليه عذاباً؛

ومن عرف الله صار للجنة ثواباً، وصارت الجنة عليه وبالاً.

*

رأيت ربّ العزة في المنـام فقال: إيش تريد؟ فقلـت: أريد أن لا أريد غير ما تريد. فقال لـي: أنا لك كما كنت لـي.

*

غلطـت فـي ابتداء أمري؛ حسبتُ أنـي ذكرتـه فإذا هـو ذكرنـي قبل ذكري له،

وحسبتُ أنـي أطلبه وأنـي أعرفه فإذا هو عرفني قبل معرفتي له،

وحسبتُ أنـي أحبّه فإذا هو أحبّني قبل محبّتي له؛

وحسبت أنـي أعبده فإذا هو قد جعل خلائق الأرض في خدمتي.

*

لم أزل أسوق نفسي إليه وهي تبكي حتى ساقتني إليه وهي تضحك.

*

سمعت مرة في الغيب: يا أبا يزيد! كيف ترى فِعْلي بك؟ فقلتُ: فعلك بي. ثم رفعني إلى مكنون غيبه فقال: يا عزيزي! كن غيباً في غيبي. فقلت: يا عزيزي! أنتَ غيب نفسك في نفسك.

*

مثلي مثل بحر مصطلم، لا أول له ولا آخر.

*

غيب معروف، وشهود مفقود، وأنا في الغيب محضور، وفي الشهود موجود.

*

هلموا إلى رغبةِ الزاهدين، وشوقِ الدارجين، وركونِ المتناسين، وحبِّ الواصلين، وحلاوة المتصلين، وأُنْس ربّ العالمين.

*

على الباب صوتٌ وصياح واضطراب من شوق صاحب الدار وخوفه؛ وفي الدار سكون وتعظيم وهيبة وأدب لمعرفة صاحب الدار.

*

كن فارس القلب، راجل النفس.

*

أنا ربّي الأعلى.

*

- كيف الطريق؟*
- غِبْ عن الطريق تَصِلْ إلى الله.

*

---

* أبو يزيد يُسأل.

أهل المعرفة مع الله على ثلاثة مقامات:
فقوم طلبوا الله من حيث الغفلة عنه،
وقوم هربوا من الله من حيث العجز عنه،
وقوم أوقفهم في ما لا طلب لهم معه ولا هَرَبَ لهم عنه.

*

- ﴿إنَّ بَطْشَ رَبِّك لَشَديدٌ﴾.*
- وحياتِه، إن بطشي أشد من بطشه.

*

- بلغنا أنك من السّبعة؛**
- أنا كُلُّ السبعة.

*

سبحاني! سبحاني! ما أعظم سلطاني!

*

ليس لمثلي مثل في السماء يوجد، ولا لمثلي صفة في الأرض تعرف.

*

صفاتي غائبة في غيبه، وليس للغيب صفاتٌ تعرف.

*

أنا لا أنا، أنا أنا. لأني أنا هو أنا. أنا هو هو.

*

من تكلّم في الأزل يحتاج أن يكون معه سراج الأزل.

*

* سورة البروج، آية: 12. رجل يقرأ هذه الآية أمام أبي يزيد.
** رجل يستفسر من أبي يزيد.

من تكلم في بسط الديمومية يحتاج أن يكون معه نور الديمومة.

*

من تكلّم في بهاء الربوبيّة يحتاج أن يجري فيه جنس الربوبية.

*

أوقفني الحق بين يديه ألف موقف؛ في كلِّ موقف يعرض عليَّ المملكة فأقول: لا أريدها. فقال لي في آخر الموقف: يا أبا يزيد! أتريد؟ فقلتُ: أريد أن لا أريد.

*

لا يزال العارف يَعرف، والمعارف تُعرف، حتى يهلك العارف في المعارف، فيتكلم العارف عن العارف، ويبقى العارف بلا معارف.

*

إلهي! إن كان في سابق علمك أنّك تعذّب أحداً من خلقك بالنار فعظّم خلقي حتى لا يسع معي غيري.

*

قطعتُ المفاوز حتى بلغت إلى البوادي، وقطعتُ البوادي حتى وصلت إلى الملكوت؛ وقطعتُ الملكوت حتى وصلتُ إلى المُلْك. فقلت: الإجازة! قال: قد وهبتُ لك جميع ما رأيت. قلتُ: إنك تعلم أني لم أرَ شيئاً من ذلك. قال: فما تريد؟ قال أريد أن لا أريد. قال: قد أعطيناك.

*

رُفِعْتُ مرة حتى أقمتُ بين يديه فقال لي: يا أبا يزيد! إن خلقي يريدون أن يروك. قال أبو يزيد: يا عزيزي! إني لا أحب أن أراهم، فإن أحببت ذلك مني فإني لا أقدر أن أخالفك؛ فزيّني بوحدانيتك حتى إذا رآني خلقك قالوا:

رأيناك. فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك. ففعل ذلك، فأقامني وزيّنني ورفعني ثم قال: اخرجْ إلى خلقي! فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق. فلما كانت الخطوة الثانية غشي عليّ فنادى: ردُّوا حبيبي فإنه لا يصبر عَنِّي.

*

لمّا صرتُ إلى وحدانيته، وكان أول لحظة إلى التوحيد، أقبلت أسير بالفهم فيه عشر سنين حتى كَلَّ فهمي، فصرت طيراً جسمه من الأحدية وجناحاه من الديمومة. فلم أزل أطير في هواء الكيفيّة عشر سنين طيران بُعْدَ ما بين العرش إلى الثرى ثمانمائة ألف ألف مرة، فلم أزل حتى جاوزت الديمومية. ثم أشرفت على التوحيد في غيبوبة الخلق عن العارف، وغيبوبة العارف عن الخلق.

*

لم أزل أبكي حتى ضحكتُ؛ ولم أزل أضحك حتى صرت لا أضحك ولا أبكي.

*

لما أشرفني على التوحيد طلقتُ نفسي وصرتُ إلى ربي وناديته بالاستغاثة إليه. قلت: يا مولاي! أدعوك دعاء من لم يبق له غيرك. فلما عرف صدقي في الدعاء مع إياسي من نفسي كان أول ما ورد عليّ من إجابة هذا الدعاء أن أنساني نفسي بالكلية فأنساني الخلائق والملكوتات.

فتخليتُ من الهموم وبقيتُ بلا هَمٍّ؛ فلم أزل أقطع مملكةً مملكةً فإذا صرت إليهم قلتُ لهم: قوموا حتى أجوز. فأقيمهم وأجوز حتى صرتُ إليه: فقرّبني قريباً جعل لي إليه سبيلاً أقرب من الروح إلى الجسد. ثم قال: يا أبا يزيد! إنهم كلهم خَلقي غيرك. فقلتُ: فأنا أنت، وأنت أنا.

*

إن الله أمر عباده ونهاهم، فلما أطاعوه خلع عليهم من خِلَعِه خِلْعةً فاشتغلوا بالخلعة عنه. وأنا لا أريد من الله إلا الله.

*

كان ابتداء أمري أن أقامني الحق تعالى على أبواب العلماء وصحبة المتعلمين دهراً طويلاً. فلما استكثرت من أنواع العلوم جعلت نفسي تحدثني أنك قد علمت وعرفت؛ والعالم والعارف في أعلى المراتب. فأشرف بي الحق تعالى، حتى رأيت ازدحام العلماء والعارفين، فلم أرَ لنفسي معهم موضع قدم فتلاشيتُ وانصرفت ولم أصل إلى الحق. فقلت: العلم والمعرفة من غير حقيقةٍ حجة. وكان عندي أن الحقيقة في العلم والاجتهاد . فأقامني الحق تعالى مع المصلّين في الجماعة والمحاريب دهراً طويلاً لم يكن يفوتني مع الإمام التكبيرة الأولى. فأشرف بي الحق تعالى حتّى أراني المصلّين الراكعين الساجدين على الباب. فلم أر لنفسي معهم موضع قدم، فتلاشيتُ وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى.

فأقامني مع الصائمين دهراً طويلاً ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام الصائمين الجائعين الواصلين صيام النهار بقيام الليل على الباب؛ فلم أر لنفسي معهم موضع قدم؛ فانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى.

فأقامني مع زُوَّار بيته دهراً طويلاً. ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام المُلَبِّين المُحْرِمين الفجاجين الثجاجين من كل فج عميق قاصدين إليه فلم أر لنفسي معهم موضع قدم. فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى.

فأقامني مع المجاهدين أضرب معهم السيوف في وجوه أعدائه دهراً طويلاً. ثم أشرف بي حتى أراني ازدحام المجاهدين القاتلين أعداءه، المقتولين المزمّلين بكلومهم بين يديه؛ فلم أر لنفسي معهم موضع قدم؛ فتلاشيت وانصرفت ولم أصل إلى الحق تعالى.

فقلت: إلهي! ارحمني وارحم حَيرتي وأقم بعبدك مقاماً أتقرّب إليك لا ينافسني في ذلك المقام منافس، ولا يزاحمني فيه مزاحم. فلقد أُشْرِفَ بي على من سبقوني إليك رأيتني لا أطيق اللحوق بهم. فناداني الحق: يا أبا يزيد! إنه لا يتقرّب إليّ متقرِّب بمثل من يأتيني بما ليس لي. قلت: إلهي! وما الذي ليس لك وأنت لا تقرب من يأتيك به؟ ومن أين لي ما ليس لك؟ فقال: يا أبا يزيد! ليس لي فاقة ولا فقر؛ فمن ابتغى لديّ الوسيلة بها قَرَّبْتُه من بساطي.

قلت: اللهم أشْرِف بي على ذوي الفقر والفاقة. فأشرف بي؛ فإذا هم شرذمة قليلون لا أرى هناك ازدحاماً ولا تنافساً؛ ولا أرى لهم على الباب جَلَبة ولا صياحاً. فعاهدته لا أؤثر على الفقر والفاقة شيئاً.

فها أنا معه على هذا العهد، فليس من ساعة إلا وتأتيني منه كرامة جديدة. فقلت: إلهي! هذا شيء خصصتني به من بين خلقك. قال: هذه الكرامة لا ينالها إلا من آثر الفقر والفاقة وصبر عليهما وأنس بهما.

*

غبت في الجبروت وخُضْتُ بحار الملكوت وحُجُب اللاهوت حتى وصلت إلى العرش فإذا هو خالٍ. فألقيت نفسي عليه وقلت: سيدي! أين أطلبك؟ فكشف فرأيت أني أنا، فأنا أنا؛ أُوَلّي فيما أطلب، وأنا لا غيري فيما أسير.

*

العارف فوق ما يقال، والعالم دون ما يقول؛
والعارف ما فرح بشيء قط ولا يخاف من شيء قط؛
والعارف يلاحظ ربّه، والعالم يلاحظ نفسه.

*

نظرت إلى ربي بعين اليقين بعدما صرفني عن غيره وأضاءني بنوره، فأراني عجائب من سِرّه، وأراني هويته.

فنظرت بهويته إلى أنائيتي فزالت: نوري بنوره، وعزتي بعزته، وقدرتي بقدرته، ورأيت أنائيتي بهويته وإعظامي بعظمته ورفعتي برفعته. فنظرتُ إليه بعين الحق فقلت له: من هذا؟ فقال: هذا لا أنا ولا غيري لا إله إلا أنا. فغيّرني عن أنائيتي إلى هويته، وأزالني عن هويتي بهويته وأراني هويته فرداً فنظرتُ إليه بهويته.

فلما نظرتُ إلى الحق بالحق رأيت الحق بالحق، فبقيت في الحق بالحق زماناً لا نَفَس لي ولا لسان ولا أذن لي، ولا علم حتى إن الله أنشأ لي علماً من علمه ولساناً من لطفه وعيناً من نوره. فنظرت إليه بنوره وعلمتُ من علمه وناجيته بلسان لطفه فقلتُ: ما بالي بك؟ فقال: أنا لك بك، لا إله غيرك.

قلت: لا تَغُرَّني بي! أنا لا أرضى بي عنك دونك، فأرضى بك عنك دوني. فمَنَّ عليَّ به دوني. فناجيته به دوني.

فقلتُ: ما لي من بدٍّ عنك يا مناي.

فقال لي: عليك بأمري ونهيي. فقلتُ: وما لي من أمرك ونهيك؟

قال: ثنائي عليك في أمري ونهيي. أشكرك على ما أتيتك من أمري وأحبك على ما انتهيت من نهيي.

فقلت: إن شكرت فمنٌّ نفسك بشكره، وإن ذممت فلست أنت موضع المذمة يا مناي ويا رجائي من بلائي، ويا شفاي من شقائي. أنت الآمر، وأنت المأمور؛ ولا إله غيرك.

فسكت عَني. فعلمت أن سكوته رضاه. ثم قال: مَنْ عَلّمكَ؟ قلت: السائل أعلم من المسئول. أنت المجيب وأنت المجاب. أنت السائل وأنت المسئول؛ لا إله غيرك.

انقطع حجة الله عليّ به فرضيت عنه به، ورضي به عليّ به: إذا أنا به، وهو هو، لا إله إلا هو.

ثم أنارني بنور الذات، ونظرت إليه بعين الفضل فقال: سَلْ ما شئت من فضلي أعطيته. قلتُ: أنت أفضل من فضلك. وأنت أكرم من كرمك؛ رضيت منك بك: وانتهيت إليك، لا تعرض عليّ غيرك؛ ولا تردني عنك بشيء دونك؛ لا تغرني بلطفك ولا بكرمك ولا بفضلك. فالفضل منك بدأ؛ وإليك يعود. أنت المعيد وأنت المعاد. وأنت المريد وأنت المراد. انقطع المراد عنك. وانقطع السؤال بك عنك.

فلم يُجِبْني زماناً. ثم أجابني وقال: حقٌّ ما قلت؛ وحقٌّ ما سمعت. وحقٌّ ما رأيت وحقٌّ ما حققت. قلت: بلى! أنت الحقُّ وبالحقِّ يُرى الحقُّ؛ أنت الحقُّ وبالحقِّ يتحقّق الحقُّ؛ وإلى الحقِّ وبالحقِّ يُسمع الحقُّ؛ أنت السامع وأنت المُسمع وأنت الحقُّ وأنت المُحِقّ لا إله غيرك.

فقال: ما أنت إلا الحق؛ بالحق نطقت،

فقلتُ بل أنت الحقُّ. وكلامك حقٌّ، والحقُّ بك حقٌّ. أنت أنت لا إله غيرك.

فقال لي: وما أنت؟ قلت: له: ما أنت؟ قال: أنا الحق. فقلت: أنا بك. قال: إذا كنت أنت بي فأنا أنت وأنت أنا.

فقلت: لا تغرني بك عنك. بلى! أنت أنت، لا إله غيرك. فلما أن صرتُ إلى الحقِّ وأقمت مع الحقِّ بالحقِّ أنشأ لي جناح العز والكبرياء. فطِرْتُ بجناحي فلم أبلغ منتهى عزه وكبريائه. فدعوته بالاستغاثة به عنه في ما لا طاقة لي به إلا به.

فنظر إليّ بعين الجود فقوّاني بقوّته وزينني وتوّجني بتاج كرامته على رأسي. وأفردني بفردانيته ووحدني بوحدانيته ووصفني بصفاته التي لا يشاركه فيها أحد.

ثم قال لي: توحد بوحدانيتي، وتفرّد بفردانيتي. وارفع رأسك بتاج كرامتي. وتعزز بعزتي. وتجبّر بجبروتي واخرج بصفاتي إلى خلقي أَرَ هويتي في هويتك. ومن رآك رآني؛ ومن قصدك قصدني يا نوري في أرضي وزينتي في سمائي.

فقلتُ: أنت عيني في عيني، وعلمي في جهلي. كنْ أنت نورك تُرَ بك؛ لا إله إلا أنت.

فأجابني بلسان الرضا وقال: ما أعلمك عبدي! قلتُ: أنت العالم وأنت المعلوم؛ وأنت المفرد وأنت الفرد؛ تفرد بفردانيتك، وتوحّد بوحدانيتك لا تشغلني بك عنك.

انقطع حجّة الله عليّ في فردانيته، وبوحدانيته في وحدانيته. فأقمت معه دون تفرّدي بفردانيته. فأقمت معه به. فنى صفاتي بصفاته وسقط اسمي باسمه، وسقط عني أوليته بأوليتي، وآخريتي بآخريته. فنظرتُ إليه بذاته التي لا يراها الواصفون ولا يبلغها العالمون ولا يفهمها العاملون.

فنظر إليّ بعين الذات بعدما سقط اسمي وصفاتي وأوّلي وآخري ونعتي. فدعاني باسمه، وكنّاني بهويته، وناجاني بأحديته.

قال: يا أنا. فقلت: يا أنت. فقال لي يا أنت. فانقطع حجة الله عليّ به ما سمّاني باسم من أسمائه إلا سميته به. وما وصفني بصفة من صفاته إلا وصفته به. فانقطع كل شيء منّي به. فبقيتُ دهراً بلا روح ولا جسم كالميت. ثم إنه أحياني بحياتي بعدما أماتني.

فقال: لمن المُلْكُ اليوم؟ فلما أن أحياني قلت: لله الواحد القهّار. فقال: لمن الاسم؟ قلت: لله الواحد القهّار.

فقال: لمن الحكم اليوم؟ فقلت: لله الواحد القهّار. فقال: لمن الاختيار؟ قلتُ: للربّ الجبار.

فقال: أحييتك بحياتي. وملكتك ملكي. وسميتك باسمي. وحكمتك بحكمي، وأفهمتك اختياري، ووافقتك بأسماء الربوبية والصفات الأزلية.

قلتُ: لا أدري ما تريد. كنت لنفسي فلا ترضى، وكنت لك بك فلا ترضى.

فقال: لا تكن لنفسك ولا لنفسي إني كنت لك حيث لم تكن، فكن لي حيث لم تكن، وكن لك حيث كنت، فكن لي حيث كنت.

فقلت: وأنّى لي بذلك إلا بك!

فنظر إليّ نظرة بعين القدرة. فأعدمني بكونه، وظهر فيّ بذاته. فكنتُ به. فانقطع المناجاة. فصارت الكلمة واحدة. وصار الكل بالكل واحداً؛

فقال لي: يا أنت! فقلت به: يا أنا، فقال لي: أنت الفرد. قلت: أنا الفرد. قال لي: أنت أنت. قلت: أنا أنا. ولو كنت أنا من حيث أنا لما قلت أنا. فلما أن لم أكن أنا، فكن أنت أنت. قال: أنا أنا قولي بأنائيته كقولي بهويته توحيداً؛ فصارت صفاتي صفات الربوبية. ولساني لسان التوحيد. وصفاتي هي أن هو هو لا إله إلا هو.

فكان ما كان بكونه مما قد يكون. وما يكون بكونه. يكون ما يكون. صفاتي صفات الربوبية. وإشاراتي إشارات الأزلية، ولساني لسان التوحيد.

*

ما ذكروه إلا بالغفلة، ولا خدموه إلا بالفترة، وأكثر الناس إشارة إليه أبعدهم عنه.

*

المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المشير شِرْك في الإشارة.

*

ما درجة العارف؟*

قال: ليس هُناك درجّة. بل أَعْلَى فائدةِ العارِف وَجودُ معروفِه.

*

لا يعرف نفسه مَن صَحَبْته شهوتُه.

*

الجنَّة لا خَطَرَ لها عندَ أَهْلِ المَحَبَّةِ. وأَهْلُ المحبَّة مَحْجوبون بمحبَّتِهِمْ.

*

يا رَبُّ! أَفْهِمْني عَنْك، فإنِّي لا أفهمُ عَنْك إلا بِكَ.

*

إذا صَحِبكَ إنسان، وأساءَ عشرتك، فادْخُل عليه بحسن أخلاقك يطيبُ عيشُك. وإذا أنْعمَ عليك، فابدأ بشكر الله عز وجلَّ، فإنّه الذي عَطَفَ عليك القلوبَ. وإذا ابتُليتَ فأَسْرِع الاستِقالةَ؛ فإنَّهُ القادرُ على كشفِها، دونَ سائر الخلقِ.

*

إن اللهَ يرزقُ العبادَ الحلاوةَ، فمن أَجْلِ فرحِهم بها يمنُعهم الْقُرْب.

*

المعرفُة في ذات الحقِّ جهلٌ، والعلمُ في حقيقةِ المعرفةِ حيرّة، والإشارُة من المُشير شِرْكٌ في الإشارة.

*

– بأيِّ شيءٍ وجدتَ هذه المعرفَة؟
– ببطنٍ جائع، وبدنٍ عارٍ.

*

العارفُ هَمُّه ما يَأمَله، والزاهدُ هَمُّه ما يَأْكُله.

*

---

* سؤال موجّه لأبي يزيد.

طَوبَى لمن كان هَمُّه هَمًّا واحداً، ولم يشغَلْ قلبَه بما رأتْ عيناه، وسمعتْ أُذناه.

*

من لم ينتفع بسكوت المتكلم لم ينتفع بكلامه.

*

أبْعَدُهم من الله تعالى، أكثرهم إشارة إليه.

*

من أشار إليه بعلم فقد كفر، لأن الإشارة بعلم لا تقع إلا على معلوم، ومن أشار إليه بمعرفة فقد أَلْحدَ، لأن الإشارة بالمعرفة لا تقع إلا على محدود.

*

رأيت في المنام كأني قاصد إلى الله تعالى طالباً مواصلته سبحانه وتعالى على أن أقيم معه إلى الأبد. فامتحنت بامتحان لا تقوم له السماوات والأرض وما فيهما، لأنه بسط لي بساط العطايا نوعاً بعد نوع، وعرض عليّ ملك كلِّ سماء. ففي ذلك كله أغضضت بصري عنها كلها لما علمت أنها تقطعني وإنما هي تجربة لي، فكنت لا ألتفت إليها إجلالاً لحرمة ربي. كنت أقول في كل ذلك: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليَّ.

فقلت له: صِف لي يا أستاذ ما عرض عليك من ملك كل سماء* فقال: رأيت في المنام كأني عرجت إلى السماوات. فلما أتيت السماء الدنيا، فإذا أنا بطير أخضر فنشر جناحاً من أجنحته فحملني عليه وطار بي حتى انتهى بي إلى صفوف الملائكة وهم قيام منحرفة أقدامهم في التخوم، يسبحون الله بكرة وعشياً. فسلمت عليهم، فردوا عليّ السلام، فوضعني

* أحد تلاميذ أبي يزيد في الطريقة يروي عنه هذه الحادثة.

الطير بينهم ثم مضى، فلم أزل أسبح الله تعالى بينهم وأحمد الله بلسانهم، وهم يقولون هذا آدمي لا نوري لجأ إلينا، وتحكم معنا، قال: فألُهمت كلمات، قلت بسم الله، القادر على أن يغنيني عنكم. ثم لم أزل يعرض عليَّ الملك الجليل من المُلْك ما كلّت الألسن عن نعته وصفته، فعلمت أنه يجرّبني بها، وفي ذلك كله كنت أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. ولم ألتفت إليها حرمة لإجلاله. ثم رأيت كأني عرّجت إلى السماء الثانية فسارعَ إليَّ الملائكة فوجاً بعد فوج ينظرون إليَّ كما ينظر أهل المدينة إلى أمير يدخلها. ثم جاءني رأس الملائكة واسمه لاوين، وقال: أبا يزيد إن ربك يقرئك السلام ويقول: أبا يزيد أحببتني فأحببتك. فانتهى بي إلى روضة خضراء فيها نهر يجري حوله ملائكة طيارة يطيرون كل يوم إلى الأرض مائة ألف مرة ينظرون إلى أولياء الله، ووجوهم كضياء الشمس، وقد عرفوني بمعرفتهم لي في الأرض فجاءوني وحيوني وأنزلوني على شط ذلك النهر. وإذا على حافتيه أشجار من نور ولها أغصان كثيرة متدلية في الهواء. وإذا على كل غصن منها وكر طير وإذا في كل وكر ملك من الملائكة ساجد، وكنت كلما وقفت على شيء من ذلك أقول: يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ. كُن لي يا عزيزي جاراً من جميع المستجيرين وجليساً عن جميع المخلوقين. ثم هاج من سري شيء من عطش نار الاشتياق حتى أن الملائكة مع هذه الأشجار صارت كالبعوضة في جنب همتي، وكلهم ينظرون إليَّ متعجبين مدهوشين من عظم ما يرون مني. ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما تكل الألسن عن نعته. وفي كل ذلك علمت أنه بها يجربني، فلم ألتفت إلى شيء منها إجلالاً لحرمة ربي. وكنت أقول يا عزيزي، مرادي غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى منّي صدقَ الإرادة في القصد إليه، وتجريدي عما سواه، فإذا أنا بملك قد مد

يده فجذبني. ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الثالثة فجاءني جميع الملائكة الذين هم بها وسلموا عليّ، فإذا ملك منهم له أربعة أوجه يلي إليَّ وهو يبكي، دموعه لا تسكن أصلاً، ووجه على الأرض ينادي يا عباد الله، اعملوا يوم الفراغ ليوم الأخذ والحساب ووجه يلي يمينه يكلم الملائكة بلسانه، ووجه يلي يساره، قد سعت جنوده في أقطار السماوات يسبحون الله تعالى فيها فسلمت عليه فرد عليّ السلام، ثم قال: من أنت، إذ فُضلت علينا؟ فقلت: عبد قد مَنَّ الله عليه من فضله، فقال لي: تريد أن تنظر إلى عجائب الله، قلت: بلى. فنشر جناحاً من أجنحته فإذا على كل ريشة من ريشه قنديل أظلم ضياء الشمس من ضوئه، ثم قال: تعالَ يا أبا يزيد واستظل في ظل جناحي تسبح الله تعالى وتقدسه وتهلله إلى الموت.

فقلت له: الله قادر على أن يغنيني عنك. ثم هاج من سري نور من ضياء معرفتي أظلم ضوء تلك القناديل من ضوئي، فصار الملك كالبعوضة في جنب كمالي. ثم لم يزل جل جلاله وعز كبرياؤه يعرض عليّ من الملك ما تكل الألسن من نعته وصفته، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني. فلم ألتفت إلى ذلك إجلالاً لحرمته، فكنت في كل ذلك أقول يا عزيزي، مرادي غير ما تعرض عليّ.

فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مدَّ يده فرفعني ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الرابعة، فجاءَ بي جميع الملائكة بصفاتهم وهيآتهم ونعوتهم، فسلموا عليّ ناظرين إليَّ كما ينظر أهل البلد إلى أميرهم في وقت دخوله إليهم، يرفعون أصواتهم بالتسبيح والتهليل، لعظم ما يرون من انقطاعي إليه وقلة التفاتي إليهم. فاستقبلني ملك يقال له ينائيل فمد يده وأقعدني على كرسي له موضوع على شط بحر عجاج لا ترى أوله ولا آخره، فألهمت تسبيحه وأنطقت بلسانه ولم ألتفت إليه

ثم لم يزل الجليل جل جلاله يعرض عليّ من الملك ما كلّت الألسن عن نعته. ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني فلم ألتفت إلى ما رأيت إجلالاً لحرمته. وكنت أقول يا عزيزي مرادي غير ما تعرض عليّ.

فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الإرادة والانفراد به إلى القصد إليه، فإذا بملك مدَّ يده فرفعني إليه، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء الخامسة. فإذا بملائكة قيام في السماء الخامسة رؤوسهم في عنان السماء السادسة، يقطر منهم نور تبرق منه السماوات، فسلموا كلهم عليّ بأنواع اللغات فرددت عليهم السلام بكل لغة فتعجبوا من ذلك. ثم قالوا: يا أبا يزيد تعال حتى تسبح الله تعالى وتهلله ونعينك على ما تريد. فلم ألتفت إليهم، إجلالاً لربي جل جلاله وعزته. فعند ذلك هاج من سري وعرض عليّ من الملائكة خلق عظيم، وأنا لم ألتفت إلى شيء منها مما رأيت، وذلك لعلمي إنما هو يجربني. وكنت أقول يا عزيزي، مرادي غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله تعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مد يده فرفعني إليه، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السادسة، فإذا أنا بالملائكة المشتاقين جاءوني وسلموا عليّ، وهم يفتخرون بشوقهم عليّ ففتحت لهم شيئاً من طيران سرّي. ثم لم يزل يعرض عليّ الجليل من الملك ما تكل الألسن عن نعته، ففي كل ذلك علمت أنه بها يجربني فلم ألتفت إليهم. وكنت أقول: يا عزيزي، مرادي غير ما تعرض عليّ .

فلما علم الله تعالى صدق الإرادة في القصد إليه، فإذا أنا بملك مدَّ يده فرفعني، ثم رأيت كأني عرجت إلى السماء السابعة. فإذا أنا بمائة ألف صف من الملائكة استقبلني كل صف مثل الثقلين ألف ألف مرة مع كل ملك لواء من نور تحت كل لواء ألف ألف ملك، طول كُلِّ ملك مسيرة

خمسمائة عام وعلى مقدمتهم ملك اسمه بيرابيل، فسلموا عليّ بلسانهم ولغتهم، فرددت عليهم السلام بلسانهم فتعجبوا من ذلك، فإذا بمنادٍ ينادي: يا أبا يزيد، قف قف، فإنك قد وصلت إلى المنتهى، فلم ألتفت إلى قوله. ثم لم يزل يعرض عليّ من الملك ما كلَّت الألسن عن نعته، وفي كلٍّ ذلك لم ألتفت له ولم أقف معه، لعلمي أن الجليل جل جلاله يجربني بها. وكنت أقول يا عزيزي، مرادي في غير ما تعرض عليّ. فلما علم الله مني صدق الإرادة في القصد صيّرني طيراً، كل ريشة من جناحي أبعد ممّا بين المشرق والمغرب ألف ألف مرة فلم أزل أطير في الملكوت، وأجول في الجبروت، وأقطع مملكة بعد مملكة، وحجاباً بعد حجاب، وميداناً بعد ميدان، وبحاراً بعد بحار، وأستاراً بعد أستار حتى أتيت ملك الكرسي فاستقبلني ومعه عمود من نور فسلم عليّ، ثم قال: خذ العمود فأخذته، فإذا السماوات بكل ما فيها قد استظل بظل معرفتي، واستضاءت كلها بضياء شوقي والملائكة كلهم صاروا كالبعوضة عند كمال همتي في القصد إليه. ففي كل ذلك كنت خائفا من أن ألتفت إلى شيء من ذلك واقف معه، فيوقفني، وأتقطع معه لعلمي أنه يجربني بذلك كله، فلم ألتفت إليه إجلالاً لحرمة ربي جل جلاله.

ثم لم أزل أطير وأجول من مملكة إلى مملكة ومن حجاب إلى حجاب ومن ستر إلى ستر حتى انتهيت إلى الكرسي. استقبلني ملائكة لهم عيون بعدد نجوم السماوات، يبرق من كل عين نور يلمع منه فتصير تلك الأنوار قناديل، أسمع من جوف كل قنديل تسبيحاً وتهليلاً. ثم لم أزل أطير كذلك حتى انتهيت إلى بحر من النور تتلاطم أمواجه، يظلم في جنبه ضياء الشمس، فلم أزل أعبر من بحر إلى بحر حتى انتهيت إلى البحر الأعظم الذي عليه عرش الرحمن،

فلم أزل أسبح فيه حتى رأيت ما تحت العرش إلى الثرى من الملائكة الكروبيين والروحانيين وحملة العرش.

ثم لم يزل الخليل جل جلاله يعرض عليّ من لطائف سره وكمال قدرته وعظيم مملكته ما كلت الألسن عن نعته وصفته. ففي كل ذلك كنت أقول: يا عزيزي، مرادي في غير ما تعرض عليّ، فلم ألتفت إليه إجلالاً لحرمته. فلما علم الله سبحانه وتعالى مني صدق الإرادة في القصد إليه، ناداني سبحانه وتعالى: إليَّ إليَّ، وقال: يا صفيّ ادْن مني وأَشرف على مشرفات بهائي وميادين ضيائي، واجلس على بساط قدسي حتى ترى لطائف صنعي. أنت صفيّي وحبيبي وخيرتي من خلقي. فكنت أذوب عند ذلك كما يذوب الرصاص. ثم سقاني شربة من عين اللطف بكأس الأنس. ثم صيّرني إلى حال لم أقدر على وصفه. ثم قرّبني منه وقرّبني حتى صرت أقرب من الروح إلى الجسد. ثم استقبلني روح كل نبي وسلموا عليّ وعظموني وكلموني وكلمتهم. ثم استقبلني روح محمد وقال: يا أبا يزيد مرحباً وأهلاً وسهلاً فقد فضلك الله على كثير من خلقه تفضيلاً. إذا رجعت إلى الأرض فأقرأ أمتي مني السلام وانصحهم ما استطعت وادع لهم وادعهم إلى الله.

ثم لم أزل مثل ذلك حتى صرت كما كان من حيث لم يكن التكوين وبقي الحق، بلا كون ولا بين ولا أين، ولا حيث ولا كيف جل جلاله وتقدست أسماؤه.

*

– ما التصوف؟

– بلسانِ الشريعةِ، أم بلسانِ الحقيقةِ، أم بلسان الحقِّ؟

– ما معنى الألسنةِ الثلاثةِ؟

– أما بلسان الشريعة فتصفيةُ القلب من الكدورة، واستعمال الخلق مع الخليقةِ، وإتباع الرسول في جميع الشريعةِ.

وأما بلسان الحقيقة، فعدمُ الجناياتِ بل عَدَمُ الحياةِ وجميعُ الشبهاتِ، والعتقُ من رقّ الشهواتِ، والخروج من عين الشبهات، ومحو أحكام الصفات، وترك جميع المألوفات، والاكتفاء بخالق السموات.

وأما بلسان الحقِّ: فإنَّ الحقّ اصطفى الصوفيَّةَ بصفاته عن صفاتهم. فصافاهم فسُمُّوا صوفيةً.

*

الرجل مَنْ يشرب البحار ولسانه خارج على صدره من العطش.

*

- من أين تأكل؟

- مولاي يطعم الكلب والخنزير، أفلا يطعم أبا يزيد؟

*

- هل بلغت جبل قاف؟

- جبل قاف ليس بغريب، بل الشأن جبل كاف وجبل عين وجبل صاد، هذه جبال محيطة بالأرض، حول كل أرض جبل بمنزلة حائطها.

*

أبو سليمان الداراني*

لولا الليل ما أحببت البقاء في الدنيا. وما أحب البقاء في الدنيا لتشقيق الأنهار ولا لغرس الأشجار.

*

كلما ارتفعت منزلة القلب كانت العقوبة إليه أسرع.

*

ما ضرّك ما غرّك، إذا أعقبك ما سرّك.

*

إن النفس إذا جاعت وعطشت صفا القلب ورقّ، وإذا شبعت ورَوِيَت عَمِيَ القلبُ.

*

لو أن الدنيا كلّها في لقمة، ثم جاءني أخ لي لأحببت أن أضعها في فيه.

*

إنك إن طالبتني بشرِّي طالبتك بكرمك، وإن أخذتني بذنوبي أتيتك بتوحيدك، وإن أسكنتني النار بين أعدائك لأخبرنَّهم بحبي لك.

*

لو اجتمع الخلق جميعاً على أن يضعوني كاتِّضاعي عند نفسي ما قدروا على ذلك.

*

---

* مات سنة 225، عاش في داريا، إحدى قرى دمشق، وأصله عراقيّ.

من صَفى صُفِّي له، ومن كَدَر كُدِّر عليه.

*

إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت، وعادت بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالِمٌ علماً.

والله ما نصبر على ما نحب، فكيف نصبر على ما نكره.

*

إذا وقع القلب في آية الشوق، فمرت به آية الخوف بعدها، قلع الخوف الشوق.

*

ما فارقَ الخوفُ قلباً إلا خَرِبَ.

*

لو أنَّ المعرفة نُقِشَتْ على شيء، ما نظر إليها أحدٌ إلا مات من حسنها وجمالها، ولأظْلم كلُّ ضوءٍ في جنب ضوئها.

*

لا يزهد في شهوات هذه الدنيا، إلا من وضع الله في قلبه نوراً يشغله دائماً بأمور الآخرة.

*

– ما يبكيك؟*

– يا أحمد ولم لا أبكي؟ وإذا جنَّ الليل، ونامت العيون، وخلا كل حبيب بحبيبه، وافترش أهل المحبة أقدامهم، وجرت دموعهم، وتفطرت في

* أحمد بن أبي الحواري يسأل أبا سليمان.

محاريبهم، أشرف الجليل سبحانه وتعالى فنادى يا جبريل: بعيني من تلذذ بكلامي، واستراح إلى ذكري، وإني لمطلع عليهم في خلوتهم أسمع أنينهم، وأرى بكاءهم، فلمَ لا تنادي فيهم؟

يا جبريل ما هذا البكاء؟ هل رأيتم حبيباً يعذِّب أحباءه؟ أم كيف يجمل بي أن آخذ قوماً إذا جنَّهم الليل تملقوا لي، فبي حلفت أنهم إذا وردوا على القيامة لأكشفنَّ لهم عن وجهي الكريم حتى ينظروا إليّ وأنظر إليهم.

*

من ترك الدنيا للآخرة ربحهما، ومن ترك الآخرة للدنيا خسرهما. وكل أم يتبعها بنوها، وبنو الدنيا تسلمهم إلى خزي شديد، ومقامع من حديد، وشراب الصديد، وبنو الآخرة تسلمهم إلى عيش رغد ونعيم، في ظل ممدود، وماء مسكوب، وأنهار تجري بغير أخدود. من نظر إلى الدنيا مولِّية صح عنده غرورها، ومن نظر إليها مقبلة بزينتها شاب في قلبه حبها.

*

لو أراد الصادق أن يصف ما في قلبه، ما نطق به لسانه.

*

لكل شيء صدأ، وصدأ نور القلب شبَعُ البطن.

*

إذا غَلَبَ الرجاءُ على الخوفِ فَسَدَ الوقتُ.

*

ليتَ قلبِي في القلوبِ كثوبي في الثِّياب!

*

من صَارَعَ الدنيا صَرَعَتْه.

*

من أَحسَنَ في نهاره، كوفئ في لَيْلِه.

ومن أَحسَنَ في لَيْلِه، كوفئ في نهاره.

ومن صَدَقَ في تَرْكِ شَهْوَةٍ، ذهبَ اللهُ بها مِن قلْبِه. واللهُ أَكْرَم مِن أن يعذِّبَ قلْباً بشهوةٍ تُركَتْ له.

*

إذا جاعَ القلبُ وعَطِشَ، صفا ورَقَّ؛ وإذا شبع ورَوِي، عَمِيَ.

*

لكلّ شيءٍ حِلْيةٌ، وحِلْيةُ الصدق الخشوع.

*

إذا تركَ الحكيمُ الدنيا، فقد استنارَ بنور الحِكْمةِ.

*

لكلِّ شيءٍ عَلَم، وعَلَمُ الخِذْلانِ تَرْكُ البكاءِ.

*

لو أَنَّ مَحْزُوناً بكى في أُمَّةٍ لرَحِمِ اللهُ تلك الأُمَّةَ.

*

إذا صارت المعاملة إلى القلوب استراحت الجوارح.

*

الإيمان أفضلُ من اليقين؛ لأن الإيمان وطنات واليقين خطرات.

*

بينما أنا مارٌّ في طريق بيت المقدس، إذ رأيت امرأة عليها جبة مسح، وعلى رأسها خمار صوف، وهي جالسة، ورأسها بين ركبتيها، وهي تبكي؛

فقلت لها: ما أبكاكِ، يا جارية.

فقالت: يا أبا سليمان؛ وكيف لا أبكي وأنا أحب لقاءه!

فقلت لها: ما تحبين؟

فقالت: وهل يحب المحب غير لقاء المحبوب!

فقلت لها: ومن محبوبك؟

فقالت: علام الغيوب!

قلت: كيف تحبينه؟

فقالت: إذا صفيت نفسك من العيوب، وجالت روحك في الملكوت، عند ذلك تصل إلى محبة المحبوب.

فقلت: فكيف يكونون في محبتهم له؟

فقالت: أبدانهم نحيلة، وألوانهم متغيرة، وعيونهم هاطلة، وقلوبهم واجفة، وأرواحهم ذائبة، وألسنتهم بذكر محبوبهم لهجة.

قلت: من أين لك هذه الحكمة، التي تنطقين بها؟

فقالت: يا أبا سليمان! لا تجيئ بطول العمر!

فقلت: بماذا تجيء؟

قالت: بصفاء الود، وحسن المعاملة.

ثم قامت ودخلت في واد بين الجبال، وأنا أنظر إليها.

*

الجوع عنده في خزائن مدّخرة لا يعطيه إلا لمن يحبّه خاصّة.

*

اختلفتُ إلى مجلس بعض القُصَّاص، فأثر كلامهُ في قلبي. فلمَّا قُمتُ لم يبقَ في قلبي منه شيءٌ. فعدتُ إليه فسمعت كلامه، فبقي في قلبي أثرُ كلامِهِ في الطريق. ثم ذهبتُ فَعُدْتُ ثالثاً، فبقي أثرُ كلامِهِ في قلبي حتى رجعتُ إلى منزلي، فكسرتُ آلات المخالفات، ولزمتُ الطريقَ إلى الله.

*

معروف الكرخي*

حقيقة الوفاء إفاقة السِّرِّ من رقدة الغفلات، وفراغ الهم من فضول الآفات.

*

طول الأمل يمنع خير العمل.

*

كيف يكون تقياً من لا يدري ما يتَّقي.

*

شفاء كل بلاء نزل بالعبد كتمانه، فإن الناس لا ينفعونه ولا يضرّونه، ولا يعطونه ولا يمنعونه.

*

إنما الدنيا قِدْر تُغْلَى، وكنيفٌ يُمْلَى.

*

احفظ لسانك من المدح كما تحفظه من الذم.

*

التصوف الأخذ بالحقائق، والكلام في الدقائق، والإياس مما في أيدي الخلائق.

*

---

* هو أبو محفوظ بن فيروز الكرخي. من موالي علي بن موسى الرضا. كان والداه نصرانيين، وأسلم معروف على يد علي بن موسى، ومن ثمَّ أسلم والدا معروف بتأثير منه. مات سنة 200 هـ.

غُضّوا أبصارَكُم، ولو عن شاةٍ أُنثى.

*

حقيقُة الوفاءِ إِفاقَة السِّرِّ عن رَقْدَةِ الغَفَلاتِ؛ وفَراغُ الهَمِّ عن فُضول الآفاتِ.

*

- ما علامةُ الأولياء؟
- ثلاثةٌ: همومُهم للهِ، وشُغْلُهم فيه، وفَرارُهُم إليه.

*

إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيراً فتح عليه باب العملِ، وأغلق باب الفَتْرَةِ والكَسلِ.

*

يا مسكين! كم تبكي وتندم! أخلصْ تخلص.

*

توكل على الله، حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك؛
وأكثر ذكر الموت، حتى لا يكون لك جليساً غيره؛ واعلم أن الشفاء لما نزل بك عليك كتمانه؛ وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك، ولا يعطونك ولا يمنعونك.

*

- أخبرنا عن المحبة. أي شيء هي؟
- يا أخي! ليس المحبة من تعليم الناس. المحبة من تعليم الحبيب.

*

حاتم الأصم*

لا تغتر بموضع صالح؛ فلا مكان أصلح من الجنة، فلقي آدم، عليه السلام فيها ما لقي!

ولا تغتر بكثرة العبادة؛ فإن إبليس بعد طول تعبده لقي ما لقي!

ولا تغتر بكثرة العلم؛ فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم؛ فانظرْ ماذا لقي!

ولا تغتر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر قدراً من المصطفى؛ ولم ينتفع بلقائه أقاربه وأعداؤه.

*

ما من صباح إلا والشيطان يقول لي: ماذا تأكل؟ وماذا تلبس؟ وأين تسكن؟

فأقول له، آكل الموت، وألبس الكفن، وأسكن القبر.

*

من دخَلَ في مذهَبِنا هذا، فَلْيجعلْ في نفسِه أربعَ خصالٍ من الموتِ:

موتٌ أبيضُ، وموتٌ أسودُ، وموتٌ أحمرُ، وموتٌ أخضرُ:

فالموتُ الأبيضُ الجوعُ.

والموتُ الأسود احْتِمالُ أَذَى الناسِ.

والموتُ الأحمرُ مُخالَفَةُ النَّفْسِ.

---

* مات سنة 237 هـ. وهو من قدماء مشائخ خراسان، من أهل بلْخ.

والموتُ الأَخْضَرُ طَرْحُ الرِّقاعِ بعضُها على بعضٍ.

*

يُعرَفُ الإخلاصُ بالاستقامةِ، والاستقامةُ بالرَّجاءِ، والرَّجاءُ بالإرادةِ، والإرادة بالمعرفةِ.

*

لكل قولٍ صدقٌ، ولكلِّ صدقٍ فعلٌ، ولكلِّ فعل صبرٌ، ولكلِّ صبرٍ حِسْبَةٌ، ولكل حِسْبَةٍ إرادةٌ، ولكلِّ إرادةٍ أَثَرَةٌ.

*

الزمْ خدمةَ مولاك تأتِكَ الدنيا راغمةً، والجنةُ عاشقةً.

*

لقينا التُّرك، وكان بيننا جولة، فرماني تركي، فقلبني وقعد علي صدري، وأخذ بلحيتي، وأخرج من خُفِّه سكيناً ليذبحني. فوحق سيدي ما كان قلبي عنده، ولا عند سكينه، إنما كان قلبي عند سيدي، لأنظر ماذا ينزل منه بي. فقلت: قضيت سيدي ذلك! فعلى الرأس والعين! إنما أنا ملكك! فبينا أنا أخاطب سيدي، وهو قاعد علي صدري، آخذ بلحيتي ليذبحني. إذ رماه بعض المسلمين بسهم، فما اخطأ حلقه، فسقط عني. فقمت أنا إليه، وأخذتها من يده، وذبحته بها.

فما هو ألا أن تكون قلوبكم عند السيد، حتى تروا من عجائب لطفه ما لم تروا من الآباء والأمهات.

*

أحمد بن أبي الحواري*

قلت لراهب في دير حرملة أشرف عليَّ من صومعته: يا راهب ما اسمك؟

قال: جريج.

قلت: ما يحبسك في هذه الصومعة؟

قال: حُبست فيها عن شهوات الدنيا.

قلت: أما كان يستقيم أن تذهب معنا ها هنا في الأرض وتجيئ وتمنع نفسك الشهوات؟

قال: هيهات هذا الذي تصف أنت قوة وأنا في ضعف فحلت بين نفسي وبينها.

قلت: ولم تفعل ذلك؟

قال: نجد في كتبنا أن بدن ابن آدم خلق من الأرض، وروحه خلق من ملكوت السماء. فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه. وإذا أطعمه وسقاه ونوّمه وأراحه، أخلد البدن إلى الموضع الذي خرج منه، فلم يكن شيء أحب إليه من الدنيا.

*

لا دليل على الله سواه، وإنما يطلب العلم لآداب الخدمة.

*

* مات سنة 230 هـ، من أهل دمشق، صحب أبا سليمان الداراني.

من عرف الدنيا زهد فيها، ومن عرف الآخرة رغب فيها، ومن عرف الله آثر رضاه، ومن لم يعرف نفسه فهو من دينه في غرور.

*

بينا أنا ذات يوم في بلاد الشام في قبة من قباب المقابر ليس عليها باب إلا كساء قد أسبلته،

فإذا أنا بامرأة تدق على الحائط فقلت: من هذا؟

قالت: امرأة ضالّة. دلّني على الطريق.

قلت: رحمك الله، عن أي طريق تسألين؟

فبكت ثم قالت: يا أحمد عن طريق النجاة.

قلت: هيهات إن بيننا وبين طريق النجاة عقاباً وتلك العقاب لا تقطع إلا بالسير الحثيث، وتصحيح المعاملة، وحذف العلائق الشاغلة عن أمر الدنيا والآخرة.

فبكت بكاء شديداً. ثم قالت: يا أحمد سبحان من أمسك عليك جوارحك فلم تتقطع، وحفظ عليك فؤادك فلم يتصدَّع. ثم خرت مغشياً عليها.

فقلت لبعض النساء: انظري أي شيء حالُ هذه الجارية؟ فقمن إليها ففتشنها، فإذا وصيتها في جيبها: كفنوني في أثوابي هذه. فإن كان لي عند الله خير فهو أسعد لي، وإن كان غير ذلك فبُعداً لنفسي.

قلت: ما هي؟ فحركوها فإذا هي ميتة. فقلت للخدم: لمن هذه الجارية؟ قالوا: جارية قرشية مصابة. وكان الذي معها يمنعها من الطعام. وكانت تشكو إلينا وجعاً بجوفها. فكنا نصفها لمتطببي الشام. فكانت تقول: خلوا بيني وبين الطبيب الراهب (وتعني أحمد) أشكو إليه بعض ما أجد من بلائي لعله أن يكون عنده شفائي.

*

سمعت أسماء الرملية، وكانت من المتعبدات المجتهدات، قالت: سألت البيضاء بنت المفضل: يا أختي هل للمحب لله دلائل يُعرف بها؟

قالت: يا أختي والمحب للسيد يخفى؟ لو جهد المحب للسيد أن يخفى ما خفي.

قلت: فصفيه لي في أخلاقه وطعامه وشرابه ونومه ويقظته وحركاته.

قالت: بلى قد أكثرت عليَّ، ولكن سأصف لك من ذلك ما قدرت عليه. لو رأيت المحب لله لرأيت عجباً عجيباً من والهٍ ما يقر على الأرض، طائر متوحش. أنسه في الوحدة. قد منع الراحة وَلَهاً بذكر المحبوب. وطعامه الحب. ونومه الفكرة في الوصلة. ويقظته المبادرة في الغفلة. ليس له هدو ولا يميل الى سلو. إن عُزِيَ لم يتعز، وإن صبر لم يتصبر.

*

إذا حدثَتْكَ نفسكُ بتركِ الدنيا، عند إدْبارها، فهو خُدْعة؛ وإذا حدثتْك نفسُك بتركها، عند إقْبالِها، فذاك.

*

إذا رأيتَ من قلبِكَ قسوةً، فجالِسْ الذاكرين، واصْحَب الزاهدين، وأَقْلِلْ مَطْعَمَك، واجْتَنِب مُرادَك، ورَوِّضْ نفسَكَ على المكاره.

*

الدُّنيا مَزْبَلَةٌ، ومَجْمَعُ الكلاب. وأقلُّ من الكلابِ من عَكَفَ عليها، فإنَّ الكلْبَ يأخذُ منها حاجَتَه وينصرفُ، والمحبُّ لها لا يُزايِلُها بحالٍ.

*

من أحبَّ أن يُعرَف بشيءٍ من الخير، أو يُذكَرَ به، فقد أَشْرَك في عِبادته؛ لأَنَّ من عَبدَ على المحبَّة، لا يُحِبُّ أن يرى خِدْمتَه سوى محبوبِه.

*

إنـي لأَقْرَأُ القرآنَ، فأَنْظُرُ في آيـةٍ، فيَحارُ عقلـي فيها. وأعجبُ من حُفَّاظ القرآن! كيف يَهْنِيهم النومُ، ويَسَعُهم أن يَشْتَغِلوا بشـيءٍ من الدنيا، وهم يَتْلُون كـلامَ الرحمن؟ أما لـو فهموا مـا يَتْلُون، وعَرَفوا حقَّه، وتَلَذَّذُوا بـه، واستَحْلَوا المناجاةَ به، لذَهَبَ عنهم النَّوْمُ، فرحاً بما رُزِقُوا ووُفِّقوا.

*

من أنِس بغير الله، فهو في وَحْشة أبداً.

*

أحمد بن خضْرَوَيه*

وَلِيُّ اللهِ لا يَسِمُ نفسه بِسيماء، ولا يكون له اسمٌ يَتسمَّى به.

*

في الحُرِّية تمامُ العُبودِيَّة، وفي تحقيق العُبودِيَّة تمامُ الْحرِّيةِ.

*

الطريقُ واضحٌ، والحق لائِح، والداعي قد أَسْمع، فما التحيُّر بعد هذا إلاّ من العَمَى.

*

- أوصني.
- أَمِتْ نَفْسَك حتى يُحييها.

*

ليس من طالَبَه الحقُّ بآلائِه، كمن طالَبَه الحقُّ بنَعْمَائِه.

*

لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رقَّ أملك من الشهوة. ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة.

*

---

* مات سنة 240 هـ.

يحيى بن معاذ الرازي*

قد غرق في بلائه، وهو يريد أن ينجو من ربه بصفائه.

*

إن تلقَّاني بمكرٍ منه اقتداراً، تلقّيته بذلٍّ منّي افتقاراً.

*

لو لم يسكنهم ببلواه لطارت بهم نعماه. ولم يصل إليه من لم يرض بقسمه، ولم يعرفه من لم يتمتع بنعمه، ولم يحبه من لم يته في كرمه.

*

حين خاطروا بالنفوس اقتربوا وهذا طعم الخبر فكيف طعم النظر.

*

القلوب كالقدور في الصدور تغلي بما فيها ومعارفها ألسنتها. فانتظر الرجل حتى يتكلم، فإن لسانه يغترف لك ما في قلبه من بين حلو وحامض وعذب وأجاج، يخبرك عن طعم قلبه اغتراف لسانه.

*

من أقام قلبه عند الله سكن، ومن أرسله في الناس اضطرب.

*

الفوت أشد من الموت؛ لأن الفوت انقطاع عن الحق، والموت انقطاع عن الخلق.

*

---

* مات سنة 258 هـ.

تزكية الأشرار لك هُجْنة بك، وحبُّهم لك عيب عليك، وهانَ عليك من احتاج إليك.

*

الـدنيا دارُ أَشْـغالٍ، والآخـرُة دار أَهْـوَال. ولا يـزالُ العبْـدُ بـين الأهْـوَال والأشْغال، حتى يستَقِرَّ به القرارُ؛ إما إلى الجَنَّةِ وإما إلى النَّار.

*

جميـعُ الـدُّنيا، مـن أَوَّلِهَـا إلـى آخرِهـا، لا يُسَاوي غَـمَّ سـاعةٍ؛ فكيـف تَغُـمُّ عُمْرَك فيها، مع قليلٍ يُصِيبُك منها؟

*

سقوطُ العبد من درجةٍ ادِّعاؤُها.

*

طلبُ العاقلِ للدنيا، أحسنُ من تركِ الجاهلِ لها.

*

لا يزالُ العبدُ مَقْروناً بالتَّوانِي، ما دام مقيماً على وَعْدِ الأماني.

*

الفَوْتُ أشدُّ من الموت، لأن الفَوْتَ انقطـاعٌ عن الحَقِّ، والموتَ انقطـاعٌ عن الخَلْق.

*

الوِحْدَةُ مُنْيَةُ الصِّدِّيقين، والأُنْسُ بالنَّاس وَحْشَتهم.

*

الزَّاهِدُ صافي الظَّاهِر، مُخْتَلِطُ الباطنِ؛ والعارفُ صافي الباطِنِ مُخْتَلِطُ الظَّاهِر.

*

أهلُ المَعْرِفَةِ وَحْش اللهِ في الأرْض، لا يَأْنَسُون إلى أحدٍ؛ والزَّاهِدون غُرَباءُ في الدنيا، والعارفون غُرَباء في الآخرة.

*

إلهي! حبّك أعطش كبدي! وأوحشني من أهل وولدي.

*

أبو حفص النّيسابوري*

النفس ظُلْمَةٌ كلُّها، وسراجها سرُّها، ونور سراجها التوفيقُ، فمن لم يصحبه في سرِّه توفيق من ربِّه كان ظلمة كلَّه.

*

ما دَخلَ قلبي حقٌّ ولا باطلٌ، منذ عرفتُ اللهَ.

*

من تجرَّع كأسَ الشوقِ يَهيمُ هُياماً، لا يُفيقُ إلاَّ عِنْد المشاهدة واللِّقاء.

*

ما ظهرتْ حالةٌ عاليةٌ؛ إلا من مُلازَمَةِ أصلٍ صحيحٍ.

*

– مَن العاقلُ؟

– المُطالِبُ نفسَه بالإخلاصِ.

*

حُسنُ أَدبِ الظاهرِ عُنوانُ حُسْنِ أَدَب الباطن.

*

المعاصي بريد الكفر، كما أنّ الحمّى بريد الموت.

*

---

* أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد، رائد التصوف في نيسابور. توفي سنة 270 هـ.

حمدون القصار*

اسْتِعانَةُ المخلوقِ بالمخلوقِ كاستعانَةِ المسجون بالمسجون.

*

من تَحقَّق في حالٍ لا يُخبِر عَنْهُ.

*

الكِياسَةُ تُورِثُ العُجْب.

*

لا تُفْشِ على أحدٍ ما تُحبّ أن يكونَ مَسْتُوراً منك.

*

* شيخ أهل الملامة بنيسابور، ومنه انتشر مذهب أهل الملامة ويعرفون بالملامتيين، توفي سنة 271 هـ.

منصور بن عمار*

إن الحكمةَ تنطقُ في قلوب العارفين بلسان التصديقِ، وفي قلوب الزاهدين بلسانِ التّفْضِيل، وفي قلوب العُبَّاد بلسان التوفيق، وفي قلوب المُريدين بلسان التّفكر، وفي قلوب العُلَماء بلسان التَّذكر.

*

أحسنُ لِباسِ العبدِ التواضعُ والانكسارُ؛ وأحسنُ لباسِ العارفين التّقْوَى.

*

سَلامَةُ النّفْس في مخالَفَتِها، وبلاؤُها في مُتابَعَتِها.

*

---

* من أهل مرو، وسكن البصرة، ازدهر في القرن الثالث الهجري.

أحمد بن عاصم الأنطاكي*

قُرَّةُ العينِ، وَسَعةُ الصدرِ، ورَوْحُ القلبِ، وطيبُ النفسِ من أُمورٍ أربعةٍ: الاسْتِبَانَة للحُجَّةِ، والأُنْسُ بالأَحِبَّة، والثِّقَة بالعِدةِ، والمعايَنةُ للغاية.

*

أنفعُ العقلِ ما عَرَّفك نِعَم الله تعالى عليكَ، وأعانك على شُكْرِها، وقام بخلاف الهَوَى.

*

أَنْفَعُ التواضع ما نَفَى عَنْك الكِبْرَ، وأماتَ منك الغَضَب.

*

اعملْ على أن ليس في الأرض أحدٌ غيرك، ولا في السماء أحدٌ غيره.

*

يسير اليقين يخرج كل الشك من القلب. ويسير الشك يخرج اليقين كله من القلب.

*

إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق، فإنّهم جواسيس القلوب؛ يدخلون في قلوبكم، ويخرجون منها من حيث لا تُحسُّون.

*

---

* (140 – 239 هـ)، سمّاه أبو سليمان الداراني «جاسوس القلوب» لحدّة فراسته.

عبد اللّٰه بن خبيق الأنطاكي*

لا تَغْتَمَّ إلا من شيءٍ يُضرُّك غداً؛ ولا تفرحْ بشيءٍ يَسُرُّك غداً.

*

ما بقَي على وَجْهِ الأرضِ أحدٌ إلا مُسْتَوْحَشٌ منه، أولُهم أنا.

*

وَحْشَةُ العباد عن الحقِّ، أَوْحَشَتْ منهم القلوبَ؛ ولو أَنِسُوا بربهم، ولَزِمُوا الحقَّ، لاسْتَأْنَسَ بهم كلُّ أَحَدٍ.

*

* أصله من الكوفة، ولكنه من النّاقلة إلى أنطاكية، ونسجَ في طريقته الصوفية على منوال النوري.

أبو تراب النخشبي*

أَشرفُ القلوب، قلْبٌ حَيٌّ بِنُور الفَهْم.

*

ليس من العباداتِ شيء أنفعُ من صلاح خواطر القلوب.

*

– ألك حاجةٌ.
– يومَ يكونُ لي إليك وإلى أمثالِك حاجةٌ لا يكون لي إلى الله حاجةٌ.

*

حقيقةُ الغِنَى، أن تستغنِي عَمَّن هو مِثْلَك. وحقيقة الفقر، أن تفتقر إلى من هو مِثْلَك.

*

من اسْتَفْتَح أبوابَ المعاشِ بغير مفاتيح الأَقْدار وُكِل إلى حَوْله وقُوَّته.

*

– ما مفاتيحُ الأقدارِ؟
– الرِّضا بما يَرِدُ عليه في كل وَقْتٍ من أسباب الغَيْب.

*

إذا توافرت النعم على أحدكم فليَبْكِ على نفسه فإنه سلك به غير طريق الصالحين.

*

رياء العارفين إخلاص المريدين.

*

* من مشائخ خراسان، عاشَ في القرن الثالث الهجري.

أبو حمزة البغدادي*

من رُزِق ثلاثةَ أشياء، مَعَ ثلاثةِ أشياءَ، فقد نجا من الآفات: بطنٌ خالٍ، مع قلبٍ قانعٍ؛ وفَقْرٌ دائمٌ، مع زُهْد حاضرٍ؛ وصبر كامل، مع ذكر دائم.

*

إذا سَلِمتْ منك نفسُك فقد أَدَّيتَ حقَّها، وإذا سِلَمِ منك الخلقُ فقد أَدَّيْتَ حُقُوقَهمْ.

*

* من كبار مشايخ بغداد، توفي على الأغلب في منتصف القرن الثالث الهجري.

أبو القاسم الجنيد*

جرت مسألة في المحبة، بمكة، أيام الموسم، فتكلّم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سنّاً، فقالوا له: هات ما عندك يا عراقي. فأطرق رأسه ودمعت عيناه، ثم قال:

عبدٌ ذاهب عن نفسه، متّصل بذكر ربه، قائم بأداء حقوقه، ناظر إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوارُ هويته، وصفا شربه من كأس ودّه، وانكشف له الجبّار من أستار غيْبه؛

فإن تكلّم فبالله، وإن نطق فمن الله، وإن تحرك فبأمر الله، وإن سكن فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد، جبرك الله يا تاج العارفين.

*

مكابدة العزلة أحسن من مداراة الخاصّة. والصبر على الشهوات أحسن على قلوب الأبرار من طلبها.

*

الفقر بَحْرُ البلاءِ، وبلاؤُهُ كُله عِلْمٌ.

*

وجودي أن أغيب عن الوجود.

*

* مولده ومنشؤه ببغداد، مات سنة 297 هـ.

محبة المحب كحب الحبيب.
المحبة نهاية المحبة عند هيجان الربوبية.

*

الهمة إشارة الله، والإرادة إشارة الملك، والخطرة إشارة المعرفة، والنية إشارة الشيطان، والشهوة إشارة النفس، واللهو إشارة الكفر.

*

اللحظة كفران، والخطوة إيمان، والإشارة غفران.

*

اللحظةُ كلامُ القلبِ، والخطوةُ كلامُ السرِّ، والإشارةُ كلامُ الخفاءِ.

*

أهل القلوب ابتلوا باللحظات، وأهل السِّرِّ ابتلوا بالخطرات، وأهل الخفاء ابتلوا بالإشارات.

*

إن لله عباداً يرون ما وراءهم من الأشياء ومن أحوال الدنيا بلحظات قلوبهم، وأحوال الآخرة بخطرات سرهم، وأحوال ما عند الله بإشارات خفائهم.

*

إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة.

*

لست أستبشع ما يَرِد عليَّ من العالم، لأني قد أصّلت أصلاً، وهو أن الدنيا دار همٍّ، وغمٍّ، وبلاء، وفتنة، وأن العالم كلّه شرّ. ومن حُكْمه أن يتلّقاني بكلِّ ما أكره؛ فإن تلقّاني بكل ما أُحبُّ فهو فضل، وإلا فالأصل هو الأول.

*

الصادق، ينقلب في اليوم أربعين مرّة، والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة.

*

أرقْت ليلة، فقمت إلى وردي، فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذُّذ بمناجاتي لربِّي. فتحيرت، فأردت القيام بما لم أقدر عليه، فقعدت، فلم أطق القعود، ففتحت الباب، وخرجت. فإذا رجل ملتفٌّ في عباءة مطروح على الطريق. فلما أحسَّ بي، رفع رأسه، وقال: يا أبا القاسم، إلى الساعة. فقلت: يا سيدي من غير موعد؟ فقال: بلى قد سألت محرّك القلوب أن يحرِّك إليَّ قلبك. فقلت: فقد فعل، فما حاجتك؟

فقال: متى يصير داءُ النفس دواءها؟

فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواءها. فأقبل على نفسه، وقال: اسمعي، قد أجبتُك بهذا الجواب سبع مرات فأبيتِ أن تسمعيه إلا من الجنيد، فقد سمعت، وانصرفَ عني ولم أعرفه. ولم أقف عليه بعد.

*

الخوف من الله يقبضني، والرجاء منه يبسطني. والحقيقة تجمعني، والحق يفرِّقني، إذا قبضني بالخوف أفناني عني، وإذا بسطني بالرجاء ردّني عليّ. وإذا جمعني بالحقيقة أحضرني. وإذا فرّقني بالحق أشهدني غيري فغطّانيَ عنه. فهو تعالى في ذلك كلِّه محرِّكي غير ممسكي، وموحشي غير مؤنسي. فأنا بحضوري أذوق طعم وجودي. فليته أفناني عنِّي فمتَّعني، أو غيَّبني عني فروّحني.

*

متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له بمن له شبيه ونظير؟

هيهات، هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف من حيث لا درك، ولا وهْم، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين وتحقيق الإيمان.

*

أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد.

*

إن أول ما يحتاج إليه العبد من الحكمة: معرفة المصنوع صانعه، والمُحْدَث كيف كان إحداثه. فيعرف صفة الخالق من المخلوق، وصفة القديم من المحدث. ويذل لدعوته، ويعترف بوجوب طاعته؛ فإن من لم يعرف مالكه لم يعترف بالملك لمن استوجبه.

*

التوحيد إفراد للقدم من الحدث.

*

الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة.

*

الرضا ترك الاختيار.

*

كنت بين يدي سَرِيٍّ* ألعب، وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر؛

فقال لي: يا غلام! ما الشكر؟

قلت: الشكر ألا تعصي الله بنعمه.

فقال لي: أخشى أن يكون حظك من الله لسانك!

فلا أزال أبكي علي هذه الكلمة التي قالها لي السَّرِي.

*

لو أقبل صادق على الله ألف ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة، كان ما فاته أكثر مما ناله.

*

من همَّ بذنب لم يفعله ابتُلي بهمٍّ لم يعرفه.

*

* يعني خاله وأستاذه في الطريقة السري السقطي.

- من العارف؟

- من نطق عن سرك وأنت ساكت.

*

القُرْبُ بالوَجْد جَمْع، والغَيْبَةُ بالبَشَرِيَّة تَفْرِقة.

*

إنك لن تكونَ له على الحقيقة عبداً، وشيءٌ مما دونه لك مُسْتَرِقٌ. وإنك لن تَصِل إلى صريح الحريّة، وعليك من حقيقة عُبودِيَّته بقيَّة. فإذا كنتَ له وحدَه عبداً، كنتَ مما دونه حُراً.

*

- من العارفُ؟

- من لم يَأسِرْه لَحْظُهُ ولا لَفْظُهُ.

*

قد مَشَى رجال باليقين على الماء؛ ومن مات على العطش أفضلُ منهم يقيناً.

*

من عرف اللهَ، لا يُسَرُّ إلا به.

*

من النذالة أن يأكل الرجل بدينه.

*

لا يصح لأحد الأخذ حتى يكون الإخراج أحبَّ إليه من الأخذ.

*

إن الحقائق اللازمة والقصود القوية المُحْكمة، لم تُبق على أهلها سبباً إلا قطعته، ولا معترَضاً إلا منعته، ولا تأويلاً مُوهماً لصحة المراد إلا كشفته.

فالحق عندهم لصحة الحال مجرد، والجد في دوام السَّير محدد، على براهين من العلم واضحة، ودلائل من الحق بيّنة.

*

أخي* أين دارك وقد خربت الديار؟ وأين مَنزلك والمنازل قاعٌ صفصفٌ قفار؟ وأين مكانك والأماكن عوافٍ دوارسُ الآثار؟ وماذا خبرُك عند ذهاب جوامع الأخبار؟ فيم نظرك عند اصطلام محاضر النظار؟ فيم فكْرُك وليس بحين نظر ولا افتكار؟ وكيف هدوؤك على ممر الليل والنهار؟ وكيف حذَرُك عند وقوع فواجع الأقدار؟ وكيف صبرك ولا سبيل إلى عزاء ولا اصطبار؟

فابكِ الآن إن وجدت سبيلاً إلى البكاء، بكاء الوالهة الحزينة الموجعة الثكلى، بفقد أعزة الأُلاَّف وفناء أجلّة الأخلاف، وإبادة ما مضى من الاكتناف، وذهاب مشايخ الاعتطاف. وورود بداية الاختطاف، وروادف عواصف الارتجاف، وتتابع قواصف الانتساف، وبواهر قواهر الاعتكاف، وثواقب ملامح الاعتراف،

فإلى أين موئلك، وإلى ما يبلغ مصدرك، والأحلام متمزقة، والقلوب متصدعة، والعقول منخلعة، والأنباء كلها مرتفعة،

وأنت في أوابد مندمسة، ونجوم منطمسة، وسبل ملتبسة،

فقد أضلك في اختلاف مناهجها ظلماؤها، وانطبقت عليك أرضها وسماؤها،

ثم أفضى بك ذلك إلى لجة اللجج، والبحر الزاخر الغامر المختلج، الذي كلُّ بحرٍ دونه أو لجة، فهو فيه كتَفْلَةٍ أو مجّة،

---

* رسالة الجنيد إلى أبي بكر الكسائي.

فقد قذف بك في كثيف أمواجه، وتلاطم عليك بعظيم هوله وارتجاجه، فمن مستنقذك من متلفات المهالك أو مخرجك مما هنالك؟ كتابي إليك أبا بكر، وأنا أحمد الله حمداً كثيراً، وأسأله العفو والعافية في الدنيا والآخرة، وصل إليَّ منك كتبٌ فهمتُ ما ذكرت فيها؛ ولم يمنعني من إجابتك عليها ما وقع في وهمك، وشقَّ عليَّ ما ذكرت من غمك،

وليس حالك عندي حال معتوب عليه، بل حالك عندي حال معطوف عليه،

ويحسبك من بلائك أن أكون سبباً للزيادة في البلاء عليك، وإني عليك لمشفق،

وإنما منعني من مكاتبتك، لأني حذرت أن يخرج ما في كتابي إليك إلى غيرك بغير علمك، وذلك أني كتبت منذ مدة كتاباً إلى أقوام من أهل إصبهان، ففتح كتابي، وأخذت نسخته،

استعجم بعض ما فيه على قوم، فأتعبني تخلصهم،

ولزمني من ذلك مؤنة عليهم، وبالخلق حاجة إلى الرفق،

وليس من الرفق بالخلق ملاقاتهم بما لا يعرفون، ولا مخاطبتهم بما لا يفهمون،

وربما وقع ذلك من غير قصد إليه، ولا تعمد له، جعل الله عليك واقية وجُنّة وسلمنا وإياك.

فعليك، رحمك الله، بضبط لسانك، ومعرفة أهل زمانك، وخاطب الناسَ بما يعرفون، ودعهم مما لا يعرفون،

فقلَّ من جهل شيئاً إلا عاداه. وإنما الناس كالإبل المائة: ليس فيها راحلة، وقد جعل الله تعالى، العلماء والحكماء رحمة من رحمته، وبسطها

على عباده، فاعمل على أن تكون رحمة على غيرك، إن كان الله قد جعلك بلاء على نفسك، واخرجْ إلى الخلق من حالك بأحوالهم، وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم، فذلك أبلغ لك ولهم.

*

– ما التصوّف؟

– تصفية القلب عن موافقة البريَّة، ومفارقة الأخلاق الطبيعية، وإخماد الصفات البشرية، ومجانبة الدواعي النفسانيَّة، ومنازلة الصفات الروحانيَّة، والتعلق بالعلوم الحقيقيّة، واستعمال ما هو أولى على الأبديَّة، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول في الشريعة.

*

(...) أسألك أن لا تحجب، بسوء فعلي، عنك صوتي، ولا تفضحني بخفي ما اطَّلَعْتَ عليه من سِرِّي. ولا تعاجلني العقوبة على ما علمتَه من خلواتي. وكن بي في كل الأحوال رافقاً، وعليَّ في كل الأحوال عاطفاً. إلهي وسيدي وسَنَدي أنا بك عائذ لائذ مستغيث مستجير من تكاثف مَخاوف عِلل سرّي. ومن لزوم ذلك ضميري وقلبي، حتى يكاد ذلك أن يملأ صدري، ويُوقف على الانبساط إلى ذِكرك عقلي ولساني، ويمنع من الحركة في الخدمة جسمي. فأنا في حبس ما يعارضني من ذلك من النقص والتقصير أسألك أن تخرج ذلك عن ذكري، وتمنعه عن قلب. واجعلْ أوقاتي من الليل والنهار بذكرك معمورةً، وبخدمتك وعبادتك موصولةً، حتى يكون الورود وروداً واحداً والحال حالاً واحداً لا سآمة فيه ولا فتور ولا مَلَل ولا تقصير، حتى أسرع به إليك في حين المبادرة، وأسرح بذلك إليك في ميادين المسابقة وارزقني من طعم ذلك اللذائذ السابغة يا أكرَمَ الأكرمين.

*

إلهي، وسيدي، ومولاي، من أحسنُ منك حُكماً لمن أيقن بك؟ ومن أوسع منك رحمة لمن اتّقاك وقصدك؟ ومن أسرع منك عطفاً ورأفة لمن أرادك وأقبل على طاعتك؟ فكلهم في نعمائك يتقلبون، ولك بفضلك عليهم يعبدون. سرت همومهم بك إليك، وانفردت إرادتهم لديك، وأقبلت قلوبهم بك عليك، وفنيت حظوظهم من دونك واجتمعت لك وَحْدَك. فهم إليك في الليل والنهار متوجهون، وعليك في كلِّ الأحوال مقبلون، ولك على الأحوال مؤثرون. فأنا أسألك إلهي وسيدي ومولاي أن تكون لي بفضلك كالئاً كافياً عاصماً راحماً، فإني إليك لاحٍ، وبك مستغيث، وإليك راغب، ومنك راهب وعليك في أمور الدنيا والآخرة متوكل، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

*

أوصيك* بقلة الالتفات إلى الحال الماضية، عند ورود الحال الكائنة.

*

كيف لا تسمو إليه السرائر، وتنزعج بما فيها إليه الضمائر! وكيف لا تسرع إليه الأقدام بالطاعة، وتنهض إليه بالجد والمبادرة، أنساً منها ببلاياه وسروراً بعظيم عطاياه!

*

لا زلت أيها الموجود بباب الله راتباً، وبه منه إليه لما يحبه منك طالباً، وله في آلائه وغريب أنبائه راغباً،

فحبك به عليه في ما يحبه لك ويبلغك إليه باصطفائه إلى ما يريده منك ليصطفيك في ما يوليك بما ينتخبه لك ويجتبيك، وثم يبديك فيما يوليك ويخفيك في عزيز ما يبديك،

---

* كلام له لبعض أصحابه.

إعلاء لك عن مصادقة النواظر لحقيقتك، وضناً بك عن معرفة القلوب لمكانتك، وضماً لك بالاشتمال عليك إلى مصون منزلتك،

فكنت عند ذلك بحيث أرمس المكان مكونه، وطمس الدلائل عليه من وهم متوهمه، فكنت فيما هنالك بغيب لغيب انتفت عن حقائقه الشكوك والريب،

كما أن الحقائق بحق اليقين تعلم وملاحظة العيان لها محتجبة لا تتوهم، ومن وراء ذلك توحيد الموحد وربانية الألوهية المتفرد على أولية أزلية وبقاء سرمد الأبدية

وهناك ضلت مقاليد الفهماء، ووقفت علوم العلماء، وانتهت إليه غايات حكمة الحكماء.

*

أبت الحقائق أن تدع في القلوب مقالة للتأويلات.

*

النية تصوير الأفعال.

*

التصوفُ ترك الاختيار.

*

التصوف عنوة لا صلح فيها.

*

أهلُ التصوفِ أهلُ بيتٍ واحدٍ لا يدخل فيهم غيرهم.

*

التصوف ذكر مع اجتماعٍ، ووجد مع استماع، وعملٌ مع اتّباع.

*

الصوفيُّ صفتُه ثلاثٌ؛ كالأرض يَطَؤُها البَرُّ والفاجرُ، وكالسحابِ يُظِلُّ كلَّ شيءٍ، وكالقطر يسقي ما يُحبُّ وما لا يُحبُّ.

*

-ما الأنس؟

-الأنس ارتفاع الحشمة مع وجود الهيبة.

*

لا يصحّ لأحد الأخذ حتى يكون الإخراج أحبَّ إليه من الأخذ.

*

لا يضرّ نقصان الوجد مع فضل العلم، وفضل العلم أتمّ من فضل الوجد.

*

الحملان في الوجد بعد الغلبة أتمُّ من حال الغلبة في الوجد، والغلبة في الوجد أتمّ من المحمول قبل الغلبة.

*

إذا رأيتَ الصوفيَّ يُعنى بظاهره، فاعلمْ أنّ باطنه خراب.

*

اعلموا معاشر القاصدين إليه أن لله تعالى في كلِّ ساعةٍ نظرة إلى قلوب الأصفياء وأهل الوداد، ولهم في كل ساعة نظرة إلى الله تعالى بعين الفؤاد، ولا يزال المولى يدعو أحباءه إلى نفسه، ويقول: أصفيائي وأحبائي إني أنا الله لا إله إلا أنا، هلمّوا إلى مصاحبتي، وتهيّأُوا إلى مؤانستي، وبادروا إلى قربي وصلتي، فإني لكم حبيب في الدارين جليساً وأنيساً.

وهم يجيبونه بلسان الافتقار، ويقولون: لبيك الله لبيك، لبيك يا منان القلوب، لبيك لبيك لبيك يا سرور القلوب، لبيك لبيك من الدارين لبيك، لبيك بدعوتك إليك من كل ما سواك لبيك، وإليك بل منك إليك لبيك، لبيك

بمصاحبتك والقرب منك لبيك، لبيك يا دليل القاصدين إليك لبيك، لبيك لبيك لبيك، يا مراد المريدين وأنيس المستأنسين إليك لبيك،

لبيك لبيك يا قرّةَ عين العارفين، وثمرة فؤاد المحبين لبيك، لبيك يا سيد السادات، ومولاي ومنتهى رغبتي، وغاية أملي لبيك، لبيك، أبد الآبدين لبيك، لبيك كما أنت أهله لبيك، لا ملجأ ولا منجا ولا مفر منك إلا إليك،أنت كما أثنيت على نفسك، لا أحصي ثناءً عليك،

اللَّهُمَّ أنت شفيعي منك، وأنت دليلي منك إليك، وأنت معيني فيك لديك، يا حبيب القلوب والأنيس الأكبر بك عليك أن لا تحجبني بك عنك، يا أقرب من كلِّ قريب، وبك عليك أن لا تبعدني منك، يا غاية أملي سلام على الدارين بما فيها لدعوتك،

سبحانك سبحانك سبحانك عجباً مني ومنك ما أشدّ توددك لي منك، وما أكثر الدلال مني إليك،

سبحانك سبحانك عجباً للخليقة كيف أرادوا بك بديلاً؟ أم كيف اختاروا عليك كفيلاً؟ أم كيف آثروا سواك دليلاً؟

سبحانك سبحانك ما أطيب وما ألذّ اتفاق الإلهام منك على خطرات القلوب وما أحلى المشيَ إليك بالأوهام في طرقات الغيوب

سبحانك ما أدقّ ما لا يمكن للخلق وصفه، وما أخفى ما لا يمكن عن الخلق كشفه، وما أظهر ما لا يمكن عن الحق كتمه،

سبحانك سبحانك ماأطول غم ما لم يكن للوصال أهلاً وما أقل سرور ما لم يكن له من محبتك نصيباً،

إلهي بك أقسمت عليك أن لا تبتليني بغم الإبعاد عنك بعدما زينتني بسرور القرب منك، ولا تضربني بسيف الهجران بعدما أحييتني بروح الوصال إليك،

إلهي طوبى لعبد قام بين يديك، وانقطع قلبه إليك، واكتفى بك منك لديك،

طوبى لبدن انتصب لك لديك، وقصد بك إليك، واعتمد بك عليك،

طوبى لعين نظرت منك إليك، وبكت فيك إليك، وقفلت عن كل ما سواك إليك،

إلهي كيف تبكي عين ضحكت منك إليك، أم كيف لا تبكي خشية أن تكون يوماً حسرة عليك،

إلهي ضحكي من حيث بكائي، وبكائي من حيث ضحكي، وسروري من حيث غمومي، وغمومي من حيث سروري،

إلهي دائي من حيث دوائي، ودوائي من حيث دائي، إلهي كيف أبكي وقد عرفتك؟ أم كيف أضحك وقد جفوتك؟

إلهي كيف أحزن وأنت كما أنت الحبيب المحبوب؟ أم كيف أفرح وأنا كما أنا الخسيس المعيوب؟

إلهي كيف يفتقر من أنت من الدارين حظه؟ أم كيف يفتقر من أنت غاية أمله؟ إلهي كيف يكون غريباً من أنت غاية أمله، ومن الدارين نصيبه؟

إلهي منك ضحكي ومنك أيضاً بكائي، أنت دائي وأنت أيضاً دوائي، إلهي فيك عزي وفيك أيضاً هواني، حسبي من سؤالي علمك بحالي، حسبي من دوائي علمك بدائي، حسبي من حياتي علمك بجفائي،

حسبي منك وداً أني لم أجد منك بُداً،حسبي منك حسرة إن بقيت منك منفرداً مبعداً مطروداً فرداً، إلهي بك أنت افتخاري، إذا نظرت منك إليك وأنت أنيسي، إذا نزلت منك عليك وأنت سروري، إذا أتيت منك لديك. إلهي لسانك تمام ما أغنيت وتحقيق ما أرعيت وتدويم ما أعطيت وأعوذ بك منك.

إلهي ارحم انقطاعي إليك، وانفرادي بك، وغربتي في بلادك، ووحشتي بين عبادك،

إلهي لا لي منك ولا لي فيك حيلة، ولا لي من صبر، ولا لي مع سواك أنس فالمستعان منك إليك. إلهي كيف ينساك من لا يغيب عنك؟ أم كيف

يغيب عنك من لا يصبر ساعة منك؟ أم كيف يصبر عنك من قد صار محترقاً بنار حبك؟ أم كيف يقوى على هجرك من تيمه حبك؟

إلهي أنت حسبي من الدارين، ومن جميع الخلائق حبيباً وأنيساً، يا مؤنسي وأنيسي، يا صاحبي وجليسي،

إلهي ما أعظمك وأجلك، إلهي ما ألذ ذكرك والأنس بك، وما أحلى خدمتك والشغل فيك،

إلهي ما أوحش قلباً ليس فيه أنسك، وما أخرب قلباً ليس فيه ذكرك، وما أقل سرور قلب ليس فيه حبك، إلهي هذا سروري بك في حال المناجاة، فكيف سروري بك في حال الملاقاة،

إلهي بسروري بك بطل عني الغموم، وبشغلي فيك أزال عن الهموم، أسألك سؤال من لا يعرف بالربوبية غيرك أن تعتقني من عبودية ما سواك حتى أكون أسير منتك ورهين كرمك وغريق إنعامك،

إلهي خلقتني فأحسنت خلقي، وربيتني فأحسنت تربيتي، ودعوتني إلى نفسك باللطف دعوة، فوفقني لما تحب وترضى يا أرحم الراحمين، إلهي لك الحمد كما أنت أهله وكما ينبغي لكرم وجهك، وعز جلالك وعظيم ربوبيتك يا أكرم الأكرمين.

*

(...) سألتَ عن الفرق بين الإخلاص والصدق،

(...) الصدق على ثلاثة أشياء: صادق بلسانه وهو القائل بالحق، له كان أم عليه بخروجه عن التأويل والتدليس. وصادق في فعله، وهو الباذل للمجهود من نفسه بإخراج وجود راحته. وصادق بقلبه وهو القصد إليه في فعله. فعند وجود هذه الخصال يكون صادقاً، مع أن الصدق موجود من الصادق في كل حال، لا يُستغنى عنه في كل حال من الأحوال.

ومعنى الإخلاص إفراد النيّة لله عز وجل، وحسن القصد إليه بحضور العقل عند موارد الأشياء، وبيان تلوين الأمور عليه، بما وافق الأول في

معنى صحة قصده، وردِّ ما خالف ذلك من موارد النفس والعدو، مع ذهاب رؤية النفس بوجود رؤية المنّة، مع وجود حسن العزاء عند المذمة من الخلق، لوجود حسن المعرفة بالفضل، ووجود الكراهة عند المحمدة، لخوف فساد المعرفة بذهاب رؤية الخلق عند مصادفة الأحوال،

فهذا علم مشهود عند شاهد مخلص معدوم عند شاهد الخلق.

فالصدق والإخلاص يتفقان في حال المخلص، وينفرد الصدق بالصادق مع أول وجود الإخلاص.

فغاية وصف الموصوفين بالعبودية في الاستعباد هو الإخلاص، والصادق في حقيقة صدقه يُتولى بالإخلاص، والمخلص في حقيقة إخلاصه يتولى بالكفاية لوجود نفاذ البصيرة، وذو البصيرة في حقيقة نفاذ بصره يُتولى بالحياطة من جميع ما يخشى فساده.

*

لا غبتَ بك عن شاهدك، ولا غاب شاهدك بك عنك،

ولا حلت بتحويلك عن حالك،

ولا حال حالك بتحويله عنك، ولا بنت عن حقيقة أنبائك، ولا بانت أنباؤك بغيبة الأنباء منك. ولا زلت في الأزل شاهد الأزل في أزليتك، ولا زال الأزل يكون لك مؤيداً لما زال منك،

فكنت بحيث كنت كما لم تكن ثم كنت بفردانيتك متوحداً، وبوحدانيتك مؤيداً، بلا شاهد من الشواهد يشهدك.

ولا غبت لدى الغيب من الغيب بغيبتك.

فأين ما لا أين لأينه، إذ مُؤيِّنُ الأينات مبيدٌ لما أيّنه، وإذ الإبادة مبادة في تأبيد مبيد الإبادات، وإذ الاجتماع فيما تفرّق، والتفريق فيما جمع، فرق في جمع جمعه، وإذ الجمع بالجمع للجمع جمع في ما جمعه.*

*

* من رسالة الجنيد إلى يحيى بن معاذ الرازي.

(...) فيوصلك بفنائك* إلى بقائك، لوصولك إلى بغيتك فيبقى ببقائه. وذلك أنَّ توحيدَ المُوحِّد باق ببقاء الواحد، وإن فني الموحد فحينئذ أنت أنت، إذ كنت بلا أنت، فبقيت من حيث فنيت.

والفناء ثلاثة: فناء عن الصفات والأخلاق والطباع بقيامك بدلائل عملك ببذل المجهود ومخالفة النفس وحبسها بالمكروه عن مرادها.

والفناء الثاني فناؤك عن مطالعة حظوظ من ذوق الحلاوات واللذات في الطاعات لموافقة مطالبة الحق لك لانقطاعك إليه، ليكون بلا واسطة بينك وبينه.

والفناء الثالث فناؤك عن رؤية الحقيقة من مواجيدك بغلبات شاهد الحق عليك، فأنت حينئذ فانٍ وباقٍ وموجود محقق لفنائك بوجود غيرك عند بقاء رسمك بذهاب اسمك.

*

اعلم أن أول عبادة الله عز وجل معرفته، وأصل معرفة الله توحيده، ونظام توحيده نفي الصفات عنه بالكيف والحيث والأين. فبهِ استُدِلّ عليه، وكان به استدلاله به عليه توفيقه فبتوفيقه وقع التوحيد، ومن توحيده وقع التصديق به، ومن التصديق به وقع التحقيق عليه.

ومن التحقيق جرت المعرفة به، ومن المعرفة به وقعت الاستجابة له في ما دعا إليه. من الاستجابة له وقع الترقّي إليه، ومن الترقّي إليه وقع الاتصال به، ومن الاتصال به وقع البيان له. ومن البيان له وقع عليه الحيرة، ومن الحيرة ذهب عن البيان. ومن ذهابه عن البيان له انقطع عن الوصف له. وبذهابه عن الوصف وقع في حقيقة الوجود له. ومن حقيقة الوجود وقع في حقيقة الشهود بذهابه عن وجوده. وبتفقد وجوده صفا

* الكلام على الفناء.

وجوده، وبصفائه غيّب عن صفاته. ومن غيبته حضر بكليته، فكان موجوداً مفقوداً ومفقوداً موجوداً.

فكان حيث لم يكن، ولم يكن حيث كان.

ثم كان بعد ما لم يكن حيث كان كان، فهو هو بعد ما لم يكن هو.

فهو موجود موجود بعد ما كان موجوداً مفقوداً، لأنه خرج من سكرة الغلبة إلى بيان الصحو. وترد عليه المشاهدة لإنزال الأشياء منازلها ووضعها مواضعها لاستدراك صفاته ببقاء آثاره والاقتداء بفعله بعد بلوغه غاية ما له منه.

*

إنني مؤاخذ بذنوب الأولين والآخرين. وهذا دليل الكُليّة، فلما يرى رجل نفسه الكُلَّ، ويرى الخلق بمثابة الأعضاء بالنسبة له، يصل إلى مقام المؤمنين كنفس واحدة.

*

ليس الاعتبار بالخرقة إنما الاعتبار بالحرقة.

*

كان قلبي قد ضاع مني يوماً؛
فقلت: إلهي، أعدْ إليّ قلبي،
فسمعت نداء: لقد اختطفنا قلبك؛ حتى تبقى معنا،
وأنت تريد أن تبقى مع غيرنا.

*

يُروى أنَّ قدم الجنيد آلمته ذات مرة، فقرأ الفاتحة، ونفخ في قدمه.
فهتف به هاتف: ألا تخجل أن تستهلك كلامنا في حقٍّ نفسك.

*

يُروى أن عين الجنيد آلمته ذات مرة، فقال له الطبيب: إذا أردت شفاء عينك، فلا تغسلها بالماء.

وعندما مضى الطبيب، توضأ، وصلى، واستغرق في النوم، ولما استيقظ، كانت عينه قد شفيت،

وسمع صوتاً: ضحّى الجنيد بعينه في سبيل مرضاتنا،

ولو طلب منا العفو عن أهل الجحيم بتلك العزيمة، لأجبناه.

*

يُروى أن شيخاً كان يأتي إلى الجنيد، فرأى إبليس يفرُّ من أمامه.

ولما وصل الشيخ إلى الجنيد، وجده غاضباً، يؤذي رجلاً.

فقال: يا شيخ، لقد سمعت أن إبليس يتسلّط على ابن آدم حين يغضب، وأنت الآن غاضب، ورأيت إبليس يفرُّ منك.

فقال الجنيد: ألا تسمع أو تعلم أننا لا نغضب بأنفسنا، بل نغضب بالحق، فلا جَرْم أن إبليس يفرُّ منا.

*

كان الجنيد يعظُ ذات يوم، فنهض رجل، وقال: لا أفهم كلامك.

فقال له: ضع طاعة سبعين سنة تحت قدميك.

قال: وضعتها، ولم أفهم.

قال: ضع رأسك تحت قدميك، وإن لم تفهم؛ فاعلمْ أن الذنب ليس ذنبي.

*

جاءه رجل بخمسمائة دينار. قال الجنيد: ألك غيرها؟

فقال: نعم، لدي الكثير.

فقال الجنيد: أتريد غير ما تملك؟

فقال: نعم.

قال له: خذها، فإنك أحوج إليها منا. فإنني لا أملك شيئاً قط، ولا يلزمني شيء قط.

*

يخرج النَّفَس الرحماني من الرأس، فتموت النَّفْسُ والصدرُ والقلبُ، ولا يمرُّ على شيء، إلا ويحرقه، وإن كان العرش.

*

عندما تتجلّى القدرة، يمكن أن يكره المرء نفسه.
وعندما تتجلّى الهيبة، يمتنع عن التأوه.
وعندما تتجلّى العظمة، فإن من يتأوّه هناك، يصير كافراً.

*

إنَّ الآهةَ التي يتأوّهها المرء مضطراً، تحرقُ جميع الحجب بين العبد وربّه، وتمحو الذنوب.

*

بين العبد والحق أربعة بحور، لا يصل العبد إلى الحق ما لم يقطعها:
الأول: الدنيا، وسفينته الزهد.
والثاني: الخلق، وسفينته الاجتناب.
والثالث: إبليس، وسفينته البغض.
والرابع: الهوى، وسفينته المخالفة.

*

لا تُدْرِكُ حقيقة الحرية؛ ما دام فيك شيء من العبودية.

*

لا تأنس النفس بالحقّ قط.

*

كلُّ عينٍ لا تعتبر، عماها أفضل،
وكلُّ لسان لا يستغرق في الذكر، خرسه أفضل.
وكلُّ أذن لا تنصت إلى الحق، صممها أفضل،
وكلُّ بدن لا يداوم على طاعة الله، موته أفضل.

*

من ضنَّ بعمله، زلَّتْ قدمه.
ومن اكتنز ماله، قلَّ ماله.
ومن تمسّك بطاعة الله عَظُمَ شأنه.

*

الدنيا أمَرُّ من الصبر على قلوب المريدين،
وعندما تدرك قلوبهم المعرفة، يصبح ذلك الصبر أشهى من العسل.

*

تزهو الأرض بالمتصوفة، كما تزهو السماء بالنجوم.

*

معاشرَ الفقراء، إنما تُعرفون بالله، وتُكرمون لله.
فإذا خلوتم به، فانظروا كيف تكونون معه.

*

أفضل الأعمال: تعلّم علم الأوقات.
وهو أن تصون نفسك، وقلبك، ودينك.

*

الخواطر أربعة:
خاطر من الحق، يدعو العبد إلى اليقظة،
وخاطر من الملائكة، يدعو العبد إلى الطاعة،
وخاطر من النفس، يدعوه إلى زينة النفس، ونعيم الدنيا،
وخاطر من الشيطان، يدعوه إلى الحقد، والحسد، والعداوة.

*

الهمة إشارة الله،
والإرادة إشارة الملائكة،
والخاطر إشارة المعرفة،

وزينة الجسد إشارة الشيطان،
والشهوات إشارة النفس،
واللهو إشارة الكفر.

*

لا يعاقبُ الله صاحبَ همّة قط، إن ارتكبَ معصيةً.

*

لا يتقدّم أحدٌ على أحدٍ قط، ولا عملٌ على عمل قط إلا همّة صاحب الهمة، فهي تسبق الهمم.
وتسبق الهمم غيرها من الأعمال.

*

المقامات بالشواهد.
من حظي بمشاهدة الأحوال، فهو رفيق.
ومن حظي بمشاهدة الصفات، فهو أسير.
يتألم؛ لأنه يجد نفسه في موضع ينبغي أن يموت فيه ألف مرة في ليلة وضحاها.
حتى إذا فني عن نفسه، وتحقق له شهود الحقّ تعالى، صار أميراً.

*

التصوف هو أن يميتك الحق عنك، ويحييك به.

*

التصوّف هو أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة.

*

التصوف ذكرٌ ثم وجد، ثم لا هذا ولا ذاك.
وهو لا يبقى، كما أنه لا يكون.

*

العارف يطوي المقامات، ولا يحجبه أي شيء أو يمنعه.

*

المعرفة مكر الله.

*

علم التوحيد مباين لوجوده، ووجوده مباين لعلمه.

*

علم التوحيد طوى بساطه منذ عشرين سنة، والناس يتكلمون في حواشيه.

*

المحبة أمانة الله.

*

كل محبة كانت لغرض، إذا زال الغرض، زالت تلك المحبة.

*

المحبة إفراط الميل بلا نيل.

*

الأنس بالمواعيد، والتعويل عليها، خلل في الشجاعة.

*

المشاهدة غرق،
والوجد هلاك.

*

الوجد يحيي الجميع، ويبصر به الجميع.

*

المشاهدةُ معاينةُ الشيء بوجودِ ذاته.

*

الوجد هلاك الوجد.

*

الوجد انقطاع الأوصاف في ظهور الذات في السرور.

*

القرب بالوجد جَمْعٌ، والغيبة بالبشرية تفرقةٌ.

*

من تحقق في المراقبة، خاف على فوت حظه من ربه لا غير.

*

- ما الفرق بين المراقبة والحياء؟

- المراقبة انتظار الغائب، والحياء الخجل من الحاضر.

*

الوقت إذا فات لا يُسْتَدرك.

وليس شيء أعز من الوقت.

*

الشكر ألَّا ترى نفسك أهلاً للنعمة.

*

الزهد خلو اليد من الملك، والقلب من التتبع.

*

اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب، ولا يحول، ولا يتغير في القلب.

*

اليقين ألا تبتغي الرزق، وألا تحزن عليه، ويكفيك هذا.

*

الفتوة هي ألا تنافر فقيراً، ولا تعارض غنياً.

*

الفتوة كفُّ الأذى، وبذل الندى.

*

التواضع خفض الجناح للخلق، والاستغناء بالحق.

*

صحبة الفاسقين الأخيار، أحب إليّ من صحبة القراء الأشرار.

*

وُجدت العناية قبل الماء والطين.

*

الحال أمر يردُ على القلب، لكنه لا يدوم.

*

الرضا رفع الاختيار.

*

الرضا أن تعد البلاء نعمة.

*

الخوف إخراج الحرام من الجوف، وترك العمل بعسى وسوف.

*

الحقيقة ذكر فناء الذاكر في الذكر،
والذكر في مشاهدة المذكور.

*

المكر أن يمشي الرجل على الماء، ويطير في الهواء، ويصدقه الجميع في هذا، ويقبلون إشاراته في هذا.
وهذا كله مكر لمن يعلم.

*

- ما التوحيد؟

- معنى تضمحل فيه الرسوم، وتندرج فيه العلوم، ويكون الله كما لم يزل.

*

- ما التوحيد؟

- توحيد العبد كله ذل وعجز وضعف واستكانة.

وتوحيد الرب كله عز وقدرة.

والموحد هو من يميّز بين هذا وذاك.

*

- ما التوحيد؟

- اليقين.

- كيف؟

- معرفتك أن حركات الخلق وسكونهم، فعل الله عز وجل وحده، لا شريك له. فإذا فعلت ذاك؛ فقد وحدته.

*

- ما الفناء والبقاء؟

- البقاء للحقِّ، والفناء لما دونه.

*

- ما التجريد؟

- من كان ظاهره مُجرَّداً عن الأعراض، وباطنه مجرداً من الأغراض.

*

- ما المحبة؟

- دخول صفات المحبوب على البدل من صفات المحب.

قال رسول الله: فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً.

*

- ما التفكُّر؟

- للتفكر وجوه: تفكر في آيات الله تعالى، وتنبع منه المعرفة.

وتفكر في آلاء الله ونعمائه، وتنبع منه المحبة.

وتفكر في وعد الله وعذابه، وتنبع منه الهيبة.

وتفكر في صفات النفس، وإحسان الله تعالى إليها.

وينبع منه الحياء من الله تعالى.

وإن قال أحد: لماذا تنبع الهيبة من التفكير في الوعد؟

أقول: يفر المرء من الله ثقة في كرمه، وينشغل بالمعصية.

*

- كيف يكون تحقّق العبد في العبودية؟

- حين يرى العبد الأشياء جميعها ملك الله، ويرى وجود الجميع بفضل الله، وقيامهم بالله، ومرجعهم إلى الله. فمن تحقق له هذا، فقد وصل إلى صفوة العبودية.

*

- ما حقيقة المراقبة؟

- حال ينتظره من يخشى وقوعه، لا جرم أنه خلق.

*

- ما الصادق والصديق والصدق؟

- الصدق صفة الصادق، والصادق إذا رأيته وجدته كما سمعت عنه، بل إن أخباره إن كانت قد بلغتك مرة، تجدها كذلك طوال عمره.

والصديق، دائماً ما يصدق في الأفعال، والأقوال، والأحوال.

*

- ما الإخلاص؟
- فرض في فرض، ونفْلٌ في نفْل.

*

- ما الخوف؟
- هو توقع العقوبة مع مجاري الأنفاس.

*

- ما الشفقة على الخلق؟
- تعطيهم من نفسك ما يطلبون، ولا تحملهم ما لا يطيقون، ولا تخاطبهم بما لا يعلمون.

*

- متى تصح الوحدة؟
- حين تعتزل نفسك، ويصير ما كُتب عليك بالأمس، هو درس اليوم.

*

- من هو العزيز في الخلق؟
- الفقير الراضي.

*

- من نصحب؟
- من ينسى كل معروف أسداه إليك، ويقضي ما عليه.

*

- هل هناك شيء أفضل من البكاء؟
- البكاء على البكاء.

*

- من العبد؟
- من تحرَّر من عبودية الآخرين.

*

- من المريد؟ ومن المراد؟

- المريد: تتولاه سياسة العلم،

والمراد: تتولاه رعاية الحق سبحانه؛

لأن المريد يسير، والمراد يطير.

فمتى يلحق السائر الطائر؟

*

- كيف السبيل إلى الله؟

- ترك الدنيا، ومخالفة الهوى، والاتصال بالحق.

*

- ما التواضع؟

- خفض الرأس، وحط الجانب.

*

- إنك تقول إن الحجب ثلاثة: النفس، والخلق، والدنيا.

- هذه حجب العامة،

أما حجب الخاصة فهي ثلاثة أيضاً: رؤية الطاعة، ورؤية الثواب، ورؤية الكرامة.

*

زلّة العالم الميل عن الحلال إلى الحرام،

وزلة الزاهد الميل عن البقاء إلى الفناء.

وذلة العارف الميل عن الكريم إلى الكرامة.

*

- ما الفرق بين قلب المؤمن وقلب المنافق؟

- قلب المؤمن يتحول في اللحظة سبعين مرة،

وقلب المنافق يبقى على حالة سبعين سنة.

*

يُروى أن الجنيد شوهد، وكان يقول: يا رب، ابعثني يوم القيامة أعمى.
فقالوا: ما هذا الدعاء؟
قال: لأن الذي لا يراك، لا ينبغي أن تراه.

*

عندما حلّت وفاته، قال: هاتوا المائدة، وضعوها؛ حتى أقدم جمجمة اللسان طعاماً للأصحاب.

ولما اشتد عليه الأمر، قال: وضؤني.

فنسوا التخليل في الوضوء، فأمرهم بالتخليل.

ثم سجد، وهو يبكي.

قالوا: يا سيد الطريقة، أي وقت للسجود مع هذه الطاعة والعبادة التي أديتها من قبل.

قال: ليس هناك وقت أحوج إليه الجنيد من هذه اللحظة.

وبدأ تلاوة القرآن في الحال.

فقال مريد وهو يقرأ: أتقرأ القرآن؟

قال: ومن أولى بذلك مني، وهي ذا تُطوى صحيفتي، وأرى طاعتي وعبادتي طيلة سبعين سنة معلقة بشعرة في الهواء، وتهب ريح، وتحركها. ولا أدري أهي ريح القطيعة، أم رياح الوصل؟

والصراط على جانب، وملك الموت على الجانب الآخر، ولا يحيد القاضي العادل. وقد أفسحوا طريقاً أمامي، ولا أعلم إلى أي طريق سيحملوني.

ثم ختم القرآن، وقرأ سبعين آية من سورة البقرة.

واشتد به الأمر.

فقالوا له: قُل: الله.

قال: لم أغفل عن ذكره.

ثم أخذ يسبح، وترك المسبحة، وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. وأغمض عينيه، وأسلم الروح.

ولما أراد المُغسِل أن يغسل عينيه بالماء عند الغَسل، سمع صوتاً أن ارفعْ يدك عن عين حبيبنا؛ فالعين التي أغمضت على ذكرنا، لا تفتح إلا في لقائنا.

ثم أراد المُغسِل أن يبسط أصابعه التي كان قد عقدها، فهتف هاتف إن الأصابع التي عُقدت على ذكرنا، لا تُبسط إلا بأمرنا.

ولما رفعوا النعش، حطت حمامة بيضاء على طرفه، ولم تطر مهما دفعوها.

حتى هتف هاتف: لاتؤذوا أنفسكم وتؤذوني. فقد ثبتت قبضتي بمسمار العشق في طرف النعش، وقد بقيت من أجلها، فلا تؤذوني. وجسده اليوم نصيب الملائكة المقربين، وإن لم تكن غوغاؤكم؛ لكان جسده يطير معنا في الهواء مثل صقر أبيض.

*

أبو حمزة الخراساني*

من نَصَح نَفْسه كَرُمت عليه؛ ومن تَشاغَل عن نصيحتِها هانتْ عليه.

*

- ما الأُنْس؟
- ضِيقُ الصَّدْر عن مُعاشرة الخَلق.

*

الغَريبُ، المُسْتَوْحِش من الإلف.

*

من استَشْعَر ذِكر الموت حُبِّب إليه كلُّ باقٍ، وبُغِّض إليه كلُّ فانٍ.

*

خَفْ سَطْوةَ العَدل، وارْجُ رَأْفَة الفَضْل؛ ولا تأمَنْ مِنْ مكره، وإنْ أَنْزَلك الجِنان؛ ففي الجنَّة وقع لأبيك آدم ما وقع؛ وقد يُقطَع بقوم فيها، فيقال لهم: ﴿كُلوا وَاشْرَبُوا هَنيئاً بما أَسْلَفْتُمْ في الأَيَّامِ الخَاليَةِ﴾** ؛ فَشَغَلهم عنه بالأكل والشُّرْب، ولا مَكْر فوق هذا، ولا حَسْرة أعظم منه.

*

- هل يتَفرَّغ المحِبُّ إلى شيءٍ سوى مَحْبوبه؟
- لا! لأنه بلاءٌ دائمٌ، وسرورٌ مُنْقَطِّع، وأوجاع مُتَّصِلة لا يَعْرفها إلا مَن باشرها.

*

* أصله من نيسابور، ويعدّ من أقران الجنيد.

** سورة الحاقّة، الآية:24.

الحكيم الترمذي*

الأولياء عندنا على صنفين: صنف أولياء حق الله، وصنف أولياء الله. وكلاهما يحسبان أنهما أولياء الله.

فأما ولي حق الله فرجل أفاق من سكرته. فتاب إلى الله تعالى، وعزم على الوفاء لله تعالى بتلك التوبة. فنظر إلى ما يُراد له في القيام بهذا الوفاء فإذا هي حراسة هذه الجوارح السبع: لسانه وسمعه وبصره ويده ورجله وبطنه وفرجه. فصرفها من باله، وجمع فكرته وهمته في هذه الحراسة، ولها عن كل شيء سواها، حتى استقام. فهو رجل يؤدي الفرائض، حافظ للحدود، لا يشتغل بشيء غير ذلك. يحرس هذه الجوارح حتى لا ينقطع الوفاء لله تعالى بما عزم عليه. فسكنت نفسه، وهدأت جوارحه.

فنظر إلى حاله، فإذا هو على خطر عظيم: لأنه وجد نفسه بمنزلة شجرة قطعت أغصانها والشجرة باقية بحالها. فما يؤمنه أن يغفل عنها قليلاً فإذا الشجرة قد بدت لها أغصان، كما كان بديّاً. فكلما قطعها خرج مكانها مثلها. فقصد الشجرة ليقطعها من أصلها، ليأمن من خروج أغصانها، فقطعها. فظن أن قد كفيَ مؤنتها، فإذا أصلها قد بدت منه أغصان! فعرف أنه لا يخلص من شرها دون أن يقلعها من أصلها. فإذا قلعها من أصلها استراح.

فلما نظر هذا العبد إلى جوارحه قد هدأت، التفت إلى باطنه، فإذا نفسه محشوة بشهوات هذه الجوارح. فقال: إنما هي شهوة واحدة، أبيح لي منها بعضها وحُظِرَ عليَّ بعضها: فأنا على خطر عظيم!

---

* محمد بن علي بن الحسن بن بشر. توفيّ نحو 320 هـ ، اتُّهم بالكفر. وأصله من ترمذ.

أحتاج أن أحرس بصري حتى لا ينظر إلا المباح. فإذا بلغ المحظور عليه غمض وأعرض.

وكذلك اللسان وجميع الجوارح. فإذا غفلت ساعة عن الحراسة، رمتني في أودية المهالك.

فلما وقع في هذا الخوف، ضيقت عليه المخافة جميع الأمور وحجزته عن الخلق، وأعجزته عن القيام بكثير من أمور الله. وصار ممن يهرب من كل أمر عجزاً منه وخوفاً على جوارحه من نفسه الشهوانية.

فقال في نفسه: قد اشتغل قلبي بحراسة نفسي في جميع عمري، فمتى أقدر أن أفكر في منن الله وصنائعه؟ ومتى يطهر قلبي من هذه الأدناس؟ فإن أهل اليقين يصفون من قلوبهم أموراً، أنا خلوٌ منها! فقصد ليطهر الباطن، بعد ما استقام له تطهير الظاهر،

فعزم على رفض كل شهوة في نفسه لهذه الجوارح السبع، مما أطلق أو حظر عليه. وقال: إنما هي شهوة واحدة، تطلق لي في مكان وتحظر علي في مكان. فلا خلاص منها، حتى أميتها من نفسي، وحسبَ أن رفضها إماتتها! فعلم الله صدق الرفض من عبده وماذا يريد.

فافترقت الإرادة ههنا. فمنهم من صدق الله في رفضه ليطهر مناه، ويلقاه بصدقه وطهارته لينال ما وعد الصادقين من ثواب جهدهم. ومنهم من صدق الله في رفضه ليلقاه بخالص العبودية غداً، فتقر عينه بلقائه. ففتح لهذا الطريق إليه، وترك الآخر على جهده، واقتضائه ثواب الصدق يوم لقائه.

فلما فتح له الطريق إليه أشرق النور في صدره، فأصاب روح الطريق، فوجد قوة على رفض الشهوات، فازداد رفضاً وهجراناً. فزيد له في الروح، لأنه كلما رفض شيئاً نال من ربه عطاءً من روح القربة، فازداد قوة. فقوي

على الرفض، حتى مهر في الطريق، وحذق بصراً بالسير إلى الله. فعلم أنه إذا رفض شهوة الأكل، ينبغي له أن يرفض شهوة اللباس؛

فإذا رفضها ينبغي له أن يرفض شهوة الشراب. فإذا رفض هذه الأشياء، رفض شهوة السمع والبصر واللسان واليد والرجل. فلا ينطق إلا بما لا بد منه، ولا يسمع إلا إلى ما لابد منه، ولا ينظر إلا إلى ما لا بدّ منه، ولا يمشي إلا الى ما لا بد منه،

فيلزم العزلة حَسْماً لهذه الأبواب، وإماتةً لهذه الشهوات. فازداد قرباً وانشرح صدره، والخطر العظيم ههنا! وذلك أن من زلت قدمه في هذا الطريق، فمن ههنا زلت، ومن ههنا خُذِلَ. فأحذرك هذا الباب!

قال له قائل: وكيف ذلك؟

قال: من أجل أنه لما عمت أنوار العطاء في قلبه، واتسع قلبه وانشرح صدره، فرحت نفسه بخروجها من تلك المضايق إلى فسحة التوحيد. فترك العزلة لهذه الجوارح، وأخذ ينطق بما فتح الله له من شأن هذا الطريق، ومما تَراءَى له من الحكم والفوائد وعلم الطريق. وخالط الناس على ذلك. فأكرم وبجل. فقبل إكرامهم وتبجيلهم. ثم أُعطيَ على ذلك فقبل نوالهم. خدعته نفسه فانخدع لها. وموّهت عليه فقبل تمويهها. وانبعثت عليه الدنيا عفواً لا صفواً!

فوثب هذا الأسد المتماوت وثبة من حينه فركب عنقه. وذلك أنه لما أصاب تلك اللذات، التي كانت زالت بالفطام عنها، استيقظ. فصارت نفسه بمنزلة السمكة، التي انفلتت من الشبكة: فهي أشد غوصاً واضطراباً، لا تأمن على نفسها أن تؤخذ. فصارت النفس كذلك منفلتة من شبكة صاحبها، فهي أشد وأصعب من أن يظفر بها. فاحذر هذا الباب! فإني رأيت وعاينت كل من أفسد طريقه، وأدبر ناكصاً على عقبيه، فمن ههنا سقط وزلت قدمه.

فلم يزالوا في ذلّ وصغار، قد نفتهم قلوب الصادقين، ومقتهم جمهور العلماء.

وذلك أنهم هرَّاب متصنعون، لا هم يتوبون من هذا الأمر ويتطهرون ويصحون ويستقيمون في سيرهم؛ ولا تسمح نفوسهم بأن يصيروا إلى أعمال الأركان، لأن فيه مشقة وضيقاً، وقد كانوا أصابوا الروح والسعة. فلا قلوبهم مشغولة بحق الله، ولا أبدانهم مشغولة بعبادة الله.

وقد عطلوا الأركان عن العبادة، وعطلوا القلوب عن السير إلى الله، وقطع مسافة المنازل. فصاروا ضحكة الشيطان، وبرم القلوب، وثقلاً على الفؤاد. يسيحون في البلدان، يخدعون الضعفاء والجهال والنساء عن دنياهم. ويأكلون بما يبدون من الزهد، والسمت الحسن، وكلام الرجال. تراهم الشهر والدهر في الاحتيال والاصطياد. ويجرون المنافع بالرِّقَى، ويباشرون بالأعمال على المنى، ويتخيرونها على العمى!

فالكيِّس أدركه التوفيق من ربه. فثبت ههنا عندما جاشت الحكم في صدره، وراودته نفسه على مخالطة الحق؛

تزعم له بخداعها أنه قد أصاب من القوة ما يباشر هذه الأمور.

فيرجع بعقله عليها، فيقول: كيف آمنك على أمور، وأنت معروفة بالخيانة، ومعك آلة الخيانة، التي تُدعى شهواتك؟ ويعزم على ألا يقضي شهواتها ومنيتها. فأيده الله تعالى، وثبت ركنه. وعزم على تجنب هذه الشهوات كلها، ما ظهر منها وما بطن. حتى إذا مر في عزمه، فاستفرغه وبلغ الغاية من ذلك وظن أنه قد أماتها، فإذا هي بمكانها!

وذلك أنه بلغ الغاية في روض شهوات الدنيا، وبقيت لذة الطاعات والنفس حية بمكانها.

فمن ههنا زلت أقدام طائفة منهم. فقالوا في أنفسهم: أنقعد فرّاغاً هكذا، نبطل أعمالنا في العقود معطلين؟ بل ننغمس في أعمال البر، فكل ما زدنا

منه ازددنا به قربة إلى الله. فيقال لهم: هذا هو الداء الدفين فيكم، وأنتم به جاهلون! متى وجدت نفسك لذة الطاعات وحلاوتها فأجبتها صرت مفتوناً بها. فتأمل هذا المكان، فإن فيه مسرحاً من مسارح النفس ومصيدة من مصايد الشيطان. وأعوذ بالله ممن يصير مفتوناً بالطاعة!

أما بلغك الخبر، عن جريج الراهب، حيث نادته أمه وهو في الصلاة، فآثر الصلاة على إجابة أمه، فلقي ما لقي من البلاء؟ وهكذا تكون فتنة الطاعة. وهل تكون الفتنة إلا من وجود النفس لذة الشيء. فكيف يطمح قلبك أن يصل الى الله تعالى، مع شهوة النفس؟ فإن شهوة النفس هي الدنيا! إن هذا لحمق! والجهل قد يبلغ بصاحبه منازل الحمقى.

ويقال لمثل هذا المفتون، بمثل هذا القول: متى تتخلص من لحظات نفسك الى جهدك، وأعمال برك، حتى لا تكون معتمداً عليه؟ والمعتمد على عمله متى يفلح؟ قال له قائل: فماذا يصنع إن لم يعمل نفسه في الطاعات؟

قال: يؤدي الفرائض، ويحفظ الحدود، فليس في هذا الشغل، إن قام به، ما يعجزه عن سائر الأشياء. وأي عبودة أشرف من هذا؟ وهل ألزم الله العباد إلا بهذا؟

*

اعلم أن كل ما يتصوره المتصور فهو عينه لا غيره، فإنه ليس بخارج عنه.

*

العلم تصور المعلوم.

*

الصورة صورة آدم علماً، والصورة الآدمية حِساً مطابقة للصورة.

*

أما ولي الله، فرجل ثبت في مرتبته، وافياً بالشروط كما وفى بالصدق في سيره، وبالصبر في عمل الطاعة، واضطراره. فأدّى الفرائض، وحفظ الحدود، ولزم المرتبة، حتى قوّم وهذب ونقّى وأدّب وطهّر وطيّب ووسّع وزكى وشجّع وعوَّذ. فتمت ولاية الله له بهذه الخصال العشر. فنقل من مرتبته إلى مالك الملك. فرتب له بين يديه، وصار يناجيه كفاحاً. فاشتغل به عمّن سواه، ولها به عن نفسه، وعن كل شيء. فصيره في قبضته. فأي حصن أحصن من قبضته؟ وأي حارس أشد حراسة من عقله؟

*

قال له القائل: صف لنا شأن المجذوب، من مبتدأه إلى منتهاه الى آخر صفته وخبره.

قال: نعم.

اعلم أن المجذوب في مبدأ أمره هو عبد صحيح الفطرة، طيب التربة، عذب الماء، زكي الروح، صافي الذهن، عظيم الحظ من العقل، سليم الصدر من الآفات، لين الأخلاق، واسع الصدر، مصنوع له، أعني: محفوظاً عليه. فإذا بلغ وقت الإنابة، هداه الله ووفقه للخير حتى إذا بلغ وقت كشف الفتح، فتح له. ثم أخذ بقلبه فمر به إلى العلاء، إلى المكان الذي رتب له بين يديه. ثم رجع به فصيره في قبضته. ثم جعل بينه وبين النفس حجاباً، لئلا تشارك النفس القلب في عطاياه. ووَكل بنفسه ليغذوها قليلاً قليلاً، بقدر ما تحتمله النفس من العطاء الذي يرد على القلب. وهكذا يؤدبه الله ويسير به إلى المحل الذي رتب له بين يديه.

فقلب المجذوب لا يزال بَدياً مسجوناً في القبضة الإلهية لا يقدر أن يصل إلى محله من الله، من أجل أن النفس مشحونة بعجائب الأنوار.

والنفس يسار بها قليلاً قليلاً، برفق حتى لا تعجز وتعيا. فيرد عليها من النور على قدر احتمالها من العطاء. ففي أول ما يرد عليها من العطاء ما يسكرها عن شهوات الدنيا.

ثم بعد ذلك، يرد عليها من العطاء ما يسكرها عن وجود حلاوة هذا العطاء.

ثم بعد ذلك، يرد عليها ما يسكرها عن وجود حلاوة القربة.

ثم توصل إلى مكان القربة، فتتغذى هناك وتؤدب مع القلب جميعاً. ويؤيدها الحق: فيورد عليها الأنوار، أنوار الملك حتى يقومها ويؤدبها ويطهّرها!

قال له قائل: ما آخر تقويمها؟ أجمله لنا، فإن الوصف في هذا يطول على الامتحان والاستقصاء!

قال: إن المجذوب ملزم، موكل به الحق ليحرسه، حتى لا يقع في مهلكة فيسقط بها. والله يغذوه برحمته حتى لا تبقى في نفسه مشيئة تتحرّك. فحينئذ تبدو له المشيئة العظمى، من ملك الرحمة. فيكشف له الغطاء ويؤمرُ أن يقدم الى الفخر.

قال: وما الفخر؟

قال: معرض المحدثين.

قال: وما صفته؟

قال: قبة من نور القربة، لها أربع طبقات، مُرخى عليها الحجب. فيرفع الحجاب الأول أمام القبة، فتبدو له عظمة الله. فتجيئه العظمة لتكتنفه حتى يتحمّل ذلك ثم ينهل حتى يقوى. ثم يعاد. ثم تتجلى له العظمة من الله، ثم تجيئه العصمة فتكتنفه فيقبله الله ويرضى عنه. ويأمر الله الروح الأمين أن

ينادي من بطن العرش، في السماوات، بالرضى عنه. فينادي جبريل، عليه السلام: «إن الله أحب فلاناً، فأحبوه!» فيوضع له القبول في الأرض.

قال له القائل: كلما طلبنا الاختصار، وقعنا في بحر!

قال: نعم، ومع ذلك فإني أجتهد أن أختصر لكم من كل شيء شيئاً: فما هذا الذي وصفتُ لكم إلا كرأس إبرة من بحر لجِّي، في جنب ما للعبد بين يدي الله من الرعاية والتنعّم بوجهه الكريم. ففكر في نفسك، هل يلتفت هذا الموصوف بهذه الصفة إلى كلام أحد، أو ثناء أحد، أو مدح أحد؟ وهل يعبأ بمكروه؟

وأين هذا من هؤلاء الذين قد شغلوا بعذاب نفوسهم؟ فمزابل النفس في صدورهم، وعلائق الشيطان في كلامهم. تراهم الشهر والدهر في كلام مسلسل لا ينقطع. إذا ذكر العيب عابوه وذكروا عيب العيب.

(...) وإنما العلم علم المنن، ثم علم الصنع والتدبير، ثم علم المقادير، ثم علم البدء، ثم علم الآلاء، الذي بدأ مع المشيئة في الأحدية والفردية. فمن أخذ برأس جبل كل نوع من هذه العلوم وقع في بحر الله، فغرق فيه وأحياه الله به!

ومن أخذ برأس جبل علم النفوس وعيوبها وقع في بحر النفس فغرق فيه، وقتلته النفس!

قال له القائل: ذكرتَ أنه لا تبقى له مشيئة، وكيف تنقطع عنه مشيئة الوصول إليه؟

قال: لو تركه عمر نوح، لم تنقطع عنه تلك المشيئة. ولكن الله لطيف بعباده، حكيم في أمره. يلطف بعبده حتى يقطع عنه المشيئة. فحينئذٍ تطهر نفسه من جميع المشيئات ويصلح للقبول. فإنه ما دامت له مشيئة واحدة فنفسه معه. فليس للقلب أن يتقدم إلى الله، في مقام العرض ليقبله ويتخذه عبداً، بعد أن تولى سيره إليه بنفسه. ولا يكله الله إلى نفسه حتى يجاهد.

وليس مثل هذا القلب أن يتقدم إلى الله مع نفس فيها مشيئة. لأن تلك المشيئة شهوة وهي خيانة من النفس وسوء أدب، وليس للخائن أن يقرن بالأمين حتى يتقدما إليه إلى الله فيقبلهما.

قال له قائل: فكيف لطف الله بعبده هذا المقام حتى انقطعت عنه مشيئته؟

قال: لو ضننتُ بالإجابة عن هذه المسألة على الخلق أجمعين حتى أصيب لها أهلاً، لكنت محقاً بذلك. ولكن قلبي أجده يعطف عليك؛ وأحسب «أن فيك لله خشية» إذا خرجت للعبد الرحمة، من ملك الرحمة، سقاه ربه شربة يسكره بها عن هذه المشيئة!

قال القائل: وما هذه الشربة؟

قال: شربة الحب.

قال: وما هي؟

قال: كفاك هذا! فصار العبد بحالٍ لم يعقل من هذه الأمور شيئاً. فباطنه سكر، وظاهره حيرة وبهتة. وأما المشيئة فمفقودة في هذا السكر. فإن أفاق من سكره قليلاً صرخ إلى الله، صراخ المضطر، فجاءت الرحمة فاحتملته ووضعته بين يديه.

قال القائل: ولم يصرخ؟

قال: لأنه لما أفاق من سكره قليلاً وجد ريحاً.

قال: وما ذاك الريح؟

قال: ألم تر إلى الطفل إذا فقد أمه بكى وتحيَّر في الوجوه وأخذته الغربة، لأنه لا يجد أمه: فلا ينام ولا ينيم. حتى إذا وجد ريح الأم تهلل وصرخ!

قال القائل: لقد جئتَ يا شيخ بمثل عظيم! فما هذا؟

قال: ويحك! إن العظيم في جلاله لما قرّب هذا العبد، خرجت له الدولة من مشيئته على طريق المحبة والرأفة والتحنّن عليه. فلما بلغ هذا المحل

أفاقَ من السكر، وقد انطمست المشيئة عنه بسكره. وفيه بقية من السكر. وهو قلب غريب في مفاوز الحيرة، منفرد في تلك الفردية. وفجأة وجد ريح الرأفة الإلهية في قلبه، فصرخ إلى وليّ الرأفة. فجاءت الرأفة فاحتملته. وبلغته الرحمة، فأخذته إلى مولاه. فأوصله إلى نفسه بلا مشيئة. فإن هذه أقوى المشيئآت وأعظمها. ويستحيل أن تسقط عن النفس إلا من هذا الوجه، الذي لطف الله تعالى بعبده فيه.

*

اعلم، رحمك الله! إن قلوب أولياء الله خزائن الحكمة، وموضع الرحمة، ومعادن المشاهدة، وكنوز المعرفة، وبيوت الكرامة، ومواضع نظر الله إليها برحمته.

وهي مزرعة رأفته، وأواني علمه، وأخبية حكمته، وأوعية توحيده، ومواضع فوائده، ومساكن عوائده، وأكنّة أنوار نوره. ينظر إليها برحمته في كل لحظة، فيزيد أنوارها، ويصلح أسرارها. وقد زينها الله بنور الإيمان، وأسّسها بالتوكل على الرحمن، وحشاها من لطائف الامتنان، وبنى حيطانها من فوائد الإحسان.

وطيّب أرضها بنور الحق والهدى، حتى طابت تربتها من خبث الشرك والشك والنفاق وسائر الفواحش.

فهذه الأرض أرض المعرفة سقاها الله من بحر الرضى، حتى نبتت فيها من أنوار النفس. وأيّدها بحسن معالجة أصحاب البساتين، وهم السادات من المتقين.

وأخرج أكمامها بريح متابعة سيد المرسلين، وربّاها بالرياح الربانية: ريح الرحمة وريح الرأفة وريح الظفر، وما يشاكلها من رياح الربوبية. وأنضج أثمارها بحرِّ شمس المعرفة، وزادها بمضيٍّ ليل الافتقار ونهار الافتخار. وأحسن لون فواكهها بصبغة الله، وهي بيان أحكام الشريعة واستمساك العبد

بالعروة الوثقى. وطيّب طعمها بالتمسك بسنّة نبيّه، ثم وضع سرير المحبة على أرض الحق، المطيب ترابها بنور اللب، المؤيد بنور التوفيق، المغذّي بغذاء التصديق، المؤسس بأساس التحقيق، المسدد بركنه الوثيق.

وبسط على هذا السرير الفرش الوثير، من الحول والقوة. وألقى عليها من نمارق التضرع والاستكانة. وجعل متكأه الاستقامة، واعتماده على الله أن يثنيه على الحق ولزوم الجماعة. ثم أجلس على هذا السرير عبده ووليّه: مسروراً، مؤيداً، منصوراً، قد ألبسه لباس التقوى، ونزع عنه ثياب التكلف والدعوى.

وخلع عليه كرامته من خزائن فضله، وشد أزره بمننه وتوفيقه.

وتوجه بتاج ولايته. وغسله بماء برّه ورعايته.

وزاده طهارة من بحر هدايته. وأطعمه حلاوة ذكره ومحبته. وسقاه شراباً طهوراً بكأس التوحيد من بحر التفريد، ممزوجاً بحلاوة وصلته. حتى صار قائماً بالله، غائباً عمن سواه.

قد ذلت نفسه عن ظهور عزته، وتلاشت عن التكلّف عن رؤية نصرته. فقامت نفسه في خدمته كالعبد المحجور، أو كالمضطر المقهور، أو كالأسير المأسور. ثم نظر إليه ربه نظرة رحمته، فنثر عليه من خزائن الربوبية نثار كرامات الخصوصية، حتى قام مقام حقيقة العبودية. فأغناه الله بذلك، ثم قرّبه وناداه، وأكرمه وسماه، ولطف به ودعاه. فأتاه حين سمع دعاءه. فأيده الله وقوّاه، واكتنفه وآواه، حتى أجابه ولبّاه، وفي السر ناداه، وفي كل وقت ناجاه. وصرخ إلى مولاه، لا يعرف له رباً سواه. فأعطاه سؤاله ومناه، واصطفاه لخدمته وهداه، ولمحبته ارتضاه، ولمعرفته اجتباه. وأجرى بين يديه أنهاراً من الصدق والصفاء، والتحقيق والحياء، والمحبة والرضاء، والخوف والرجاء، والصبر والوفاء، والشكر والقضاء، والبقاء واللقاء، والافتخار والافتقار، والتعظيم وترك الاختيار، والنظر في الأقدار،

ومشاهدة العزيز الجبار! يزيده الله كل وقت من اللطائف ما عجز الواصفون عن وصفه. وهو في قرب من مولاه، مستوحش من دنياه. اشتغل بالله عن النظر في عقباه. فهو في أرغد عيش مع مولاه.

يخاف زوال هذا الحال، ويخشى حادثة توجب الانتقال، عن مقام مشاهدة الكبرياء والجلال.

وهو في هذه الحالة كالأنيس المستوحش وكالمستقر المستوفز، وكالمطمئن المضطرب.

قد غرق في بحر لا يرى شطه، وهو بحر التوحيد، ولا يتمنى النجاة من هذا الغرق. يتلذذ هذا الموحد، كما يتلذذ المتلذذون من حلاوات الدنيا. ويألم من ألم فراقه بما لا يألم أهل الأوجاع والأمراض والشدائد، والمضروبون بالسياط والمجرّمون بالحديد. فعافاه الله من ألم الفراق وجمع له كل عافية، وجمّله من عنده وآمنه.

*

الأولياء هم الذين عليهم سمات ظاهرة من الله: قد علاهم بهاء القربة، ونور الجلال، وهيبة الكبرياء، وأنس الوقار. فإذا نظر الناظر إليهم ذكر الله، لما رأى عليهم من آثار الملكوت. والقلب معدن هذه الأشياء، ومستقر النور.

فإذا كان على القلب نور سلطان الوعد والوعيد، تأدى إلى الوجه ذلك النور. فإذا وقع بصرك عليه ذكرك التقوى، ووقع عليك منه مهابة الصلاح والعلم بأمور الله. ومتى كان على القلب نور سلطان الحق، ذكرك الصدق والحق ووقع عليك مهابة الحق والاستقامة. وإذا كان عليه نور سلطان الله وعظمته وجلاله، ذكرك عظمته وجلاله وسلطانه. وإذا كان على القلب نوره، وهو نور الأنوار، بهتك رؤيته.

*

(...) وقد يكون في الأولياء من هو أرفع درجة. وذلك عبد قد ولي الله استعماله، فهو في قبضته يتقلب به ينطق، وبه يسمع، وبه يبصر، وبه يبطش، وبه يعقل.

شَهَرَهُ في أرضه، وجعله إمام خلقه، وصاحب لواء الأولياء، وأمان أهل الأرض، ومنظر أهل السماء، وريحانة الجنان، وخاصّة الله، وموضع نظره، ومعدن سره، وسوطه في أرضه، يؤدب به خلقه، ويحيي القلوب الميتة برؤيته، ويرد الخلق إلى طريقه، وينعش به حقوقه.

مفتاح الهدى، وسراج الأرض، وأمين صحيفة الأولياء.

وقائدهم، والقائم بالثناء على ربه، بين يدي رسول الله، يباهي به الرسول في ذلك الموقف، وينوه الله باسمه في ذلك المقام.

قد أخذ الله بقلبه أيام الدنيا، ونحله حكمته العليا، وأهدى إليه توحيده، ونزّه طريقه عن رؤية النفس، وظل الهوى.

وائتمنه على صحيفة الأولياء، وعرفّه مقاماتهم، وأطلعه على منازلهم. فهو سيد النجباء، وصالح الحكماء وشفاء الأدواء، وإمام الأطباء. كلامه قيد القلوب، ورؤيته شفاء النفوس، وإقباله قهر الأهواء، وقربه طُهر الأدناس.

فهو ربيع يزهر نَوْرُهُ أبداً، وخريف يجني ثماره دأباً، وكهف يلجأ إليه، ومعدن يؤمل ما لديه، وفصل بين الحق والباطل. وهو الصديق والفاروق والولي والعارف والمحدّث.

*

المؤمن بِشْرُه في وجهه، وحُزْنُه في قلبه. والمُنافق حُزْنُه في وجهه، وبِشْرُه في قَلْبه.

*

الدنيا عَروس الملوك، ومِرْآة الزهاد. أما الملوك فتَجَمَّلوا بها، و أما الزهادُ فنظروا إلى آفَتِها فتركوها.

*

– ما الخَلْق؟

– فقال: ضعفٌ ظاهر، ودَعْوى عريضة.

*

قال أبو بكر الوراق: ذات يوم أعطاني الشيخ بعض أجزاء من تصانيفه، وقال: الق هذه في جيحون.

فنظرت فيها، فكانت مليئة باللطائف والحقائق. فلم يطاوعني قلبي، ووضعتها في منزلي، وقلت له: ألقيتها.

قال: وماذا رأيت؟

قلت: لم أر شيئاً.

قال: إنك لم تلقها، فاذهبْ، والقها.

فقلت: لقد التبس عليّ أمران: أحدهما: لماذا يلقيها في الماء؟ والأخرى: أي برهان سيظهر؟

فرجعت، وألقيتها في جيحون. فرأيت الماء قد انشقّ، وظهر صندوق مفتوح. سقطت فيه تلك الأجزاء، وأُغلق الصندوق، وسكن جيحون. فاندهشت، ولما عدت إلى الشيخ، قال: الآن، ألقيتها.

فقلت: أيها الشيخ! أستحلفك بعزة الله أن تشرح لي هذا السر.

فقال: كنت قد صنّفت كتاباً في علم هذه الطائفة، يصعب على جميع العقول كشف تحقيقه. وقد طلبه مني أخي الخضر عليه السلام.

وكانت سمكة قد أحضرت هذا الصندوق بأمره. وأمر الله الماء أن يوصله إليه.

*

يروى أنه ألقى بتصانيفه جميعها مرة في الماء، فأخذها الخضر عليه السلام، وأعادها إليه، وقال له: انشغل بها.

*

ما صنفت شيئاً لينسب إليّ، لكن كنت إذا اشتد عليّ وقتي، أتسلى بمصنفاتي.

*

إنَّ آدم وحواء حين التقيا، وقُبلت توبتهما ذهب آدم لمعالجة أمر. فأحضر إبليس ولده «الخناس» إلى حواء، وقال: لدي مهمة، فارعي طفلي حتى أعود.

فوافقت حواء. ومضى إبليس. فلما عاد آدم، سأل: من هذا؟

قالت: ابن إبليس، وقد عهد به لي.

فلامها قائلاً: لماذا قبلت؟ وغضب، وقتل الطفل، وقطعه، وعلق كل قطعة في غصن شجرة، ومضى.

وعاد إبليس، وقال: أين ابني؟

فشرحت له حواء الحال، وقالت: لقد قطعه آدم إرباً، وعلّق كلَّ قطعة في غصن شجرة فنادى إبليس ابنه، فلملم الطفل أشلاءه، ودبّت فيه الحياة، ومثل أمام إبليس.

فقال إبليس لحواء: خذيه، فإنّ لديَّ أمراً آخر. فلم توافق حواء، فتشفع إبليس لها وانتحب؛ حتى قبلت.

ثم مضى إبليس. وجاء آدم، ورأى الطفل، فسأل حواء: من هذا؟ فشرحت له الحال. فعاتب آدم حواء، وقال: لا أعلم السر في أنك لا تطيعين أمري وتطيعين أمر عدو الله، وتنخدعين بكلامه! فقتله، وحرقه، وألقى بنصف رماده في الماء، وترك النصف الآخر في مهب الريح، ومضى.

وعاد إبليس، وطلب ابنه. فشرحت له حواء الحال. فنادى إبليس ابنه، فاتصلت أشلاؤه، ودبت فيه الحياة، ومثل أمام إبليس.

وكرر إبليس طلبه لحواء، فلم تقبل، وقالت: سوف يهلكني آدم.

فأقسم عليها إبليس؛ حتى قبلت. ومضى إبليس، وجاء آدم فرأى الطفل مرة أخرى، فغضب، وقال: يعلم الله ما سأفعل إذ تسمعين كلام إبليس، ولا تسمعين كلامي.

وغضب، وقتل «الخناس»، وقلاه، وأكل نصفه، ومنح النصف الآخر لحواء.

ويقال: أن الخناس كان قد جاء على هيئة خروف في المرة الأخيرة. وحين عاد إبليس، وطلب ابنه، شرحت له حواء الحال قائلة: إن آدم قلاه، وأكلت أنا نصفه، وأكل هو نصفه. قال إبليس: كان هذا مرادي، أن أفسح لنفسي السبيل داخل آدم، ولما صار صدره مقامي، تحقق مرادي.

*

– ما التقوى والمروءة؟

–التقوى، ألا يتوسل بك أحد، والمروءة، ألا تتوسل بأحد.

*

العزيز من لا تذله المعصية.

والحرّ لا يأسره الطمع،

والسيد لا يستبعده الشيطان،

والعاقل من يتقي الله، ويحاسب نفسه.

*

من اعتنق الطريقة، لا يذكر أهل المعصية قط.

*

من يخش شيئاً، يفرُّ منه.

ومن يخش الله، يفرّ إليه.

*

للإسلام أصلان: رؤية المنّة، وخوف القطيعة.

*

لا ينبغي الحزن على مفقود سوى النية؛ لأن أي خير لا يستقيم دون نية.

*

من قنع بالكلام من العلم دون زهد، فقد تزندق.
ومن قنع بالنفقة دون ورع، فقد فسق.
ومن جهل أوصاف العبودية، فهو بنعوت الربانية أجهل.

*

تريد أن تعرف الحق مع بقاء نفسك فيك، ونفسك لا تعرف نفسها، فكيف تعرف غيرها؟

*

أسوأ خصال الرجل محبة الكبر، والاختيار في الأعمال،
لأن الكبر يليق برجل منزّه عن العيب،
والاختيار يليق برجل علمه منزّه عن الجهل.

*

لا يتلف مائة أسد جائع في قطيع، ما يتلفه الشيطان في لحظة.
ولا يفسد مائة شيطان، ما تفسده النفس الإنسانية في لحظة.

*

المروءة أن يستوي لديك عابر السبيل والمقيم.

*

حقيقة محبة الله تعالى دوام الأنس بذكره.

*

ما يقولونه من أن القلب لا متناهي غير صحيح؛ لأن لكل قلب كمالاً معلوماً، إن بلغه، ثبت.
لكن المعنى هو: أن الطريق لا متناهي.

*

أبو الحسين النوري*

الوجد فقد الوجد بالموجود.

*

اللحظة نظر القلب إلى شيء،
والخطرة سمع بالسر،
والإشارة الكلام الخفي.

*

نعتُ الصوفيّ السكون عند العدم، والإيثارُ عند الوجود.

*

أنا أعشقُ الله وهو يعشقني.

*

المحبة هتك الأستار وكشفُ الأسرار.

*

الجَمْع بالحق تَفْرقةٌ عن غيره،
والتَّفْرِقَةُ عن غيره جَمْعٌ به.

*

أهل الدِّيانة موقوفون، وأهلُ التوحيد يسيرون، وأهلُ الرضا يَسْتَرْوِحون، وأهل الانقطاع يَتَحَيَّرون. (...) إن الحقَّ إذا ظهر، تلاشى كلُّ ما حجب وستر.

*

---

* توفي سنة 295 هـ/907 م.

مقاماتُ أهل النَّظَرِ، في النظرِ، شَتَّى:

فمنهم من كان نظرُه نَظَر التسلِّي؛

ومنهم من كان نظرُه استفادَةً؛

ومنهم من كان نظرُه نظر عِيانِ المُكاشَفَة؛

ومنهم من كان نظره نظر المنافَسَة في المشاهدة؛

ومنهم من كان نظرُه نظر المُشاكَلَة والمماثلَة؛

ومنهم من كان نظره نظر طِيبةٍ ومُلاحظة؛

ومنهم من كان نظرُه نظر إشرافٍ ومطالعة.

*

- كيف لا تدركه العقول ولا يُعرف إلا بالعقول؟

- كيف يدرك ذو أمَدٍ من لا أمَدَ له؟

أم كيف يدرك ذو عاهة من لا عاهة له ولا آفة؟

أم كيف يكون مكيّفاً من كيف الكيف، أم كيف يكون مُحَيَّثاً من حيث الحَيْث فسماه حيثاً، وكذلك أوَّل الأول، وأخَّرَ الآخر، فسماه أولاً وآخراً؛ فلولا أنه أوّل الأوّلَ وأخّرَ الآخر ما عُرف ما الأولية وما الآخرية.

وما الأزلية في الحقيقة إلا الأبدية، ليس بينهما حاجزٌ، كما أن الأولية هي الآخرية والآخرية هي الأولية، وكذلك الظاهرية والباطنية، إلا أنه يفقدك وقتاً ويشهدك وقتاً لتجديد اللذة ورؤية العبودية، لأن من عرفه بالخلقة لم يعرفه بالمباشرة؛ لأن الخلقة على معنى قوله: كنْ، والمباشرة إظهار حُرْمة لا استهانة فيه.

*

قُرْب القُرْب، في ما أشَرنا إليه، بُعْد البُعْد.

*

حيل بيني وبين قلبي أربعين سنة، ما اشتهيتُ شيئاً، ولا تمنيتُ شيئاً، ولا استحسنت شيئاً منذ عرفتُ ربي.

*

إن لله على وجه الأرض بساتين، من شم رائحتها لم يشتق إلى الجنة، وهي قلوب العارفين.

*

قال الله لموسى: جرِّد قلبك لحبي، فإني جعلت قلبك ميدان حبي. وبسطت في قلبك أرضاً من معرفتي، وبنيت في قلبك بيتاً من إيماني، وأجريت في قلبك قمراً من محبتي، وأسريت في قلبك نجوماً من مواردي، وجعلت في قلبك غيماً من تفكيري، وأذريت في قلبك ريحاً من توفيقي، وأمطرت في قلبك مطراً من تفضيلي، وزرعت في قلبك زرعاً من صدقي، وأنبتُّ في قلبك أشجاراً من طاعتي، وجعلت أوراقها من وفائي، ودلَّيت ثمرها حكمة من مناجاتي.

وأجريت في قلبك أنهاراً من دقائق علوم أزليّتي.

ووضعت في قلبك حباً من يقيني.

*

من دخل قلبه سلطان الإطلاع، كان آمناً من هواجس نفسه ووساوس الشيطان.

*

من فتح سمعه للسَماع، أجري لسانه بالجواب.

*

الفتنة هي الاشتغال بشيء سوى الحق.

*

أول ما يبدو في قلب من يريد الله سعادته، نور.

ثم يصير ذلك النور ضياءً، ثم يصير شعاعاً، ثم يصير قمراً، ثم يصير شمساً.

فإذا ظهر النور في القلب، بردت الدنيا في قلبه، وما فيها، فإذا صار قمراً، زهد في الآخرة وما فيها.

فإذا صار شمساً، لا يرى الدنيا وما فيها، ولا الآخرة وما فيها، ولا يعرف إلا ربّه تعالى.

فجسده نور، وقلبه نور، وكلامه نور.

*

صحبة الفقراء فريضة، والعزلة غير مستحبة، وإيثار الصاحب صاحبه فريضة.

*

جاهدتُ سنوات، وحبسْتُ نفسي سنوات، واعتزلتُ الخلق، وارتضتُ، ولم ينفتح لي الطريق؛ فقلت لنفسي: ينبغي لي أن أفعل شيئاً مفيداً، أو أبتعد، وأتحرر من هذه النفس.

ثم قلت: أيها الجسد، اتّبعت هواك ومرادك سنوات، ورأيتُ، وسمعت، وذهبت، وأخذت، ونمت، وسعدت، واشتهيت. وهذا كله محسوب عليك. الآن ادخل البيت؛ حتى أقيّدك، وأقلّدك كل حقوق الحق، إن أدّيتها، سعدت، وإلا فاسلكْ طريق الحق مرة.

*

قلت: أنظر إلى نفسي؛ حتى أرى ما الأمر؟

فنظرت إلى نفسي، فكانت الآفة أن نفسي وقلبي كانا قد اتحدا.

وحين تتحد النفس مع القلب، يكون البلاء، لأن كل ما يحلُّ على القلب، تأخذ النفس نصيبها منه.

فلما رأيتُ هذا، علمْتُ أنني باقٍ في مكاني لأن كلَّ ما يحلُّ على القلب من الحضرة الإلهية، تأخذ النفس نصيبها منه.

وحينئذ اجتنبت كل ما تميل إليه النفس، وتشبَّثْتُ بشيء آخر.

ومن ذلك أن النفس كانت تأنس بالصلاة، والصوم، والصدقة، والخلوة، ومعاشرة الخلق فكنت أخالفها.

حتى أطحت بكلِّ ذلك، وكبتُّ شهواتي. فكانت الأسرار تتكشّف لي، فقلت لها: من أنت؟

قالت: أنا در منجم الحرمان. والآن، قل للمريدين: إن منجمي منجم الحرمان، ودرّي درُّ منجم الحرمان.

ثم ذهبت إلى دجلة، وقمت بين زورقين، وقلت: لن أمضي، ما لم تقع سمكة في شباكي.

فخرجت سمكة، وجذبتها، وقلت: الحمد لله، فقد أثمر عملي.

ثم ذهبت، وقلت للجنيد: إن فتحاً حل بي.

فقال: يا أبا الحسين، إنك اصطدت سمكة، وإن كانت حية، لكانت كرامة لك. لكن لأنك تدخلت؛ فهي خدعة لا كرامة، فالكرامة هي ألا تتدخل.

سبحان الله أي رجال كانوا هؤلاء الأحرار!

*

رأيت نوراً ساطعاً في الغيب، كنت دائم النظر إليه، حتى صرت أنا ذلك النور.

*

يُروى أن الجنيد ذهب إلى النوري يوماً، وسقط على الأرض متظلِّماً، وقال: لقد اشتدَّ الخطْبُ عليَّ، ولم تعد لي طاقة. فمنذ ثلاثين سنة وأنا أغيب حين يحضر، ولمّا أحضر أنا، يغيب هو، وحضوره في غيبتي.

وكلما انتحبت يقول: إما أبقى أنا أو تبقى أنت.

قال الجنيد للأصحاب: انظروا إلى رجل عاجز، ومبتلى، وحائر في الحقّ تعالى.

ثم قال: الجنيد ينبغي عليك ألا تبقى بذاتك سواء احتجب عنك، أو تجلى عليك، فالكل هو.

*

لا يرضى الحق تعالى عن عالم يتحدث بعلم لا يعمل به. فأَتْقِنْ العمل، أو فانزل*.

*

رأيت البيت خالياً في ليلة، فكنت أطوف، وفي كل مرة كنت أصل إلى الحجر الأسود، كنت أدعو وأقول: اللهم ارزقني حالاً وصفة لا أتغير منه.

فسمعت صوتاً من الكعبة يقول: يا أبا الحسين! أتريد أن تتساوى بنا؟ إننا لا نغير من صفاتنا، لكن عبادنا متغيرون، ونحن نثبت على صفة واحدة، حتى تتميز الربوبية عن العبودية، أما الإنسان فهو صاحب أغيار.

*

كنت أغتسل في الماء يوماً، فسرق لص ثيابي، ولم يلبث إلا قليلاً حتى أعادها، وقد تيبست يده.

فقلت: إلهي، قد ردَّ علي ثيابي، فرد عليه يده فرد الله عليه يده في الحال.

*

رأيت شيخاً ضعيفاً عاجزاً، كان يُضرب بالسياط، وهو صابر. ثم أُدخل الحبس.

---

* من كلام قاله النوري لأبي بكر الشّبلي عندما رآه وهو يعظُ في مسجد.

فذهبت إليه، وقلت: كيف صبرت وأنت ضعيف وعاجز هكذا على ضرب السياط؟

قال: يا بني، إنما يحمل البلاء الهمم لا الأجسام.

فقلت: وما الصبر عندك؟

قال: أن يكون الوقوع في البلاء مثل الخروج منه.

*

- ما العبودية؟
- مشاهدة الربوبية.

*

- ما الإشارة؟
- الإشارة الاستغناء عن العبارة. وإدراك الإشارة إلى الحق، استغراق السرائر في عبارة الصدق.

*

- ما الوجد؟
- بالله، إن اللسان ممتنع عن وصف حقيقته، وبلاغة الأديب عاجزة عن وصف جوهره؛ لأن الوجد من عظائم الأمور، وليس هناك داء أكثر إيلاماً منه.

*

الوجد لسان يتحرك في السريرة، وينبعث من الشوق، فيحرك الأجساد سروراً أو حزناً.

*

- بم عرفت الله ؟
- بالله.
- فما بال العقل؟
- العقل عاجز، لا يدل إلا على عاجز مثله.

*

الصوفي لا يتعلق بشيء، ولا يتعلق به شيء.

*

ليس التصوف رسوماً ولا علوماً، ولكنه أخلاق.

أي لو كان التصوف رسوماً، كان يتأتى بالمجاهدة.

ولو كان علوماً، كان يُكتسب بالتعليم.

لكنه أخلاق، فتخلّقوا بأخلاق الله.

والتخلق بأخلاق الله لا يتحقق بالرسوم، ولا بالعلوم.

*

التصوف الحرية.

والفتوة ترك التكلف والسخاء.

*

التصوف ترك كل نصيب للنفس، من أجل نصيب الحق.

*

التصوف عداوة الدنيا، ومحبة المولى.

*

إبراهيم الخواص*

- حدِّثْنا بأعجب ما رأيته في أسفارك.**

- لقيني الخَضِر، فسألني الصحبة، فخشيت أن يُفسد عليَّ توكلي بسكوني إليه، ففارقته.

*

طلبت المعاشَ لأكل الحلال! فاصطدت السمك، فيوماً وقعت في الشبكة سمكة، فأخرجتها، وطرحت الشبكة في الماء فوقعت أخرى فيها فرميت بها ثم عدت، فهتف بي هاتف: لم تجد معاشاً إلاَّ أن تأتي من يَذْكُرنا فتقتله.

فكسرتُ القصبة، وتركت الاصطياد.

*

تاه بعض أصحابنا أياماً كثيرة في البادية، فوقع على عمارة بعد أيام، فنظر إلى جارية تغتسل في عين ماء، فلما رأته تَجَلَّلَتْ بشعرها، وقالت له: إليك عني يا إنسان!

فقال لها: كيف أذهب عنك، والكُلُّ مني مشغول بك؟

فقالت له: في العين الأخرى جارية أحسن مني، فهل رأيتها؟

فالتفتَ إلى خلفه، فقالت له: ما أحسن الصدق، وأقبح الكذب! زعمت أن الكلّ منك مشغول بنا، وأنت تلتفتُ إلى غيرنا!

---

* أحد الزهّاد المعروفين مات بالريّ سنة 291 هـ.

** عمر بن سنان يسأل ابراهيم الخوّاص.

ثم التفت فلم ير أحداً.

*

– ما الوهم؟

– الوهم: هو قيام بين العقل والفهم. لا منسوب إلى العقل، فيكون شيئاً من صفاته، ولا منسوب إلى الفهم، فيكون شيئاً من صفاته.

وهو قيام شبيه بضوء بين شمس وماء، فلا ينسب إلى الشمس، ولا ينسب إلى الماء، وشبيه بوَسَن بين النوم واليقظة، فلا نائم ولا يقظان، فهذا صحوُه وهو نفاذ العقل إلى الفهم، أو الفهم إلى العقل، حتى لا يكون بينهما قيام،

والفهم صفوة العقل، كما أن خالص الشيء لبُّه.

*

ما هالني شيءٌ إلّا ركبته.

*

حججتُ سنةً من السنين، فبينما أنا أمشي مع أصحابي، إذ عارضني عارضٌ في سرِّي يقتضي الخلوة وخروجاً عن الطريق الجادَّة. فأخذتُ طريقاً غير الطريق الذي عليه الناس، فمشيتُ ثلاثة أيام بلياليهنَّ، ما خطر علي سرِّي ذكرُ طعام ولا شراب ولا حاجة، فانتهيتُ إلى بريَّةٍ خضراء، فيها من كلِّ الثمرات والرياحين، ورأيتُ في وسطها بحيرة، فقلتُ:

كأنها الجنَّة، وبقيتُ متعجِّباً. فبينما أنا كذلك أتفكر، إذا أنا بنفرٍ قد أقبلوا سيماهم سيما الآدميين، عليهم المرقَّعاتُ الحسان، والفُوَط الملاح، فحفُّوا بي وسلَّموا عليَّ،

فقلت: وعليكم السلام ورحمة الله، أين أنا وأنتم؟ ثم وقع بخاطري بعد سؤالي لهم أنهم من الجنِّ، وأنَّ البقعة بقعةٌ غريبة. فقال قائل منهم: قد

جرت بيننا مسألة واختلفنا فيها، ونحن نفرٌ من الجنِّ، قد سمعنا كلام الله من سيدنا محمد ليلة الجن. وسلبتنا نغمةُ كلامه جميع أمورِ الدنيا.

وقد قيَّض الله لنا هذه البحيرة في هذه البريَّة. قلت: وكم بيننا وبين الموضع الذي تركتُ فيه أصحابي؟ فتبسَّم بعضهم وقال: يا أبا إسحاق، إنَّ لله أسراراً وعجائب. إنَّ الموضع الذي أنت فيه لم يحضرْهُ آدمي قبلك إلا شابٌ من أصحابكم توفي ههنا وذلك قبره وأشار إلى قبر على شفير البحيرة، حوله روضةٌ ورياحين لم أرَ مثلها قبلُ.

قلتُ أخبروني عن الشاب. فقال قائل منهم: بينما نحن قعودٌ على شفير البحيرة نتذاكر المحبَّة ونتحاور فيها إذا بشخص قد أقبل إلينا وسلَّم علينا، فردَدْنا عليه السلام. وقلنا له: من أين أقبل الشاب؟ قال: من مدينة نيسابور. قلنا له: ومتى خرجتَ منها؟ قال: منذ سبعة أيام. قلنا له: وما الذي أزعجك على الخروج من وطنك؟ قال: سمعتُ قول الله تعالى ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾* قلنا له: فما معنى الإنابة؟ وما معنى التسليم. وما معنى هذا العذاب؟ فقال: الإنابة: أن يرجع بك منك إليه.

قلتُ: ولم يُذكر التسليمُ في الأصل الذي نقلت منه، ولعله أن تسلّم نفسك له، وتعلم أنه أولى بك منك.

ثم قال: والعذاب عذاب الفراق وصاح صيحةً عظيمة فمات، فواريناه وهذا قبره.

قال إبراهيم: فتعجَّبتُ مما وصفوا، ثم دنوتُ من قبره، فإذا عند رأسه طاقةُ نرجس كأنها رَحىً عظيمة، وعلى قبره مكتوب: هذا قبرُ حبيبِ الله،

* سورة الزمر، آية 54.

قتيل العبرة، وعلى ورقه مكتوب صفة الإنابة. قال: فقرأتُ ما على النَّرجس، فسألوني أن أفسره لهم، ففسَّرتُه لهم، فوقع فيهم الطرب،

فلما أفاقوا وسكنوا قالوا: قد كُفينا جوابَ مسألتنا. قال: ووقع عليَّ النوم، فما انتبهتُ إلاَّ وأنا قريبٌ من مسجد عائشة، وإذا في وطائي طاقةُ ريحان، فبقيتْ معي سنةً كاملة لم تتغير، فلما كان بعد أيام فقدتُها.

*

من لم يَصْبِرِ لم يَظفر.

*

ليكن لك قلبٌ ساكن، وكَفٌّ فارغة، وتَذْهَبُ النفسُ حيثُ شاءتْ.

*

عقوبةُ القلبِ أشدُّ العقوباتِ، ومَقامُها أَعْلَى المقاماتِ، وكرامتُها أفضلُ الكراماتِ، وذكرُها أشرفُ الأذكار.

وبِذِكْرِها تُسْتَجْلَبُ الأنوارُ، وعليها وَقَعَ الخطابُ، وهو المخصوصُ بالتنبيه والعتابِ.

*

الفقر رداء الشرف، ولباس المرسلين، وجلباب الصالحين، وتاج المتقين، وزين المؤمنين، وغنيمة العارفين، ومنبه المريدين، وحصن المطيعين، وسجن المذنبين،

ومكفر للسيئات، ومعظم للحسنات، ورافع للدرجات، ومبلغ إلى الغايات، ورضا الجبار، وكرامة لأهل ولايته من الأبرار؛ والفقر هو شعار الصالحين، ودأب المتقين.

*

– ما المحبة؟

– محو الإرادات، واحتراق جميع الصفات والحاجات.

*

من صفة الفقير أن تكون أوقاته مستوية في الانبساط لفقره صائناً له محتاطاً لا تظهر عليه فاقة ولا تبدو منه حاجة، أقل أخلاقه الصبر والقناعة،

راحته في القلة وتعذيبه في الكثرة، مستوحش من الرفاهات متنعم بالخشونات فهو بضد ما فيه الخليقة،

يرى ما هو عليه معتمده وإليه مستراحه ليس له وقت معلوم ولا سبب معروف، فلا تراه إلا مسروراً بفقره فرحاً بضره، مؤنته على نفسه ثقيلة وعلى غيره خفيفة يعزّ الفقر ويعظمه، ويخفيه بجهده ويكتمه، حتى عن أشكاله يستره.

قد عظمت من الله عليه فيه المنة، وجل قدرها في قلبه من نعمة فليس يريد بما اختار الله له بدلاً ولا يبغي عنه حولاً، فمن نعوتهم اثنتا عشرة خصلة:

أولها أنهم كانوا بوعد الله مطمئنين. والثانية من الخلق آيسين. والثالثة عداواتهم للشياطين. والرابعة كانوا من حيث الحق في الأشياء خارجين. والخامسة كانوا على الخلق مشفقين. والسادسة كانوا لأذى الناس محتملين. والسابعة كانوا لمواضع العداوة لا يدعون النصيحة لجميع المسلمين. والثامنة كانوا في مواطن الحق متواضعين. والتاسعة كانوا بمعرفة الله مشتغلين. والعاشرة كانوا الدهر على طهارة. والحادية عشرة كان الفقر رأس مالهم. والثانية عشرة كانوا في الرضا في ما قل أو كثر وأحبوا أو كرهوا عن الله واحداً.

فهذه جملة من صفاتهم يقصر وصف الواصفين عن أسبابهم.

*

أربع خصال عزيزة: عالم مستعمل لعلمه، وعارف ينطق عن حقيقة فعله، ورجل قائم لله بلا سبب، ومريد ذاهب عن الطمع.

*

الحكمة تنزل من السماء فلا تسكن قلباً فيه أربعة: الركون إلى الدنيا، وهمٌّ غدٍ، وحب الفضول، وحسد أخٍ.

*

لا يصح الفقر للفقير حتى تكون فيه خصلتان: إحداهما الثقة بالله، والأخرى الشكر لله في ما زُويَ عنه مما ابتلي به غيره من الدنيا.

ولا يكمل الفقير حتى يكون نظر الله له في المنع أفضل من نظره له في العطاء.

وعلامة صدقه في ذلك أن يجد للمنع من الحلاوة، ألا يجد للعطاء، لا يعرفه غير بارئه الذي خصه بمعرفته وأياديه،

فهو لا يرى سوى مليكه ولا يملك إلا ما كان من تمليكه، فكل شيء له تابع، وكل شيء له خاضع.

*

كنت أمضي في البادية، فرأيت جارية مضطربة، حاسرة الرأس، وقد غلبها الوجد. فقلت لها: أيتها الجارية! غطِّي رأسك.

قالت: أيها الخواص! غضَّ بصرك.

قلت: إنني عاشق، والعاشق لا يغض البصر، لكن عيني وقعت عليك رغماً عني.

قالت الجارية: وأنا ثملة، والثمل لا يغطي رأسه.

قلت لها: في أية حانة ثملتِ؟

قالت: احذر، أيها الخواص! واتركني. هل في الدارين غير الله؟

قلت: أيتها الجارية! أترغبين في صحبتي؟

قالت: أيها الخواص! لا تطمع في ضعيف، فلست ممن تبحث عن رجل!

*

رأيت الخضر عليه السلام في البادية، كان يطير كالطير. فلما رأيته ماراً في الهواء، طأطأت رأسي؛ حتى لا يبطل توكلي. فاقترب مني في الحال، وقال لي: لو أعرتني الطرف، ما جئت إليك. فلم أسلم عليه، حتى لا يبطل توكلي.

*

كنت في سفر، وعطشت عطشاً شديداً، فسقطت من شدة العطش. ورأيت رجلاً كان ينثر الماء على وجهي. ففتحت عيني، فرأيت رجلاً حسن الوجه يمتطي جواداً. فمنحني ماء طيباً، وقال لي: ارتدف خلفي، وكنت في الحجاز، فلم يبرح من مكانه حتى قال لي: ما ترى؟

قلت: المدينة.

قال: انزل، وقل له: أخوك رضوان يقرأ عليك السلام.

*

ليكن لك قلب ساكن، وكف فارغة، وتذهب النفس حيث شاءت.

*

من لم تبك الدنيا عليه، لم تضحك الآخرة إليه.

ومن ترك شهوة، ولم يجد في قلبه عوضاً عنها، فهو كاذب.

*

من صحَّ في توكله، صحَّ في ما سواه.

*

التوكّل هو الثبات أمام محيي الأموات.

*

المحبة: محو الإرادات، واحتراق جميع الصفات والحاجات.

*

يروى أنه كان يضرب على صدره، ويقول:

واشوقاه إلىِ شخص رآني، ولم أره.

*

أبو عثمان الحيري النيسابوري*

لا يرى أحد قط مساوئه، ما دام يرى محاسنه فقط.
وعيوب النفس لا يراها إلا رجل يلوم نفسه في كل الأحوال.

*

لا يكمل إيمان الرجل حتى يستوي في قلبه أربعة أشياء:
المنع، والإعطاء، والعز، والذل.

*

أعزُّ الناس على وجه الأرض ثلاثة:
عالم يتحدث بعلمه، ومريد لا يطمع، وعارف يتصف بصفات الحق دون كيفية.

*

الأصل، بالنسبة لنا، في هذا الطريق هو الصمت، والرضا بالعلم الإلهي.

*

الحزين من لا يخشى النار التي تتأجّج بالحزن.

*

الخوف الصادق اعتزال الزمان في الظاهر والباطن.

*

خوف الخاصة من الوقت،

---

* يعدّ أحد المؤسسين الكبار للتصوّف في نيسابور، أصله من الرّي، عاش في القرن الثالث الهجري.

وخوف العامة من المستقبل.

*

الخوف من الله يوصلك إليه،
والعجب يقطعك عنه.

*

الصابر من اعتاد المكاره.

*

شكر العامة على المطعم والملبس،
وشكر الخواص على ما يرد على قلوبهم من المعاني.

*

اليقين قلة الاهتمام لغد.

*

الشوق ثمرة المحبة.

*

سُمِّيت المحبة بالمحبة؛ لأنها تمحو كل ما في القلب، سوى المحبوب.

*

من لا يتذوق وحشة الغفلة، لا يجد حلاوة الأنس.

*

العاقل من تأهب للمخاوف قبل وقوعها.

*

الناس على أخلاقهم، ما لم يخالف هواهم.
فإذا خولف هواهم، بان ذوو الأخلاق الكريمة عن ذوي الأخلاق اللئيمة.

*

أصل العداوة من ثلاثة أشياء:

من الطمع في المال،

والطمع في إكرام الناس،

والطمع في قبول الناس.

*

كل قطيعة تحدث للعبد من الدنيا، هي غنيمة.

*

الأدب ثقة الفقراء، وزينة الأغنياء.

*

أبو عبد الله بن الجلاء*

الحقُّ اسْتَصْحَبَ أقواماً للكلام، وأقواماً للخُلَّة؛

فمن استصحبه الحقُّ لمعنىً ابتلاه بأنواع المِحَن، فلْيحذر أحدُكم طلبَ رُتبةِ الأكابر.

*

- ما تقولُ في الرجل يدخُلُ الباديةَ بلا زادٍ؟
- هذا من فِعْل رجال الله.
- فإنْ مات؟
- الدِّيَّة على القاتل.

*

اهتمامُك بالرزقِ يُزيلك عن الحق، ويُفقِرُك إلى الخَلْق.

*

مِن غَيْرةِ الحق أَنْ لم يَجعَل لأحد إليه طريقاً، ولم يُؤْيِس أحداً من الوصول إليه

وتَرَكَ الخلْقَ في مفاوز التحيُّر يركُضون، وفي بحار الظن يَغرَقون.

فمن ظنَّ أنه واصلٌ فاصَلَه، ومن ظنَّ أنه فاصِلٌ مَنَّاه.

فلا وُصولَ إليه، ولا مَهْرَب عنه، ولا بُدَّ منه.

*

---

* مات بدمشق سنة 306 هـ.

الدنيا أوسعُ رُقعةً، وأكثرُ زَحْمةً من أن يَجْفوَك واحد، فلا يَرغَب فيك آخر.

*

- ما الحقّ؟

- إذا كان الحقُّ واحداً يجبُ أن يكون طالِبهُ وَحْدانيَّ الذاتِ.

*

سَمَتْ هِمَمُ العارفين إلى مولاهم، فلم تَعْكُف على شيءٍ سواه. وسَمَتْ هِمَمُ المريدين إلى طَلَب الطريق إليه، فأفْنَوا نُفوسهم في الطَّلَب.

*

من عَلَتْ هِمَّتهُ على الأكوان، وَصَل إلى مُكَوِّنِها؛

ومن وَقَفَ بِهِمَّتِه على شيءٍ سوى الحقِّ، فاتَه الحق، لأنه أَعزُّ من أن يَرضَى معه بشريكٍ.

*

من استوى عنده المدح والذم، فهو زاهد.

ومن حافظ على الفرائض في أول مواقيتها، فهو عابد.

ومن رأى الأفعال كلها من الله تعالى، فهو موحد لا يرى إلا واحداً.

*

همة العارف إلى مولاه، فلم يعطف إلى شيء سواه.

*

الزهد هو النظر إلى الدنيا بعين الزوال، لتصغر في عينيك، فيسهل عليك الإعراض عنها.

*

من لم يصحبه التقى في فقره، أكل الحرام الصرف.

*

الصوفي من كان فقيراً مجرداً من الأسباب.

*

الخائف من تؤمنه المخوفات.

*

كل حقٍّ يشاركُ باطلاً، فقد خرج من قسمة الحق إلى قسمة الباطل؛ فإن الحق غيور.

*

اهتمامك بالرزق يزيلك عن الحق، ويفقرك إلى الخلق.

*

ممشاذ الدينوري*

للعارفِ مرآةٌ، إذا نظر فيها تَجَلّى له مولاه.

*

من يَكَن اللّه هِمَّتَه، لم تَسْتَقْطِعْه الأقدارُ،
ولم تَمْلِكه الأخْطارُ.

*

الأسبابُ عَلائِقُ؛ وفى التَّعريج مَوانِع؛ والاستثناءُ إلى مَسْبوقِ القضاء فَراغَةٌ؛

وأحسنُ الناسِ حالاً من أَسقط عن نفسه رُؤْيةَ الخَلْق، ورَعَى سِرَّه في الخَلَوات، واعتمد على اللّه في جميع أمورِه.

*

صُحْبة أهلِ الصَّلاح، تُورِثُ في القَلْب الصَّلاح، وصُحْبة أهلِ الفسادِ تورِث فيهِ الفسادَ.

*

الأصنام مختلفة: فصنَّم بعض الخلق نفسه، وصنَّم بعضهم أولاده، وصنَّم بعضهم ماله، وصنَّم بعضهم زوجه، وصنّم بعضهم حرمته، وصنَّم بعضهم صلاته وصيامه وزكاته وحاله، فالأصنام كثيرة، وكل واحد من الخلق مقيّد بصنم من هذه الأصنام، ولا مفر لأحد قط من هذه الأصنام إلا

* مات سنة 299 هـ.

من لا يرى لنفسه حالاً ومحلاً، ولا يمتدح أفعاله، بل ينبغي عليه ألا يرضى عن نفسه في كل ما يصدر عنها من خير أو شر، ويلومها.

*

الأسباب علائق، وفي التعريج موانع، والاستثناء إلى مسبوق القضاء فراغة؛ وأحسن الناس حالاً من أسقط عن نفسه رؤية الخلق، واعتمد على الله في جميع أموره.

*

فراغ القلب في التخلي مما تمسك به أهل الدنيا من فضول دنياهم.

*

طريق الحق بعيد، والصبر مع الحق شديد.

*

الحكماء ورثوا الحكمة بالصمت والتفكر.

*

التصوف إظهار الغنى، واختيار المجهول الذي لا يعلمه الخلق، والتخلي عما لا يفيد.

*

- ماذا يفعل الفقير إذا جاع؟
- يصلي.
- فإن لم يقدر.
- ينام.
- فإن لم يقدر ينام.
- إن الله تعالى لا يخلي فقيراً عن إحدى ثلاث: إما قوى، وإما غذاء وإما أخذ.

*

لما حانت وفاته، قيل له: كيف تجد علتك؟

قال: سلوا العلة كيف تجدني.

قيل له: قل: لا إله إلا الله.

فاتجه إلى الجدار، وقال: فنيت فيك كلية، أيكون هذا جزاء من أحبك؟

*

رويم بن أحمد البغدادي*

التوحيد هو محو آثار البشرية وتجرد الألوهية.

*

قعودك مع كل طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية. فإن كل الخَلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق.

وطالبَ الخلق كلهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالب هؤلاء أنفسَهم بحقيقة الورع، ومداومة الصدق.

فمن قعد معهم وخالفهم في شيء مما يتحققون به نزع الله نورَ الإيمان من قلبه.

*

الصبر ترك الشكوى، والرضا استلذاذ البلوى، والتوكل إسقاط رؤية الوسائط.

*

إذا وهبك الله مقالاً وفعالاً؛ فأخذ منك المقال، وأبقى عليك الفعال فلا تبال، فإنها نعمة.

وإذا أخذ منك الفعال، وترك عليك المقال فَنُخْ، فإنها مصيبة.

وإن أخذ منك الفعال والمقال فاعلمْ أنها نقمة.

*

* توفي سنة 303 هـ.

قف على البساط، وإياك والانبساط،
واصبر على ضرب السياط، حتى تجوز الصراط.

*

لا يُجاوزُ همُّه قدمَه، وحيُثما وقف قلبُه يكون منزلُه.*

*

لا يزال الصوفيةُ بخيرٍ ما تنافَروا، فإن اصطلحوا هَلكوا.

*

اليقينُ هو المُشاهَدَةُ.

*

التوكل إسقاطُ رُؤية الوَسائِط، والتعلُّق بأعلى العلائق.

*

- كيف حالُك؟
- كيف يكونُ حالُ مَن دينُه هواه، وهِمَّته شَقاه؟
ليس بصالحٍ تَقِيٍّ، ولا عارف نَقِيّ.

*

أول علم الفناء، هو النزول في حقائق البقاء، وهو الأثرة لله تعالى على جميع ما دونه،
وتفقدُ كل حال معه حتى يكون هو الحظ، وسقوط ما سواه حتى تفنى عبادتهم لله بأنفسهم، ببقاء عبادتهم لله بالله،
وما بعد ذلك، لا يُدركه المعقول بالعقول، ولا تنطق به الألسُن.

*

* من جواب له عندما سئل عن أدب المسافر.

الفقر عدم كلّ موجود وترك كلّ مفقود.

*

الرضا استقبال الأحكام بالفرح.

*

الإخلاص ارتفاع رؤيتك عن فعلك. والفتوة أن تعذر إخوانك في زللهم ولا تعاملهم بما يحوجك إلى الاعتذار منهم.

*

لما رأيت الطالبين قد تحيروا، والمريدين قد فتروا، والمتعبدين والعلماء بما غلب عليهم من سلطان الهوى قد سكروا، لمَّا رأوا المنتسبين إلى علم المعرفة على طبقات مختلفة ومقامات متفاوتة من استصغار الأحوال وأهلها، والتراخي عن الأعمال والإعراض عنها،

تسوروا على ذرى قصرت عنها مقاماتهم عجزاً عن بلوغها،

واغتروا بما سمعوه من علوها، احتجت أني أعلم السبب الذي أوقعهم في هذه الشبهة، وأوقعهم في هذه المنزلة قبل أوانها، والاستحقار للنزول فيها قبل حينها،

فرأيته سببين: كل سبب منهما على أصلين، أحدهما، استعجال المنزلة قبل وقتها عجزاً عما عمل فيه الصادقون، وبذله المحققون، والآخر الجهل بطريق السالكين إليها وإغفال التقوى عما لها وعليها. رضىً منهم باسم لا حقيقة تحته تأويهم، ولا مكانَ منه يغنيهم.

*

إن الله تعالى غيَّب أشياء في أشياء:

غيب رضاه في طاعته،

وغضبه في معصيته،

ومكره في حلمه،

وخداعه في لطفه،
وعقابه في كرمه.

*

الأنس أن تستوحش من سوى محبوبك.

*

الأنس سرور القلب بحلاوة الخطاب.

*

الأنس الخلوة مع الله تعالى.

*

لا تسكن الهمة إلا بالمحبة.
ولا تسكن الإرادة إلا باجتناب المنية.
والمنية تكون لشخص تتسع خطاه.

*

التوبة هي التوبة من التوبة.

*

التواضع ذلة القلوب أمام جلالة علام الغيوب.

*

الشهوة خفية، لا تظهر إلا في وقت العمل.

*

يوسف بن الحسين الرازي*

رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، ورِفقة النسوان.

*

- دُلَّني على طريق المعرفةِ.

- أَرِ اللهَ الصدقَ منكَ، في جميع أحوالِك، بعد أن تكونَ مُوافقاً للحق، ولا تَرْق إلى حيثُ لم يُرْقَ بِك فتزلَّ قدمُك؛

فإنَّكَ إذَا رَقِيتَ سقَطْتَ، وإذا رُقي بك لم تَسْقط.

وإياك أن تَترِكَ اليقين لما ترجوه ظنَّاً.

*

أَصْلُ العقل الصَّمْتُ، وباطِنُ العقل كِتْمان السرِّ، وظاهرُ العقل الاقتداءُ بالسُّنَّة.

*

إن عَيْن الهوى عوراء.

*

لولا أَنِّي مُسْتَعبَدٌ بِتَرْك الذنوب، لأحبَبْتُ أن أَلْقاه بِذُنوب العِباد أجمع؛ فإن هو عذَّبني كان أعْذرَ له في عذابي، مع أنه لو عذَّب الخلقَ جميعاً كان عَدْلاً منه، وإن عفا عني كان أظهر لكرمه عندهم في عفوي، مع أنَّه

* يوسف بن حسين الرازي، شيخ الرّي، صحب ذا النون المصري، توفي سنة 304 هـ.

لَوْ لم يَعفُ عن أحدٍ من خَلْقه لكان ذلك منه فَضْلاً وكرماً، و كانت له الُحجَّة البالِغَة؛ وذلك أن الملكَ ملكهُ، والسلطانَ سلطانهُ، والخلقَ مُتردِّدون بين عدله وفضله. (...) فمن عفا عنه فبِفَضْله، ومن عذَّبه فبِعَدْله؛ وهو إلى الفَضْل أقرب.

*

اللَّهُمَّ! إنك تعلم أني نصحتُ الناسَ قولاً، وخُنتُ نفسي فعلاً، فهب خيانتي لنفسي، لنصيحتي للناس.

*

شاه الكرماني*

المعجبُ بنفسهِ محجوبٌ عن ربِّه.

*

المشتاقون على عشرة مقامات، هي:

تعلُّقُ القلوبِ به،

وطَيرانُ الصَّدْر إليه،

والحركةُ عند ذكْرِه،

والأُنسُ بالوحدة،

والهَرَبُ من الألفة،

والتزينُ بمعاني كلام الرحمن،

والبكاءُ على النفس في الخلوة،

والاستغاثة به،

والتعرض لمناجاته،

والتأسف على ما فاته.

*

لأَهْل الفَضْل فَضْلٌ ما لم يَرَوْه،

فإذا رَأَوْه فلا فَضْل لهم. ولأهل الوِلاَيةِ وِلاَية ما لم يَرَوْها،

فإذا رَأَوْها فلا وِلاَية لهم.

*

عَلامَةُ الرُّكونِ إلى الباطل التَّقَرُّبُ من المبطلين.

*

---

* مات قبل سنة 300 هـ. وكان فارساً شجاعاً مقداماً ثم اتجه نحو الزهد، أصله من مرو.

علامة التَّقْوى الوَرَع؛

وعلامَة الوَرَع الوقوف عند الشُّبُهات؛

وعلامَةُ الخوف الحُزْن؛

وعلامَةُ الرَّجاء حسن الطاعة؛

وعلامة الزُّهد قصر الأمل.

*

من عَرَف ربَّه نَسِي كلَّ ما دونه،

ومن جَهِل ربه تَعلَّق بكل شيء دونه،

ومن اعتَزَّ بالعِلْم فاز،

ومن اعْتَزَّ بالجهل خاب وخَسِر.

*

الجاهلُ في ظُلْمة جَهْله، فكيف يكونُ إذا كان العالِم في ظُلْمَةِ عِلْمه؛ و ظُلْمة العِلْم أشد؟

*

سمنون بن عمر المحب*

لو صاح إنسانٌ، لِشدَّة وَجْده بحبه، لمَلأً ما بين الخافِقِين صِياحاً.

*

إذا بَسط الجليلُ، غداً، بساط المجد دَخَلتْ ذنوبُ الأولين والآخرين في حاشيةٍ من حواشيه.

وإذا أبدى عَيناً من عيون الجود ألحق المسيء بالمحْسِن.

*

لا يُعبَّر عن الشيء إلا بما هو أَرَقُّ منه، ولا شيءَ أرقُّ من المحبة، فبم يُعبَّر عنها؟

*

يروى** أنه تزوج في آخر عمره إتّباعاً للسنّة، وولدت له ابنة، ولما بلغت الثالثة، تعلق بها سمنون. فرأى القيامة في المنام ليلة، وشاهدهم يرفعون علماً لكل قوم، ووضعوا علماً غمر نوره العرصات. فقال سمنون: لمن هذا العلم؟ قالوا: لأولئك القوم الذين وردت هذه الآية بشأنهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾***. أي علم المحبين. فألقى سمنون بنفسه بينهم. فجاء رجل، وأخرجه من بينهم. فصاح سمنون قائلاً: لماذا تبعدني؟ قال: لأن هذا علم

* من كبار مشايخ العراق، عاصر الجنيد ومات بعده.

** نقلاً عن فريد الدين العطّار.

*** سورة المائدة، آية:54.

المحبين، وأنت لست منهم. قال: إنهم يطلقون عليّ «سمنون المحب»، ويعلم الحق تعالى بما في قلبي، فهتف به هاتف: يا سمنون! كنت من المحبين، لكن منذ تعلقت بتلك الطفلة، محوا اسمك من سجل المحبين: فانتحب سمنون في المنام قائلاً: يا إلهي! إن كانت هذه الطفلة عقبة في طريقي، فنحها عن طريقي. فلما استيقظ من النوم، علا الصراخ، فقيل: أن الطفلة سقطت من فوق السطح، وماتت.

*

- لماذا اقترنت المحبة بالبلاء؟
- كل سافل لا يدعي المحبة، لما يرى البلاء، يذل.

*

- من الفقير الصادق؟
- الذي يأنس بالعدم، كما يأنس الجاهل بالغنى، ويستوحش من الغنى، كما يستوحش الجاهل من الفقر.

*

التصوف ألا تملك شيئاً، ولا يملكك شيء.

*

أبو عبد اللّٰه عمرو بن عثمان المكي*

إن الله جعل الاختبار موصولاً بالاختيار، والإجابة مؤداة إلى الأبرار، بتوفيق هدايته وابتداء رأفته،

وجعل رحمته مفتاحاً لكل خير في أرضه وسمائه.

فاختار لنفسه عباداً اتخذهم لنفسه ورضيهم لعبادته واصطنعهم لخدمته واجتباهم لمحبته ونصبهم لدعوته وأبرزهم لإجابته واستعملهم بمرضاته،

فألطف لهم في الدعوى باختصاص المنة،

فأظهر دعوته في قلوبهم بإظهار صنعه وصنعائه، وما غذاهم به من لطفه وألطافه وبره ونعمائه،

فوطأ لهم الطريق، وكشف عن قلوبهم فسارعت قلوبهم بإجابة التحقيق، وذلك لما عرفوا واستبانوا مما به لله دانوا مما تعرف به إليهم من البر والتحف والكرامات والطرف والفوائد السنية والمواهب الهنية،

فسارعت لإجابته بخالص موافقته والإعراض عن مخالفته والعطف على كل ما عطف به عليها والإقبال على كل ما دعاها إليه بلا تثبط في مسير ولا التفات في جد ولا تشمير،

فوصلوا الغدو بالتبكير، وقطعوا فيها العلائق وانفردوا به دون الخلائق، فساروا سير متقدمين، وجدوا جد معتزمين، وحثوا حث مبادرين، وداوموا مداومة ملازمين، وانتصبوا انتصاب خائفين للفوت والحرمان، وخوف السلب لما تقدم إليهم من الإحسان،

---

* مات ببغداد سنة 291 هـ.

فعبدوه بأبدان خفاف، وعاملوه بفطن لطاف، وقصدوه بإرادات صادقة، وهمم خالصة ورغبات طامحة، وقلوب صافية.

*

اعلم أن كلَّ ما تَوهَّمه قلبُك، أو سَنح في مجارى فِكْرك، أو خطر لك في مُعارضاتِ قلبك، من حسْن أو بهاء، أو أنس أو ضياء، أو جمال أو قُبْح، أو نور أو شَبح، أو شخص أو خيال، فالله تعالى ذِكرُه بعيدٌ من ذلك كله، بل هو أعظمُ وأجلُّ وأكبرُ.

*

المعرفةُ دوامُ محبَّة الله، ودوامُ مخافته، ودوامُ الإقبال عليه، ودوامُ انتِصاب القلبِ بذِكْره.

وهي عِلْم القلوب بِفَسْخ العُزُوم، وخَلْع الإرادات، وإحياء الفُهُوم.

*

العلم قائد، والخوف سائق، والنفس حَرون بين ذلك، جَموح، خدَّاعة، مراوغة،

فاحذرْها بسياسة العلم، وسُقْها بتهديد الخوف يتمُّ لك ما تريد.

*

لا أذاقك لله طعم نفسك، فإنك إن ذقتها لم تذق بعدها خيراً أبداً.*

*

واغَمَّاه مِن عَهْد لم نَقُم له بوفاء. ومِنْ خَلْوة لم نصحبْها بحياء. ومِنْ مسألة: ما الجواب فيها غداً؟ ومِنْ أيام تَفْنى ويَبْقَى ما كان فيها أبداً.

*

* من كتاب له إلى الجنيد.

سهل بن عبد اللّه التستري*

الاشتغال بوقت ماضٍ، تضييع وقت ثان.

*

- أيُّ شيء أشدُّ على النفس؟
- الإخلاص: لأنه ليس لها فيها نصيب.

*

الصوفيّ: من يرى دمه هدراً، وملكه مباحاً.

*

أول مقام في التوكل: يكون العبد بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل، يقلّبه كيف شاء؛ لا يكون له حركة ولا تدبير.

*

ذكر الله باللسان هذَيان،
وذكر الله في القلب وسوسة.

*

أوَّل خيانة الصَّديقين حديثُهم مع أنفسهم.

*

* مات سنة 293 هـ.

- من أصحب من طوائف الناس؟

- عليك بالصوفية؛ فإنهم لا يستكثرون، ولا يستنكرون شيئاً، ولكل فعل عندهم تأويل، فهم يعذرونك على كل حال.

*

الناس نِيامٌ، فإذا انْتبهوا نَدِموا؛ وإذا ندموا لم تنفعهم نَدامتُهم.

*

- مَن الصوفي؟

- من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر، وانقطع إلى الله من البشر، واستوى عنده الذهب والمدر.

*

أدنى الأَدَبِ أن تَقِف عند الجهل،

وآخرُ الأدب أن تقف عند الشبْهة.

*

اللهُ قِبْلةُ النيَّة،

والنيةُ قِبْلةُ القلب،

والقلبُ قِبْلةُ البدنِ،

والبدنُ قِبْلةُ الجوارحِ،

والجوارحُ قِبْلة الدنيا.

*

اعلَمُوا أن هذا زمانٌ لا ينالُ أحدٌ فيه النجاةَ إلا بِذَبْح نفسه بالجوع والصَّبْر والجُهْد، لفسادِ ما عليه أهلُ الزمان.

*

من أَحَب أن يَطَّلع الخلقُ على ما بينه وبين الله، فهو غافل.

*

الألف أول الحروف وأعظم الحروف. وهو الإشارة في الألف، أي: الله الذي ألف بين الأشياء وانفرد عن الأشياء.

*

حُرِّكوا بالبلاء فتحرّكوا، ولو سكنوا اتّصلوا.

*

المعرفة غايتها شيئان: الدهش، والحيرة.

*

أوَّل ما رأيتُ من العجائب والكرامات أني خرجتُ يوماً إلى موضع خالٍ، فطاب لي المقامُ فيه، ووجدتُ من قلبي قرباً إلى الله وحضرتِ الصلاة، وأردتُ الوضوء. وكانت عادتي من صباي تجديد الوضوء لكلِّ صلاة، فكأنّي اغتممتُ لفقد الماء. فبينما أنا كذلك، وإذْ دبٌّ يمشي على رجليه كأنّه إنسانٌ معه جرَّةٌ خضراء قد أمسك بيده عليها،

فلما رأيتهُ من بعيد توهَّمتُ أنَّه آدميٌّ حتى دنا مني وسلَّم عليَّ، ووضع الجرَّة بين يديَّ،

فجاءني اعتراضُ العلم. فقلتُ: الجرَّة، والماءُ من أين هو؟ فنطق الدبُّ وقال: يا سهل إنَّا قومٌ من الوحوش قد انقطعنا إلى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل. فبينما نحن نتكلَّم مع أصحابنا في مسألة إذْ نودينا: ألا إن سهلاً يريدُ ماءً لتجديد الوضوء. فَوُضِعتْ هذه الجرَّة بيدي، وإذا بجنبي مَلَكان فدنوتُ منهما وصبّا فيها هذا الماءَ من الهواء، وأنا أسمع خريرَ الماء . قال سهل: فغُشي عليَّ. فلما أفقتُ إذا بالجرَّة موضوعةٌ، ولا أعلم بالدُّبِّ إلى أين

ذهب، وأنا متحسِّرٌ إذْ لم أكلِّمْه وتوضَّأت، فلما فرغتُ أردتُ أن أشربَ منها فنوديتُ من الوادي: يا سهل لم يؤذن لك في شُرْب هذا الماء بعدُ. فبقيتِ الجرَّة تضطربُ وأنا أنظرُ إليها فلا أدري أين ذهبتْ.

*

- إلى من تأمرني أن أجلس؟*

- إلى من تكلمك جوارحه، لا من يكلمك لسانه.

*

* رجل يسأل سهلاً.

محمد بن الفضل البلخي*

العِلْم حِرْزٌ، والجهل غَرَر؛
والصديق مُؤْنَة، والعدوُّ هَمّ؛ والصِّلَة بَقاءٌ، والقطيعةُ مُصيبةٌ؛
والصبر قوَّةٌ، والجُرأَةُ عَجْز؛ والكَذِب ضَعْف، والصِّدقُ قوة؛
والمعرفةُ صداقة، والعقل تجربَةٌ.

*

أَنْزِل نفسك مَنْزِلةَ من لا حاجة له فيها ولا بُدَّ له منها. فإن من مَلَك نفسه عَزَّ، ومن ملكته نَفْسُه ذَلَّ.

*

البكاءُ بكاءان: بكاءُ الزاهدين بعيونهم، وبكاءُ العارفين بقلوبهم.

*

العارف يُدافع عيشَه يوماً بيوم، ويأخُذُ من عيشه يوماً ليوم.

*

ستُّ خصالٍ يُعرف بها الجاهل: الغضب من أي شيء، والكلام في غير نفع،
والعطية في غير موضعها،
وإفشاء السر، والثقة بكل أحد، وألا يعرف صديقه من عدوه.

*

* أبو عبد الله محمد بن الفضل بن حفص. أصله من بلخ، وسكن سمرقند، ومات بها سنة 319 هـ.

عجبت لمن يقطع البوادي والمفاوز، حتى يصل إلى بيته وحرمه، لأن فيه آثار أنبيائه وأوليائه، كيف لا يقطع هواه ونفسه، حتى يصل إلى قلبه، لأن فيه آثار مولاه!

*

إني لأعجب من ذلك الذي يذهب بهواه إلى بيته (بيت الله)، ويزوره، لم لا يدوس الهوى، حتى يصل إليه، ويراه!؟

*

الصوفي من يصفى من جملة البلاء، ويغيب عن جملة العطاء.

*

الراحة في الخلاص من رغبات النفس.

*

إذا رأيت المريد يستزيد من الدنيا، فذلك من علامات إدباره.

*

ذهاب الإسلام من أربعة: أولها لا يعملون بما يعلمون، والثاني يعملون بما لا يعلمون، والثالث لا يتعلمون ما لا يعلمون، والرابع يمنعون الناس من التعلم.

*

العلم ثلاثة أحرف: العين، واللام، والميم، العين هي العلم، واللام العمل، والميم الإخلاص الحق في العمل والعلم.

*

أعرف الناس بالله، أشدهم مجاهدة في أوامره، وأتبعهم لسنة نبيه.

*

المحبة هي الإيثار. ولها أربعة معان الأول: دوام الذكر بالقلب، والسرور به.

والثاني: الأنس العظيم بذكر الحق.

والثالث: قطع الانشغال، والانقطاع عن كل قاطع. والرابع: إيثار المرء الحق على نفسه، وعلى من سواه.

وصفة محبي الحق: أن محبتهم قائمة على الإيثار. بعد هذا تتجاوز معاملتهم أربعة منازل المحبة، والهيبة، والحياء، والتعظيم.

*

إيثار الزاهدين مستغن عن الوقت، وإيثار الفتيان محتاج إليه.

*

الزهد في الدنيا تركها، وإن لم تستطع، تؤثرها. وإن لم تستطع، تحتقرها.

*

- ما التصوف؟

- التصوف اليوم اسم بلا حقيقة، وقد كان من قبل حقيقة بلا اسم.

*

أبو بكر الوراق*

الأدب حفظ لسانك إذا نطقت، وحفظ قلبك إذا خلوت، وحفظ عينك إذا خرجت، وحفظ حلقك إذا أكلت، وحفظ يدك إذا بسطت، وحفظ رجلك إذا مشيت، وحفظ أوقاتك في جميع متصرّفاتك.

فمن لم يحفظ جوارحه، وأهمل وقته، رجعت جوارحه إلى سوء الأدب. ومن حفظ وقته وراقب سرّه حفظ الله عليه أوقاته وجوارحه.

*

للقلب ستَّة أشياء: حياةٌ وموتٌ؛ وصِحَّةٌ وسقم؛ وَيقظَة ونوم. فحياتُه الهُدى، وموتهُ الضَّلالة؛ وصِحَّتُه الطهارة والصَّفاء؛ وسقْمه الكدورة والعلاقة؛ وَيقظَته الذِّكْر، ونَوْمُه الغَفْلة.

ولكلٍّ واحدٍ من ذلك علامةٌ:

فعلامُة الحياة الرَّغبة والرَّهْبة والعملُ بهما، والموتُ بخلاف ذلك.

وعلامةُ الصحة الُقوَّةُ واللَّذة، والسُّقْم بخلاف ذلك.

وعلامةُ اليقَظَة السَّمْع والبَصَر، والنَّوم بخلاف ذلك.

*

الاشتِغالُ بالخَلْق، والتزيُّن لهم، حِجابٌ عن المِنَّة. ومن لم يعرف المِنَّة لم يعرف الخِذْلان.

*

---

* محمد بن عمر الحكيم. أصله من تِرْمذ وأقام ببلخ. عاش في القرن الثالث الهجري.

صاحِبْ العقلاءَ بالاقتداء، والزُّهادَ بُحسن المداراة، والحَمْقى بجميل الصبر.

*

- عَلِّمني شيئاً يُقرِّبنى إلى الله تعالى. ويُقَرِّبني مِن الناس*.
- أما الذى يُقرِّبك إلى الله فَمَسْأَلَتُه؛ وأمَّا الذي يُقرِّبك إلى الناس فتَرْك مَسْأَلتِهم.

*

من اكتفَى بالكلامِ، من العِلْمِ، دون الزُّهْد والفِقْه، تَزَنْدَق.
ومن اكتفى بالزُّهْد، دون الفِقْه والكلامِ، تَبدَّع.
ومن اكتفى بالفِقْه، دون الزُّهد والكلامِ، تَفَسَّق.
ومن تَفَنَّن فى هذه الأمور كلِّها تَخَلَّصَ.

*

- إني أخافُ من فلان.**
- لاَتَخَفْ منه؛ فإنَّ قلبَ مَن تخافه بيد من تَرْجوه.

*

خضوع الفاسقين أفضلُ من صَوْلَة المطيعين.

*

لو قِيل للطَّمَع: من أبوك؟ لقال: الشَّكُّ في المقدور.
ولو قيل: ما حِرْفتك؟ لقال: اكتسابُ الذُّل.
ولو قيل: ما غايتُك؟ لقال: الحِرْمانُ.

*

---

* محمد بن حامد يسأل أبا بكر الوراق النصيحة.

** رجل يشكو خوفه لأبي بكر الوراق.

عَوامُّ الخَلْقِ هم الذين سَلِمَتْ صدورهم، وحَسُنَت أعمالُهم، وطَهُرَتْ أَلْسِنتهم. فإذا خَلَوا من هذا، فهم الغَوْغاء لا العَوامُّ.

*

الخاصَّةُ هم الذين فَقُهَت قلوبُهم، وحَسُنَت أخلاقُهم؛ وكانوا أَئِمَّةً، يدعون الناسَ إلى الخَيْر والعَمَلِ به؛ وسالَمُوا السلطانَ عَلى الأَمْر بالمعروف، والنَّهْي عن المنكر، والعُلَماء على صِدْق الخبَر؛ والعامَّةَ على ظاهر الأمور.

فإذا خَلوا من ذلك فهم المُفْتَرون.

وإذا فسدتِ الخاصَّةُ غلبتْ الكَذَبةُ على الصادقين، والكَهَنةُ على المُوقِنين، والمُوَسْوِسُون على المخلصين.

*

احذَرْ صُحْبةَ السلطان إبقاءً على نفسك،

والملوك إبقاء على عَيْشك،

والأغنياء إبقاءً على مِلْكك،

والسُّوقَة إبقاءً على خُلقك،

والنساءِ والصِّبيانِ إبقاءً على قلبِك،

والفُساقِ والمبتدعين إبقاءً على دينك،

والفقراء إبقاءً على مالِك،

والعلماءِ إبقاءً على إيمانِك وإسلامِك،

والإخوانِ فى مخالَفَتهم إبقاءً على فَضْلك ومُرُوءَتك.

*

للمؤمن أربعُ علاماتٍ: كلامُه ذِكْر، وصَمْتُه تفكُّر، ونَظَرُه عِبْرَة، وعَمَلُه برٌّ.

*

الخلافُ يُهيجُ العداوةَ، والعداوةَ تَسْتَنْزل البلاءَ.

*

الناس ثلاثة: الأمراء، والعلماء، والفقراء.
فإذا فسد الأمراء؛ فسد المعاش.
وإذا فسد العلماء؛ فسدت الطاعات.
وإذا فسد الفقراء؛ فسدت الأخلاق.
ففساد الأمراء جور وظلم.
وفساد العلماء الرغبة في الدنيا، وإتباع الهوى.
وفساد الفقراء ترك الطاعة، ومخالفة الرضا.

*

أصل غلبة الهوى، مفارقة الشهوات.
فإذا غلب الهوى؛ أظلم القلب.
وإذا أظلم القلب؛ ضاق الصدر، وأبغض الخلق.
وإذا أبغض الخلق؛ أبغضوه. وإذا أبغضوه؛ جفاهم، وظلمهم.
وإذا جفاهم صار شيطاناً.

*

- أوصني.
- خذ حجراً، وحطم قدميك. وخذ سكيناً، واقطع لسانك. (...) يقدر على ذلك من ينطق لسان سريرته، وتنصت أذن همته إلى الله. فيخرس لسانه الظاهري، وتصم أذنه الظاهرة. ويتحقق هذا بقطع اللسان، وتحطيم القدم.

*

أول علامات الحكمة: طول الصمت، والكلام على قدر الحاجة.

*

صمت العارف أنفع، وكلامه أطيب.

*

من عشق نفسه، عشقه الكبر، والحمد، والذل، والمهانة.

*

قال أحد المشايخ: يقول الشيطان: إنني لست بهذه السذاجة، لكي أوسوس للمؤمن بالكفر. لكنني أحرضه أولاً على الشهوات الحلال. ولما يحرص عليها، يغلبه الهوى، ويسيطر عليه. حينها أحرضه على المعاصي، وإن أطاعني، أحرضه على الكفر.

*

لتكن خمسة أشياء معك أبداً: إن علمت قدرها نجوت، وإن لم تعلم، هلكت: الله ، ثم النفس، ثم الشيطان، ثم الدنيا، ثم الخلق.

ينبغي عليك طاعة الله، والرضا بما يفعله، ومخالفة النفس، ومعاداة الشيطان، والحذر من الدنيا، والشفقة على الخلق.

إن فعلت هذا، نجوت.

*

ما دمت لا تجتنب الخلق، وتعتزلهم؛ لا تطمع في الأنس بالحق تعالى.

وما دمت تشغل قلبك بأمور الدنيا؛ فلا تطمع في الفكرة والعبرة.

وطالما لا تطهِّر صدرك من طلب الرياسة والعظمة؛ فلا تطمع في الإلهام والحكمة.

*

لما أراد الحقُّ تعالى أن يخلق الماء، جعل لونه مزيجاً من كل الألوان، وطعمه خليطاً من كل الطعوم.

فحين مزج كل الألوان، صار لون الماء. لهذا لا يعرف أحد لون الماء. ولأنه خلط جميع الطعوم، لم يعرف أحد طعم الماء. وهم يجدون فيه اللذة، ويمدهم بالحياة. لكنهم جاهلون بكيفية لذته.

*

الفقير السعيد في الدنيا والآخرة من لا خراج عليه لسلطان في الدنيا، ولا حساب عليه للجبار في الآخرة.

*

أستيقظ في الصباح، وأرى الخلق، فأعرف من أكل لقمة حلالاً، ومن أكل حراماً.

قالوا: كيف؟

قال: من يستيقظ في الصباح، وينشغل باللغو، والغيبة، والفحش، أعرف أنه أكل حراماً.

ومن يستيقظ في الصباح، وينشغل بالذكر، والتهليل، والاستغفار، أعرف أنه أكل حلالاً.

*

الصدق أن تحفظ ما بينك وبين الله تعالى. والصبر أن تحفظ ما بينك وبين نفسك.

*

اليقين نور يستضيء به العبد في أحواله، فيبلغه إلى درجات المتقين.

*

- ما الزهد؟
- ثلاثة أحرف: الزاي، والهاء، والدَّال.

*

اليقين ملاك القلب، وبه كمال الإيمان.

*

اليقين على ثلاثة أوجه يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة.

*

من صحت معرفته بالله، ظهرت عليه الهيبة والخشية.

*

شكر النعمة مشاهدة المنة، وحفظ الحرمة.

*

التوكل أن تقضي الوقت صافياً من كدورة الانتظار، فلا تأسف على ما مضى، ولا تأمل فيما سوف يأتي.

*

من يرى الأمور جميعها من عند الله يصبر، ومن يراها غير ذلك، يتحير.

*

أبو سعيد الخرّاز*

التصوُّفُ التمكينُ من الوقت.

*

رأيت رجلاً على شاطئ البحر جالساً، ورأيت عليه سيماء العارفين، فسلمت عليه وقلت: كيف الطريق إليه؟

قال: أما الطريق العام فهو الذي أنت عليه، وأما الطريق الخاص فهو أن تغيب عن كلِّ ما سواه كما رأيتك الآن،

ثم قام ومشى على الماء وغاب عني ولم أره بعد ذلك.

*

كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل.

*

صحبت الصوفية ما صحبت، فما وقع بيني وبينهم خلاف لأني كنت معهم على نفسي.

*

إن الله تعالى عَجَّلَ لأَرواح أوليائه التلذُّذَ بذِكْره، والوصولَ إلى قُرْبه؛ وعَجَّل لأبدانهم النِّعْمةَ بما نالوه من مصالحهم؛ وأَجْزَل نصيبَهم من كلِّ كائن.

فَعَيْشُ أبدانهم عَيْش الجِنانِيِّين، وعيْشُ أرواحهم عَيْشُ الرَّبانِيِّين.

---

* مات سنة 277 هـ. صحبَ ذا النون المصريّ.

ولهم لسانان: لسانٌ في الباطن، يُعَرِّفُهم صنعَ الصانع في المصنوع؛ ولِسان في الظاهر يُعلِّمُهم عِلْم المخلوقين؛ فلِسانُ الظاهر يكلِّم أجسامَهم ولِسان الباطن يُناجِي أرواحَهم.

*

مَثَل النَّفْس مَثَلُ ماءٍ واقفٍ طاهرٍ صافٍ، فإنْ حركْته ظهر ماتحتَه من الحَمْأَةِ؛ وكذلك النَّفسُ تظهر عن المحن والفاقَةِ والمخَالفة. ومن لم يعرف ما في نفسه ، كيف يعرفُ رَبَّه؟

*

إذا كانت العَيْن واحدةً فمن أيِّ حالٍ تَلَوَّنَتْ عليك، فاجْرِ فيها؛ فإنّ التغييرَ من جِهتك، لأن عَيْن الحقّ لا تَتَقَلَّب.

*

للعارفين خزائنُ أودعوها علوماً غريبةً، وأنباءَ عجيبةً؛ يتكلَّمون فيها بلسان الأَبَدِيَّة، ويخبرون عنها بعبارة الأَزَلِيَّة.

*

البكاء من الله وإلى الله وعلى الله. فالبكاء من الله لطول تعذيبه بالحنين عنه إذا ذكر طول المدة إلى لقائه،

والبكاء من خوف الانقطاع، والبكاء من الْفَرَقِ لما تواعده من المكافأة لمن قصّر، والبكاء من الفزع إذا قام الإشفاق من الحادثات التي تحرم الوصول إليه.

والبكاء إليه، وهو أن يتكلف سرُّهُ الهيجانَ إليه، والبكاء من طيران الأرواح بالحنين إليه، والبكاء من وَله العقل إليه، والبكاء من التأوّه، والبكاء من الوقوف بين يديه، والبكاء برقة الشكوى إليه، والبكاء بالتمرغ على بساط الذل طَلَبَ الزُّلفى لديه، والبكاء عند المنافسة إذا توهّم أنه بُطِّئَ به عنه،

والبكاء خوفاً أن ينقطع الطريق، فلا يصل إليه، والبكاء خوفاً أن لا يصلح للقائه والبكاء من الحياء منه بأي عين ينظر إليه، ثم البكاء عليه إذا بُطِّئَ به عنه، في بعض الأوقات مما عوّده، والبكاء من الفرح في نفس وصوله إليه، إذا اكتنفه ببره، كالصبي الرضيع يرتضع ثدي أمه وهو يبكي.

*

ليس من طبع المؤمن قول: لا. وذلك أنه إذا نظرَ ما بينه وبين ربّه من أحكام الكرم استحى أن يقول: لا.

*

من ظنَّ أنه بِبذل الجهد يصل إلى مطلوبه فُمتَعَنٍّ،
ومن ظنَّ أنه بغير الجهد يصل فُمَتَمنٍّ.

*

ذنوب المقربين حسنات الأبرار.

*

المعرفة تأتي القلوب من جهتين من عين الجود ومن بذل المجهود.

*

إذا بكت عين الخائفين فقد كاتبوا الله بدموعهم.

*

خُيِّر الجميع بين القرب والبعد، فاخترت أنا البعد؛ لأنني لا طاقة لي بالقرب.

كما قال لقمان: خُيرت بين الحكمة والنبوة، فاخترت الحكمة؛ لأنني لا طاقة لي بالنبوة.

*

رأيت في المنام ذات ليلة كأنَّ ملكين نزلا من السماء، فقالا لي:

ما الصدق؟

قلت: الوفاء بالعهد.

فقالا لي: صدقت. فعرجا إليّ.

*

رأيتُ الرسولَ في المنام، فقال لي: هل تحبني؟

قلت له: اعذرني، فإن محبة الله شغلتني عن محبتك.

فقال: من أحب الله تعالى، فقد أحبني.

*

يروى أن أبا سعيد الخراز كان له ولدان، توفيّ أحدهما قبله فرآه في المنام ذات ليلة، فقال له: يا بني، ماذا فعل الله تعالى بك؟

قال: أنزلني إلى جواره، وأكرمني.

قلت له: عظني يا بني.

فقال: يا أبت، لا تعامل الله على الجبن.

قلت له: زدني.

قال: يا أبت، إن تكلمت، لا تطيق.

قلت: إنني أطلب العون من الله تعالى.

قال: يا أبت، لا تجعل بينك وبين الله قميصاً.

يُروى أنه عاش بعدها ثلاثين سنة، ما لبس فيها قميصاً قط.

*

كنت أمضي في البادية، فغلبني الجوع، وطالبتني النفس بأن أطلب الطعام من الله تعالى.

فقلت: طلب الطعام ليس شأن المتوكلين، ولم أطلب شيئاً.

فلما يئست النفس؛ احتالت حيلة أخرى، وقالت: إنك لا تريد الطعام، فاطلب الصبر.

فعزمت على طلب الصبر، فعصمني الحق.

وسمعت صوتاً وكأن أحداً يقول: هذا حبيبنا، ونحن أقرب إليه. والمفروض ألا نضيع أحداً يقصدنا، ليطلب منا قوة الصبر، ويصيبه العجز والضعف، ويظن أنه لم يرنا ولم نره.

أي يحجب بطلبه الطعام؛ لأنه طلب غيرنا.

ويُحجب بالصبر أيضاً، لأنه صبر على غيرنا.

*

دخلت البادية مرة بغير زاد، فأصابتني فاقة، فرأيت المرحلة من بعيد، فسررت.

وقالت النفس: وجدت السكينة.

فآليت ألا أدخل المرحلة، فحفرت حفرة، ودخلت فيها. فسمعت صوتاً يقول: أيها الناس، إن لله تعالى ولياً حبس نفسه في هذا الرمل؛ فأدركوه فجاءتني جماعة، فأخرجوني، وحملوني إلى القرية.

*

كنت أتناول شيئاً من الطعام مرة كل ثلاثة أيام. فدخلت البادية، فمضى عليَّ ثلاثة أيام ما طُعمت شيئاً.

وفي اليوم الرابع، وجدت ضعفاً، واشتهيت الطعام؛ فجلست مكاني، فإذا بهاتف يقول: أيَّما أحب إليك سبب أم قوة؟

قلت: يا إلهي، سبب.

ثم اعترتني قوة، فطويت اثني عشر منزلاً.

*

رأيت شاباً على ساحل البحر يوماً، عليه مرقعة، وبيده محبرة. سيماه ظاهرة، ومعاملته غير ذلك.

حين أنظر إليه، أقول: إنه من الواصلين.

وحين أنظر إلى المحبرة، أقول: بل هو من طلبة العلم.

فقلت: أيها الشاب، ما الطريق إلى الله؟

قال: الطريق طريقان: طريق الخواص، وطريق العوام، لا علم لكَ بطريق الخواصّ، أما طريق العوام فهو الطريق الذي تسلكه، وتجعل معاملتك علة للوصول إلى الحق، وتعد المحبرة حجاباً.

*

كنت أمشي في الصحراء يوماً، فإذا عشرة من كلاب الرعاة المفترسة شدوا علي.

فلما اقتربوا مني، جعلت أستعمل المراقبة، فإذا كلب أبيض قد خرج من بينهم، وحمل عليهم، فطردهم عني، ولم يفارقني حتى ابتعدت عن الكلاب، ثم التفتُّ، فلم أره.

*

يُروى أنه كان يتكلم يوماً في الورع، فمر به العباس بن المهتدي وقال: يا أبا سعيد، أما تستحي؛ تجلس تحت سقف بناء الدوانقي، وتشرب من بركة زبيدة، وتتكلم في الورع؟

فامتثل في الحال قائلاً: القول قولك.

*

جُبلت القلوب على حب من أحسن إليها.

*

عداء الفقراء بعضهم لبعض غيرة على الحق،

فقد أراد ألا يتفقوا بعضهم مع بعض.

*

إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عبيده، فتح عليه باب ذكره.

فإذا استلذَّ الذكر، فتح عليه باب القرب، ثم أنزله في دار الوحدانية، وكشف له عن الجلال والعظمة،

فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة، فنيَ عن نفسه، فوقع في حفظ الله.

*

لا تشغلْ وقتك العزيز إلا بأعزِّ الأشياء.

وأعزُّ أشياء العبد شغله بين الماضي والمستقبل.

*

من نظر بنور الفراسة، نظر بنور الحق.

*

من استقرّتْ المعرفة في قلبه،

لا يرى في الدارين سواه،

ولا يسمع سواه،

ولا ينشغل بسواه.

*

الفناء فناء العبد عن رؤية العبودية.

والبقاء بقاء العبد في الحضرة الإلهية.

*

الفناء الغياب في الحق.

والبقاء الحضور بالحق.

*

كل باطن يخالفه ظاهره، يكون باطلاً.

*

الذكر ثلاثة: ذكر باللسان، يغفل عنه القلب، وهو ذكر العادة.

وذكر باللسان، يحضره القلب، وهو طلب الثواب.

وذكر يعوِّد القلب على الذكر، ويخرس اللسان. ولا يعرف أحد قدر هذا الذكر سوى الله.

*

العارف يستعين بكل شيء، فإذا وصل استغنى بالله عن كل شيء، وافتقر إليه كل شيء.

*

حقيقة القرب ألا تستطيع الإحساس بالقلب قط، ولا يمكنك الإحساس بأي شيء.

*

العلم ما استعملك، واليقين ما حملك.

*

لا يطيب عيش زاهد انشغل بنفسه.

*

التوكل اضطراب بلا سكون، وسكون بلا اضطراب.

*

من لا يستطيع التحكم في ما بينه وبين الله بالتقوى والمراقبة، لا يستطيع الوصول إلى الكشف والمشاهدة.

*

علي بن سهل الأصبهاني*

المبادرة إلى الطاعة من علامة التوفيق،
والتقاعد عن المخالفات من علامات حسن الرعاية.
ومراعاة الأسرار من علامة التيقظ.
وإظهار الدعاوى من رعونات البشرية.
ومن لم تصح مبادىء إرادته لا يسلم في منتهى عواقبه.

*

حرام على من عرف الله أن يَسْكُن إلى شيء غيره.

*

العقلُ والهوى متنازعان؛ فَمُعين العقل التوفيق، وقَرِين الهوى الخِذْلان؛ والنفس واقِفَةٌ بينهما، فأيُّهما ظَفِر كانت في حَيِّزه.

*

التمستُ الغنى فوجدتُه في العِلْم؛
والتمستُ الفَخْر فوجدتُه في الفَقْر؛
والتمستُ العافية فوجدتُها في الزُّهد؛
والتمستُ قِلّة الحساب فوجدتُها في الصَّمت؛
والتمستُ الراحةَ فوجدتُها في الإياس.

*

---

* من أصحاب الجنيد.

أبو عبد اللّٰه السجزي*

العِبْرة أن تجعل كلَّ حاضر غائباً،
والفِكْرة أن تجعل كلَّ غائب حاضراً.

*

* من كبار متصوّفي خراسان، كان يهيم على وجهه في البوادي.

أبو العباس بن عطاء الأدمي*

- ما الشوق؟
- احتراق الأحشاء وتلهّب القلوب وتقطّع الأكباد.

*

كل ما سُئلتَ عنه فاطلبه في مفازة العِلم، فإن لم تجده، ففي ميدان الحكمة، فإن لم تجده فزِنه بالتوحيد، فإن لم تجده في هذه المواضع الثلاثة فاضرب به وجه الشيطان.

*

أصحُّ العقولِ عقلٌ وافق التَّوفيقَ.
وشرُّ الطاعات طاعةٌ أَوْرَثَتْ عُجباً،
وخير الذُّنوب ذنبٌ أَعقبَ توبةً وندماً.

*

السكونُ إلى مَألوفاتِ الطبائع يقطعُ بصاحبها عن بلوغ درجاتِ الحقائق.

*

من وَحْشةِ القلوب عن مَصادِر الحق أُنْسُها بالأَجْناس،
ومَن أَنِس قلْبه باللّه استوحش مما سواه.

*

من كان أول مدخله بالهمة يبلغ إلى الله،

---

* توفي سنة 311 هـ.

ومن كان أول مدخله بالخطرة يبلغ ولكن لا يجد الوصلة الا من شاء الله،

ومن كان أول مدخله بالإرادة يبلغ إلى الآخرة،

ومن كان مدخله بالمنية يبلغ إلى الدنيا.

*

عيش المحب بالنداء، وعيش المشتاق بالدموع، وعيش العارف بالذكر، وعيش الموحد بالبيان، وعيش صاحب التعظيم بالتنفس، وعيش صاحب الهيبة بالانقطاع عن التنفس وعيشة الحرق والغرق.

*

طوبى لمن كان له في عمره نفس واحد.

*

هلاك الأولياء بخطرات السر، وهلاك الموحدين بالإشارات الخفية.

*

الوجد وجد ما حجب، فإذا كشف يذهب.

*

من يبحث عن رجل، يبحث عنه في ميدان العلم، ثم في ميدان الحكمة، ثم في ميدان التوحيد.

وإن لم يجده في هذه الميادين الثلاثة، فلا تطمع في دينه.

*

الدنيا قصر للبعض، وتجارة للبعض، وعز وغلبة للبعض، وعلم وافتخار بالعلم للبعض، ومجلس واختلاف للبعض، ولحظات وشهوة للبعض.

وقد تعلقت همة كل عبد بنصيبه منها.

*

للقلوب شهوة، وللأرواح شهوة، وللنفوس شهوة تجمع بين كل الشهوات.

شهوة الأرواح القرب،

وشهوة القلوب المشاهدة،

وشهوة النفوس اللذة بالراحة.

*

من حُرم الأدب، حُرم جميع الخيرات.

*

لله عباد يصح اتصالهم بالحقّ تعالى،

وتبصر عيونهم به إلى الأبد،

لا يحيون إلا به.

وبسبب اتصالهم به، تنظر قلوبهم إليه دائماً بصفاء اليقين.

حياتهم موصولة به؛ لذا فهم لا يموتون إلى الأبد.

*

لو تتجلى الربوبية على باطن رجل، ويتنفس، تصير حراماً عليه، وتمضي، ولا تعود قط.

*

حياة المحب بالبذل،

وحياة المشتاق بالشك،

وحياة العارف بالذكر،

وحياة الموحد باللسان،

وحياة صاحب التعظيم بالنَّفَس،

وحياة صاحب الهمة بالانقطاع عن النَّفس، وهذه الحياة حرقة وغرقة.

إن قال أحد: كيف تكون حياة الموحد باللسان؟

أقول: إن باطنه كله توحيد، ولا خبر له عن ذرة من باطنه، سوى أنه يحرك لسانه.

كما قال أبو يزيد: أبحث عن أبي يزيد منذ ثلاثين سنة.

وكذلك تكون حياة صاحب التعظيم بالنفس، فلسانه كان قد أصابه العجز، وبقي فيه نَفَس.

وحياة صاحب الهمة في انقطاع النفس؛ لأنه إن تنفس في تلك الهمة، هلك. كما قال عليه السلام: «لي مع الله وقت».

إنني منزو، ولست نبياً مرسلاً، ولا جبريل.

*

حقيقة التوحيد نسيان التوحيد.

*

المحبة عتاب على الدوام.

*

إذا ادّعى المحب الملك، سقطت عنه المحبة.

*

العقل آلة العبودية،

لا الإشراف على الربوبية.

*

الإخلاص أن تخلص من الآفات.

*

– الشوق أسمى أم المحبة؟

– المحبة، لأن الشوق ينبع منها.

*

عصى آدم، بكى عليه كل شيء في الجنة إلا الذهب والفضة.

فأوحى الحق تعالى إليهما: لمَ لم تبكيا على آدم؟

فقالا: ما كنا نبكي على من يعصيك.

فقال الحق تعالى: وعزتي وجلالي! لأجعلن قيمة كل شيء بكما، ولأجعلن ابن آدم خادماً لكما.

*

يروى أن رجلاً قال له: أريد العزلة.

فقال له: وبمن تختلط إن اعتزلت الخلق؟

قال: ماذا أفعل إذن.

قال: كن مع الخلق في الظاهر، ومع الحق في الباطن.

*

مدَّ قدميه مرة أمام أصحابه، وقال: الأدب ترك الأدب بين أهل الأدب.

وأصدر أمراً، فخلعوا عنه حذاءه، وضربوه على رأسه، حتى مات.

*

أبو عمرو الدمشقي*

خواصُّ خِصال العارفين أربعة أشياء:

السياسةُ، والرياضةُ، والحراسةُ، والرعايةُ.

فالسِّياسة والرياضة ظاهران؛

والحراسة والرِّعايَةُ باطنان.

فبالسياسة يَصِلُ العبد إلى التَّطهير، وبالرياضة يصلُ إلى التحقيق.

والسياسة حِفْظُ النَّفْس ومعرفتها، والرياضةُ مخالفةُ النفس ومعاداتُها، والحراسةُ معاينةُ برِّ اللّه في الضمائر، والرعايةُ مراعاةُ حقوقِ المَوْلَى بالسرائر. وميراثُ السياسة القيامُ على وفاءِ العبودية، وميراثُ الرياضةِ الرِّضا عند الحُكم، وميراثُ الحِراسِة الصفْوَةُ والمشاهدةُ، وميراثُ الرِّعايةِ المحبَّةُ والهيْبَةُ،

ثم الوفاءُ متَّصل بالصفاء، والرضا متَّصل بالمحبَّة، عَلمِه مَنْ عَلِمَه، وجَهِله مَنْ جَهِلَه.

*

التصوف رُؤْية الكَوْن بعين النقص، بل غَضُّ الطَّرْف عن كل ناقصٍ ليشاهد مَن هو مُنَزَّه عن كل نَقْص.

*

---

* من كبار متصوّفي أهل الشام، مات سنة 320 هـ.

مقامُ الخَطَرات بعيد من مقام الوَطَنات؛ لأَنَّ الخواطرَ تلْمع ثم تختفي، والوطناتُ تبدو وتَثْبُت ثم تتَحَقَّق. والدَّعاوَى تتولَّد من الخواطر، فإن المدَّعي يَظُن أن ما لاح ثَبَت، ولا دَعْوى لصاحب الوَطَناتِ في مجال.

*

الأشخاصُ بظُلَمِها كامنةٌ،
والأرواح بأنوارها مشرقة؛
فمن طالع الأشخاصَ بظُلمها أَظْلَمَ عليه وقتهُ،
ومن شاهدَ الأرواحَ بأنوارِها دلَّته على مُنَوِّرِها.

*

إذا صَفَتْ الأرواحُ أثّر على الهياكِلِ أنوارُ الموافَقاتِ.

*

أبو الحسين الوراق النيسابوري*

الشَّهْوَةُ أغلبُ سلطانٍ على النَّفْسِ، ولا يُزيلُها إلا الخوفُ المزعجُ.

*

مخافةُ خوف القطيعةِ أَذْبلَتْ نفوس المحبين،
وأَحْرَقَتْ أكبادَ العارفين،
وأَسْهَرتِ لَيْلَ العابدين،
وأظْمَأَتْ نهارَ الزاهدين،
وأكثرتْ بكاء التائبين،
ونغَّصَتْ حياةَ الخائِفين.

*

التوكل اسْتواءُ الحال عند العَدم والوجود، وسُكونُ النفس عند مَجَارِي المَقْدور.

*

الأنسُ بالخَلقْ وحشةٌ، والطَّمَأْنِينَةُ إليهم حُمْق، والسكونُ إليهم عَجْزٌ، والاعتمادُ عليهم وَهْنٌ، والثقةُ بهم ضَياع،
وإذا أراد اللّه بعبدٍ خيراً جعل أُنْسَه به وبذكره، وتوكّله عليه، وصان سِرَّه عن النظرِ إليهم، وظاهرهَ عن الاعتماد عليهم.

*

* من كبار متصوّفي نيسابور، توفي قبل 320 هـ.

أبو بكر الواسطي*

الخوف حجاب بين الله وبين العبد.

*

شاهِدْ بمُشاهَدَة الحقّ إياك، ولا تَشْهَدْه بمشاهدتك له.

*

الحبُّ يُوجبُ شوقاً، والشوق يُوجبُ أُنْساً، فمن فَقَد الشَّوْق والأُنْسَ فلْيَعْلَمْ أنه غير مُحِبّ.

*

من حال به الحالُ كان مَصْرُوفاً عن التوحيد، ومن انقَطَع به انقَطَع، ومن وُصَل به وصل. وفي الحقيقة لا فَصْل ولا وَصْل.

*

كائناتٌ محتومةٌ، بأسبابٍ معروفةٍ، وأوقات معلومة، اعتراضُ السريرة لها رُعُونة.

*

الرضا والسخْطُ نعتان من نعوتِ الحق، يجريان على الأَبَدِ بما جريا في الأَزَل، يُظْهِران الوَسْمين على المقبولين والمطرودين؛

فقد بانَتْ شواهدُ المقبولين بضيائِها عليهم، كما بانت شواهدُ المطرودين بظُلَمِها عليهم.

---

* أصله من فرغانة، دخل خراسان، واستوطنَ في كُورَة مرو، مات بعد 320 هـ.

فأنَّى تنفع مع ذلك الألوان المصَفَّرَة، والأكمام المقَصَّرةُ، والأقدام المْنَتِفخَةُ.

*

الوِقَاية للأَشِبَاح، والرَّعايةُ للأرواح.

*

الوقتُ أقلُّ من ساعة، فما أصابك من نعمة أو من شِدة، قبل ذلك الوقت، فأنت عنه خالٍ، إنما ينالُكَ مِنْهُ ما في ذلك الوقْتِ؛ وما كانَ بعدَ ذَلك فلا تَدْرِي أيصِلُ إلِيْكَ أمْ لاَ.

*

الذاكرون فى ذكره أكثر غَفْلَةً من الناسين لذكره، لأن ذِكْرَه سواه.

*

حياةُ القلبِ باللّه، بل بقاءُ القلوبِ مَعَ اللّهِ، بل الغَيْبةُ عن اللّه باللّه.

*

أربعة أشياء لا تليقُ بالمعْرفِة: الزُّهدُ، والصَّبرُ، والتَّوَكُّلُ، والرِّضا؛ لأن كلَّ ذلك من صِفَة الأشباحِ.

*

الحقائق المختزنة إذا بدت حجبت الحقائق المستترة.

*

الحسين بن منصور الحلاج*

نَحْنُ بشواهِدِكَ نَلُوذُ، وبسنا عزّتك نستضيء لتبدي ما ثبت مِن شأنك.

*

وأنت الذي في السماء عرشك وأنت الذي في السماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ.

*

يا مُدهّر الدهور ومصوّر الصور، يا مَن ذلّتْ له الجواهر وسجدت له الأعراض وانعقدت بأمْرِهِ الأجسام وتصوّرت عنده الأحكام.

*

يا مَن تجلّى لما شاء كما شاء كيف شاء، مثل التجلّي في المشيئة لأحْسَن الصور.

*

الصورة هي الروح الناطقة الّتي أَفْرَدَتْهُ بالعلم والبيان والقُدْرة.

*

لما أَرَدْتَ بِدَايتي، وأظهرتني عند عقيب كراتي، ودعوت إلى ذاتي بذاتي،
وأبديت حقائق علومي ومعجزاتي،
صاعِداً في معاركي إلى عروش أَزَلِيَّاتي،
أنّي اخْتُضِرْتُ وقُتِلْتُ وصُلِبْتُ وأحرقت واحتملَتْ سافياتي الذاريات ولجت بي الجاريات.

---

* الحسين بن منصور الحلاج، أبو مغيث البيضاوي، مات سنة 305 هـ.

وأن ذَرّة مِن يَنْجُوجٍ مكان هَاكولِ مُتَجلّياتي لأَعْظَم مِن الراسيات.

*

المعرفة ضِمن النَّكِرَةِ مَخْفِيَّة، والنكرة ضمن المعرفة مَخْفِيَّة،

النكرة صفة العارِف وحليته والجَهْل صورته، فصورة المعرفة عن الأفهام غايبة آيبة كيف عَرَفَهَ ولا كيف، أَيْنَ عَرَفَهُ ولا أَيْنَ، كيف وَصَلَ ولا وَصْل، كيف انْفَصَلَ ولا فَصْل،

ما صَحَّتْ المَعْرِفَة لِمَحْدُودٍ قَطّ، ولا لمعْدُودٍ، ولا لمجْهُودٍ، ولا لِمَكْدُودٍ.

*

مَن قال عَرَفْتُهُ بِفَقْدي، فالمَفْقُود كيف يعرف الموجود؟

ومن قال عَرَفْتُهُ بِوُجودي، فَقَدِيمَانِ لا يكونان.

ومن قال عَرَفْتُهُ حين جَهِلْتُهُ والجَهْل حِجاب، والمعرفة وراء الحجاب، لا حقيقة لها.

ومن قال عَرَفْتُهُ بالاسْم، فالاسم لا يُفارِق المُسَمَّى لأنَّه ليس بمخلوقٍ.

ومن قال عَرَفْتُهُ بِهِ، فقد أشار إلى معروفين.

ومن قال عَرَفْتُهُ بِصَنْعِهِ، فقد اكتفى بالصُّنْعِ دون الصانِع.

ومَن قال عَرَفْتُهُ بِالعَجْزِ عن مَعْرِفَتِهِ فالعاجز منقطع، والمنقطع كيف يدرك المَعْروف.

ومن قال كما عَرَّفَنِي عَرَفْتُهُ، فَقَد أَشَارَ إلى العِلْمِ، فَرَجَعَ، إلى المعلوم، والمعلوم يفارق الذات، ومَن فارق الذات كيف يدرك الذات؟

وَمن قال عَرَفْتُهُ كما وَصَفَ نَفْسَهُ، فقد قَنِعَ بالخَبَرِ دون الأثر.

ومَن قال عَرَفْتُهُ على حَدَّين، فالمعروف شيءٌ واحدٌ، لا يتحيّز ولا يتبعَّض.

ومَنْ قال المعروفُ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ أَقَرّ بِأَنَّ العَارِف في البَيْنِ، مُتَكَلِّف بِهِ، لأَنَّ المَعْروف لم يزل كان عَارِفاً بِنَفْسِهِ.

*

يا مَن لا يعرف المُجْمَلَ والمُفصَّلَ، ولا يعرف الآخر والأوَّل، والتصاريف والعِلَل، والحقائق والحِيَل، لا تصحّ لَهُ معرفة مَن لم يَزَل.

*

سُبْحَانَ مَن حَجَبَهُم بالاسْم والرَسْم والوَسْمِ، حَجَبَهُم بالقالِ والحالِ والكمال والجمال، عن الَّذي لم يَزَل ولا يزال.

القَلْب مضغة جوفانيّة، فالمعرفة لا تستقرّ فيها لأنَّها رَبَّانية.

*

لِلفَهْمِ طُولٌ وعَرْضٌ، وللطاعاتِ سُنَنٌ وفَرْضٌ، والخَلْق كُلُّهُم في السماءِ والأَرضِ.

وليس للمعرفةِ طول ولا عرض، ولا تسكن في السماء والأرض، ولا تستقرّ في الظواهر والبواطن، مثل السُّنَنِ والفَرْض.

*

ومَن قال عَرَفْتُهُ بالحقيقة، فقد جَعَلَ وجودَهُ أَعْظَم مِن وجود المَعْروفِ، لأَنَّ مَن عَرَفَ شيئاً على الحقيقةِ، فَقَد صَارَ أَقْوىَ مِن مَعْروفِهِ حيْنَ عَرَفَهُ.

*

يا هذا، ما في الكونِ أَقَلّ مِن الذرّة وأَنْتَ لا تدركها. فَمَنْ لا يعرف الذرّة كيف يعرف ما هو أدقّ مِنْها بِتَحْقِيق؟ فَالعَارف مَنْ رأى والمعرفة بِمَنْ بقي. فالمعرفة ثابتة مِن جهة النّصّ، وفيها شيءٌ مَخْصُوص، مِثْل دائرة العين المَشْقوق.

*

ومِن جانب المتلاشي والمسدود، مِن جانب العِلْم الذاتيّ، عينها غائبة في ميمها بالهويّة، مِنْها مُنقطعة، مُنْفَصلة الخواطر عَنْها، لاهية، شاهية، راغِبُها راهُبها، راهِبُها غاربُها، شارقُها غارب، غاربُها شارق، ما لها فَوْق عالٍ، فلا لها تَحْتَ دَانٍ.

*

المعرفَةُ عن المكوّنات بائنة، معَ الديمومةِ دائمة. طرقها مسدودة، ما إليها سبيلٌ، معانيها مُبَيَّنَة، ما عَلَيْها دَليلٌ. لا تدركها الحَوَاسّ، ولا يلحقها أَوْصاف الناس.

*

صَاحِبُهَا واجِدٌ، مارِسُها لاجِدٌ، وارِقُها رامِدٌ، لاصِقُها فاقِدٌ، بارِقُها ماكِدٌ، تارِقُها شاكِدٌ، مارِقُها لاقِدٌ، صارِعُها خامِدٌ، خائفُها زاهِدٌ، لاعِدُها راصِدٌ، أَطْنَابُهَا، أرْبابُها أَسْبَابها.

كأنَّها كأنَّها كأنَّها كأَنَّهُ كأنَّهُ، كأَنَّها كأَنَّها كأَنَّهُ كأنَّهُ، كأَنَّهُ كأنَّها، كأَنَّهُ كأَنَّهُ كأَنَّها كأَنَّها، بُنِيَانُها أركانها وأركانها بنيانها، أصحابها أصحابها بنيانها بها لَهَا بِهَا، لا هِيَ هو، ولا هو هي، ولا هو إلاَّ هي، ولا هي إلاَّ هو، ولا هي إلاَّ هو، ولا هو إلاَّ هو.

فالعارف مَنْ رأى والمعرفة بِمَنْ بَقَى، العارِفُ مع عِرْفانِهِ، لأَنَّهُ عِرْفانُهُ، وعرفانُهُ هو، والمعرفة وراء ذلك والمعروف وراء ذلك.

بقية القِصَّة مَع القُصَّاصِ، والمَعْرِفة مع الخَواصِّ، والكُلْفَةُ مَع الأَشْخَاصِ، والنُطْقُ مَع أَهْل الوسْواس، والفِكْرَةُ مَع أَهْل الإِياس، والغَفْلة مَع أَهْل الاسْتِيحَاشِ.

والحَقُّ حَقٌّ، والخَلْقُ خَلْقٌ، ولا بَاسَ.

*

ما صحَّتْ الدعاوى لِأحَدٍ، إلاَّ لإبْليسٍ وأَحْمَدَ. (صلعم) غير أن إبليس سَقَطَ عن العَيْنِ، وأَحْمَد كُشِفَ لَهُ عن عينِ العين.

قيل لإبليس «أُسْجُدْ!» ولأَحْمَد «أُنْظُر!» هذا ما سجد، وأَحْمَد ما نَظَر، ما الْتَفَتَ يميناً ولا شمالاً، ﴿ما زَاغَ البَصَرَ وما طغى﴾*.

* سورة النجم، آية: 17.

أمّا إبليس فإنَّهُ دَعَا، لَكِنَّهُ ما رَجَعَ إلى حَوْلِهِ.

وأَحْمَد (صلعم) ادعى، ورَجَعَ عن حَوْلِهِ بقولِهِ «بك أحُول وبكَ أصُول!» وبِقَوْله «يا مُقَلِّبَ القلوب!» وقوله «لا أُحْصِي ثناء عليك».

وما كَانَ في أهلِ السَّماءِ مُوَحِّدٌ مثل إبليس.

حَيْثُ إبليس تَغَيَّر عَلَيْهِ العين، وهَجَرَ الأَلْحاظَ، في السَّيْرِ، وعَبدَ المعبودَ على التَّجْرِيدِ.

ولُعِنَ حيْنَ وَصَلَ إلى التَّفْرِيدِ، وطُلِبَ حيْنَ طَلَبَ بالمَزِيْد.

فقال له أُسْجُدْ! قال لا غير! قال لَهُ وإن عليك لعنتي؟ قال لا غير!

مالي إلى غيرك سبيل، وإنّي مُحِبٌّ ذَليل. قال له استكْبَرْتَ. قال لو كان لي مَعْكَ لَحْظَةٌ، لَكَانَ يليق بِي التَّكبُّر والتَّجَبُّر، وأنا الَّذي عَرَفْتُكَ في الأَزَلِ أنا خير مِنْهُ لأَنَّ لي قدمةً في الخدمة، وليس في الكونين أَعْرَفُ مِنّي بك، وَلِي فيك إرادةٌ ولك فِيّ إرادةٌ، إرادتُكَ فِيَّ سابقة، إن سجدتُ لغيرِك، فإن لم أسجُد، فلابُدَّ لي من الرجوع إلى الأَصْلِ، لأنَّك خَلَقْتَنِي مِن النار، والنار ترجع إلى النار، ولَكَ التقدير والاختيار.

*

التقى موسى وإبليس على عَقَبَةِ الطور، فقال له يا إبليس! ما مَنَعَك عن السجود؟ فقال منعني الدعوى بِمَعْبُودٍ واحدٍ، ولو سجدتُ لَهُ، لكُنْتُ مثلك، فإنَّك نوديتَ مرّةً واحدةً انْظُرْ إلى الجبل فَنَظَرْتَ، ونوديتُ أَنا ألفَ مرّةٍ أَن أُسْجُدْ فما سَجَدْتُ لدعواي بمعناي.

فقال لَهُ تَرَكْتَ الأَمْرَ؟ قال كان ذلك ابْتلاءً لا أَمْراً. فقال له لا جَرَمَ قَدْ غَيَّرَ صورتَك. قال له يا موسى ذا وذا تَلْبِيسٌ، والحال لا مُعَوَّل عليه فإنَّهُ يَحُولُ.

لكن المعرفة صحيحة كما كانَتْ، وما تَغَيَّرَتْ، وإنْ الشَخْص قد تَغَيَّر.

فقال موسى الآن تَذْكُرُهُ؟ فقال: يا موسى الفِكْرَةُ لا تذكر، أنا مذكور وهو مذكور، ذِكْرُهُ ذِكْرِي، وذِكْرِي ذِكْرُهُ، هَلْ يكون الذاكرون إلاّ مَعاً؟ خِدْمَتِي الآن أَصْفَى. ووقتِي أَخْلَى، وذِكْري أَجْلَى، لأنِّي كنْتُ أخْدِمُهُ في القِدَم لِحَظِّي، والآن أخدمُهُ لحَظِّهِ.

*

(...) أَفْرَدَنِي، أوْجَدني، حيّرني طردني لئلا أختلط مع المخلصين، مانَعني عن الأغيارِ لغَيْرتي،

غَيَّرَني لِحَيْرَتِي،

حَيَّرَني لِغُرْبَتِي،

حَرَّمَنِي لصُحْبَتِي،

قَبحَنِي لِمِدْحَتِي،

أَحْرَمَنِي لِهَجْرَتِي،

هجرني لِمُكَاشَفَتي،

كَشَفَنِي لِوَصْلَتي،

وَصَلَنِي لِقَطْعَتِي،

قَطَعَنِي لِمَنْعِ مُنيَتِي.

وحَقِّهِ ما أخطأتُ في التدبير، ولا رددتُ التقدير، ولا باليتُ بِتَغْيِيرِ التصوير،

لِي على هذه المقادير تقدير، إن عذبَنِي بِنارِهِ أَبَد الأبد، ما سَجَدتُ لأَحَدٍ. ولا أذلُّ لشَخْصٍ وجَسَدٍ، ولا أعْرف ضدّاً ولا وَلداً،

دعْواي دَعْوَى الصادقين، وأَنا في الحُبِّ مِن الصادِقين.

*

تناظرتُ مع إبليس وفِرْعَوْن في الفُتُوَّةِ، فقال إبليس إن سجدتُ، سَقَطَ عَنِّي اسم الفتوّة وقال فرعون إن آمنتُ بِرسولِهِ، سقطتُ من منزلة الفتوّة.

وقُلْتُ أَنا إِنْ رجعتُ عن دعواي وقولي، سقطتُ مِن بِساطِ الفتوّةِ.

وقال إبليس أنا خير مِنْهُ حيْنَ لم يُراء غَيْره غَيْراً. وقال فرعون ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إلَهٍ غيري حيْنَ لم يَعْرِف في قَوْمِهِ من يميّز بين الحقّ والباطل.

وقُلْتُ أنا إن لم تعرفُوهُ فاعْرفوا آثارَهُ، وأَنا ذلك الأثر، وأَنا الحَقّ، لأَنّي ما زِلْتُ أَبَداً بالحَقِّ حَقّاً!

*

فصاحبي وأُسْتَاذي إبليس وفرعون، وإبليس هُدِّدَ بالنارِ، وما رَجَعَ عن دعواه، وفرعون أُغْرِقَ في اليمّ، وما رجع عن دعواه، ولم يقرّ بالواسِطَةِ البتّة.

وإن قُتِلْتُ أو صُلِبْتُ أو قُطِعَتْ يداي ورجلاي، ما رجعتُ عن دعواي.

*

وأدقُّ مِن ذَلِكَ ذِكْرُ النُقْطَةِ، وهو الأَصْلُ، لا يزيد ولا يَنْقص، ولا يبيد.

*

المُنْكِرُ هو في دائرة البرّاني، وأَنْكَرَ حالي حين لم يرني، وبالزَّندقة سَمَّاني، وبالسُّوء رماني.

*

وصاحب الدائرة الثانية ظَنّني العَالِم الرّبَّانيّ.

*

والّذي وَصَلَ إلى الثالثة، حَسِبَ أنّي في الأَماني.

*

والّذي وَصَلَ إلى دائرة الحقيقة نساني، وغاب عن عياني.

*

كَلاّ لا وَزْرَ إلى ربّك يومئذٍ المستَقَرّ ينبّه الإنسان يومئذٍ بِمَا قدَّم وأخَّر.

*

يفوت إلى الخَبَرِ، فَرَّ إلى الوزر، خَافَ مِن الشرر، اغترّ وغرّر.

*

رأيتُ طيراً من طيور الصوفيّة، عليه جناحَان، وأنكر شأني حين بقي على الطيرانِ.

فسَألَنِي عن الصَّفَاء، فَقُلتُ لَهُ اقطعْ جناحك بمقارضِ الفَنَاءِ وإلاّ فلا تَتْبَعْني.

فقال «بجناحٍ أطير» فقلتُ له ويحك! ﴿ليس كمِثْلِهِ شيءٌ وهو السميع البصير﴾* فَوقَفَ يومئذٍ في بَحْر الفَهْمِ، وغَرِق.

*

على قَلْبِهِ بَاتَ، مِن رَبِّهِ دَنَى، غاب حَيْنَ رآني ما غَابَ، كَيْفَ حَضَرَ ما حَضَرَ، كَيْفَ نَظَرَ ما نَظَرَ.

*

تَحَيَّرَ فأَبْصَرَ، أبْصَرَ فَتَحَيَّرَ، شُوهِدَ فشاهَدَ، وَصَلَ فانْفَصَلَ، وَصَلَ بالمُرَادِ فانْفَصَلَ عن الفؤادِ، ما كذب الفؤاد ما رأى.

*

أَخْفاهُ فأَدْناهُ، وأَوْلاهُ فأَصْفَاهُ، وأَرْوَاهُ فَغَذاهُ، وصَفَاهُ فاصْطَفَاهُ، ودعاهُ فَنداهُ، وبَلاهُ فأَشْفَاهُ، وَوَقاهُ فأمطاهُ.

*

فكان «قاب»، حين تاب وأصاب، ودُعِيَ فأجاب، وأبصر فغاب، وشرب فَطابَ، وقرب فَهَابَ،

فَارَقَ الأمصار والأنصار، والأسرار والأبصار، والآثار.

*

---

* سورة الشورى، آية:11.

مَا ضَلَّ صاحبُكُم، ما اعْتَلَّ وما مَلَّ، ما اعتَلَّ عينٌ بِأَيْنَ، ما مَلَّ حين كَانَ.

ما ضَلَّ صاحبُكم في مضافتِنَا ومعاملتِنَا، ما ضَلَّ صاحبُكم في بُستان الذِّكْرِ في مشاهدتِنا، وما غوى في جولان الفِكْرِ.

*

بَلْ كانَ لِلحَقِّ في الأَنْفاسِ واللحظاتِ ذاكراً، وكان على البلايا والعطايا شاكراً.

*

﴿إن هو إلاّ وحيٌ يُوحَى﴾* من النور إلى النور.

*

اقلِبْ الكلام. وغبْ عن الأَوْهَام، وارفع الأقدام عن الورى والأنام، واقطع مِنْهُ النظم والنظام، وكُن هائماً مع الهيام، واطّلِعْ لِتَكُونَ طائراً بين الجبال والآكام، جبال الفَهْمِ وآكام، السلام، لِترى ما ترى فتصير صَمْصَام الصيام، من مَسْجِدِ الحرام.

*

ثُمَّ دَنَا كأَنَّهُ دنا مِن مَعْنَى، ثُمَّ حَاجَر كعاجِزٍ لا كعاجِزٍ ثُمَّ مِن مقام التهذيب إلى مقام التأديب، ومِن مقام التأديب إلى مقام التقريب، دَنَا طَلَباً فَتَدَلَّى هرباً، دَنَا داعياً فتدلَّى مُنَادياً، دَنَا مُجِيباً فتدلَّى قريباً، دَنَا شهيداً فتدلَّى مشاهداً.

*

فكان قابَ قَوسَيْن، يرمي أَيْنَ، بِسَهْمِ بَيْنَ، أَثْبَتَ قوسين، ليصحِّح أَيْنَ، أو لغيبةِ العين، أَدْنَى بعينِ العينِ.

*

---

* سورة النجم، آية:4.

البرّانـي مـا وصـل إليهـا، والثـاني وَصَـلَ وانْقَطَـعَ، والثالـث ضَـلَّ فـي مفازة حقيقة الحقيقةِ.

*

وهيهـات مَـن يَـدْخُل الـدائرة، والطريـق مسـدود والطالـب مـردود، ونقطـة الفوقـانيّ، هِمَّتُـهُ، ونقطـة التَحْتَـانيّ رُجُوعُـهُ إلـى أصـلِهِ، ونقطـة الوَسْـطَانـيّ تَحَيُّرُهُ.

*

والدائرة ما لها بابٌ، والنقطة الَّتي في وسطِ الدائرة هي الحقيقة.

*

ومَعْنَـى الحقيقـةِ شـيءٌ، لا تغيـب عَنْـهُ الظـواهر والبـواطن، ولا تُقْبَـلُ الأَشكالَ.

*

فإنْ أردتَ فَهْم ما أشرتُ إليك ﴿فَخُذْ أربعة مِن الطَّيْرِ فصُرهُنَّ إليك﴾* لأَنَّ الحقّ، لا يطير.

*

الغيرةُ أَحْضَرَتْها بَعْدَ الغَيْبةِ، والهيبةُ مَنَعَتْها والحيرة سَلَبَتْها.

*

هذه معاني الحقيقةِ، وأدقّ مِن ذلك فَهْمُ الفَهْمِ لإخفاء الوَهْمِ.

*

هذا مِن حول الدائرةِ ينظر، لا مِن وراء الدائرة.

*

وأمّا عِلْمُ عِلْمِ الحقيقةِ حَرَمِيّ، والدائرةُ حرمتُهُ.

*

---

* سورة البقرة: آية 260.

فَلِذَلك سُمِّيَ النبيّ «حَرَمياً»، ما خَرَجَ مِن دائرة الحرم.

*

وهو وراءه فقال «آه!».

*

أَفهام الخلائق لا تتعلّق بالحقيقة، والحقيقة لا تتعلّق بالخليقة. الخواطر علائق، وعلائق الخلائق لا تصل إلى الحقائق، والإدراك إلى عِلْمِ الحقيقة صعب، فكيف إلى حقيقة الحقيقة. الحقّ وراء الحقيقة، والحقيقة دون الحقّ.

*

الفَرَاش يطير حول المصباح، إلى الصَّباح، ويعود إلى الأَشكال، فيخبِّرهم عن الحال، بأَلْطَفِ المقال، ثم يمرح بالدَّلال، طمعاً في الوصول إلى الكمال.

*

ضوء المصباح عِلم الحقيقة، وحرارتُهُ حقيقة الحقيقة، والوصول إليه حقّ الحقيقة.

*

لم يرض بضوئه، وحرارتِه، فيلقى جملتَهُ فيه، والأشكال ينتظرون قدومَهُ، فيخبّرهم عن النظر، حين لم يرض بالخبر، فحينئذٍ يصير متلاشياً، متصاغراً، متطائراً، فيبقى بلا رسم وجسم واسم ووسم، فلأَيّ معنى يعود إلى الأشكال وبأَيّ حالٍ بعد ما حاز، صَارَ مَن وَصَلَ إلى النظر، استغنى عن الخَبَرِ، ومَن وَصَلَ إلى المنظور استغنى عن النَظَرِ.

*

لا تصحُّ هذه المعاني للمتواني، ولا الفاني، ولا الجاني، ولا لِمَن يطلب الأَماني، كأَنِّي كأَنّي، وكأَنّي هو، أو هو أَنّي، لا تَوَقَّ عَنِّي، إن كُنْتَ «أَنّي».

*

يا أيُّها الظانّ، لا تحسب أنّي أَنا الآن، أو يكون أو كان.

*

فكان قاب قوسين حين وصل إلى مفازة عِلْم الحقيقة أَخْبَرَ عن الفؤاد وخَبَرَ، لمّا وصل إلى حقّ الحقيقة، تَرَكَ المُراد، واستسلم للجَوَاد،

وحين وصل إلى الحقّ عاد فقال سَجَدَ لك سَوَادي، وآمَنَ بك فؤادي.

لمّا وصل إلى غاية الغايات قال لا أُحْصِي ثناء عليك.

وحين وصل إلى حقيقة الحقيقة قال أنت كما أثنيتَ على نفسك.

جَحَدَ الهوى، فَلَحَقَ المُنَا، وما كَذَبَ الفؤاد ما رأَى عند سدرة المنتهى، ما التفت يميناً إلى الحقيقة ولا شمالاً إلى حقيقة الحقيقة ما زاغ البصر وما طغى.

*

من أراد أن يذوق شيئاً من هذه الأحوال فليُنزل نفسه إحدى ثلاث منازل: إمّا أن يكون كما كان في بطن أمّه مدبَّراً غير مدبِّر، مرزوقاً من حيث لا يعلم،

أو كما يكون في قبره،

أو كما يكون في القيامة.

المتوكّل رزقه من حيث لا يعلم بغير حساب ولا يكون فيه عليه سؤال.

*

– ما التصوف؟*

– أهونُهُ ماترى!

*

* سؤال يطرح على الحلاج وهو مصلوب.

الحقّ إذا استولى على سر ملّكه الأسرار فيعاينها ويخبر عنها.

*

المُتفرِّسُ هو المصيبُ بأول مرماة إلى مقصده، ولا يُعرِّجُ على تأويلٍ وظنٍّ وحُسبان.

*

ألْزِمِ الكلَّ الحدث، لأنَّ القدم له.

فالذي بالجسم ظهوره فالعرض يلزمه،

والذي بالأداة اجتماعه فقواها تمسكه،

والذي يؤلفه وقت يفرقه وقت،

والذي يقيمه غيره فالضرورة تمسه.

والذي الوهم يظفر به فالتصوير يرتقي إليه؛

ومن آواه محل أدركه أين،

ومن كان له جنس طالبه مكيِّف.

إنه سبحانه لا يظلّه فوق، ولا يقلّه تحت، ولا يقابله حدّ ولا يزاحمه عند، ولا يأخذه خلف، ولا يحدُّه أمام، ولم يظهره قبل ولم يفنه بعد.

ولم يجمعه كلٌّ ولم يوجده كان، ولم يفقده ليس.

وصفه: لا صفة له. وفعله: لا علة له؛ وكونه: لا أمد له.

تنزَّه عن أحوال خلقه. ليس له من خلقه مزاج، ولا في فعله علاج باينَهم بقدمه، كما بايَنوه بحدوثهم.

إن قلت: متى، فقد سبق الوقتَ كونه. وإن قلت: هو، فالهاء والواو خلْقه.

وإن قلت: أي، فقد تقدَّم المكانَ وجوده.

فالحروف آياته. ووجوده إثباته ومعرفته توحيده. وتوحيده تمييزه من خلقه.

ما تُصوّر في الأوهام فهو بخلافه.

كيف يحلُّ به ما منه بدأه؟ أو يعود إليه ما هو أنشأه؟ لا تُماقله العيون، ولا تقابله الظنون.

قربه كرامته، وبُعده إهانته،

علوُّه من غير توقُّل ومجيئه من غير تنقُّل.

هو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، القريب البعيد، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

*

حجبَهُم بالاسم فعاشوا؛ ولو أَبْرَزَ لهم عُلوم القُدْرةِ لَطَاشوا؛ ولو كَشف لهمُ الحجابَ عن الحقيقةِ لماتوا.

*

إلهي! أنتَ تعلمُ عَجْزى عن مواضِعِ شكرك، فاشكر نَفْسك عَنِّي، فإِنَّه الشكرُ لاغيرُ.

*

من لاحظَ الأعمالَ حُجِبَ عن المعمول له؛ ومن لاحظَ المعمولَ له حُجِبَ عن رؤيةِ الأعمالِ.

*

أسماءُ اللّه تعالى، من حيثُ الإدراك اسمٌ؛ ومن حيثُ الحقِّ حقيقةٌ.

*

خاطِر الحق هو الذي لا يعارضُه شيءٌ.

*

ألسنةٌ مُسْتَنْطَقاتٌ، تحت نُطقِها مُسْتَهْلَكات.

وأنْفُسٌ مُستَعمَلاتٌ، تحت استعمالها مُسْتَهْلَكات.

*

من أَسكَرتْه أنوارُ التوحيد، حَجَبتْه عن عبارَةِ التجريدِ؛

بل من أَسْكَرتْه أنوارُ التجريدِ، نطقَ عن حقائِقِ التَّوحيد؛ لانَّ السَّكْران هو الذي ينطقُ بكل مكتوم.

*

من التمس الحقّ بنور الإيمانِ، كان كمن طَلَب الشمسَ بنور الكواكب.

*

ما انفَصَلت البشريةُ عنه، ولا اتَّصَلَت به.

*

اللهم إنك المتجلي من كل جهة، المتخلي عن كل جهة. بحق قيامك بحقي، وبحق قيامي بحقك. وقيامي بحقك، يخالف قيامك بحقي،

فإنّ قيامي بحقك ناسوتيّة، وقيامك بحقي لاهوتية. وكما أَنّ ناسوتيّتي مستهلكة في لاهوتيّتك غير ممازجة إياها فلاهوتيّتك مستولية على ناسوتيّتي غير مماسّة لها.

وبحقِ قِدَمك على حدثي، وحق حدثي تحت ملابس قدمك،

أن ترزقني شكر هذه النعمة التي أنعمتَ بها عليَّ حيث غيّبتَ أغياري عمّا كشفتَ لي من مطالع وجهك،

وحرّمت على غيري ما أبحتَ لي من النظر في مكنونات سرّك، وهؤلاء عبادك قد اجتمعوا لقتلي تعصُّباً لدينك وتقرُّباً إليك.

فاغفر لهم، فإنك لو كشفت لهم ما كشفت لي لَما فعلوا ما فعلوا، ولو سترت عليَّ ما سترت عنهم لَما ابُتليتُ بما ابتليت. فلك الحمد في ما تفعل ولك الحمد في ما تريده.

*

النقطة أصل كل خط، والخط كله نُقَط مجتمعة. فلا غنىً للخط عن النقطة، ولا للنقطة عن الخط.

وكل خط مستقيم أو منحرف فهو متحرك عن النقطة بعينها. وكل ما يقع عليه بصر أحد فهو نقطة بين نقطتين.

وهذا دليل على تجلّي الحقّ من كل ما يُشاهَد وترائيه عن كل ما يُعايَن.
ومن هذا قُلتُ: ما رأيتُ شيئاً إلاّ ورأيتُ الله فيه.

*

اللهمّ، أنت الواحد الذي لا يتمّ به عدد ناقص، والأحد الذي لا تدركه فطنة غائص،

وأنت في السماء إله وفي الأرض إله،

أسألك بنور وجهك الذي أضاءت به قلوب العارفين، وأظلمت منه أرواح المتردّين،

وأسألك بقدسك الذي تخصّصتَ به عن غيرك، وتفرّدتَ به عمّن سواك، أن لا تُسرّحني في ميادين الحيرة، وتنجيني من غمرات التفكّر، وتوحشني عن العالم، وتؤنسني بمناجاتك، يا أرحم الراحمين.

*

يا من استهلك المحبّون فيه، واغترّ الظالمون بأياديه،

لا يبلغ كنهَ ذاتك أوهامُ العباد، ولا يصل إلى غاية معرفتك أهل البلاد.

فلا فرق بيني وبينك إلاّ الإلهيّة والربوبيّة.

*

أيّها الناس أغيثوني عن الله، أغيثوني عن الله، أغيثوني عن الله، فإنه اختطفني منّي وليس يرّدني عليّ، ولا أطيق مراعاة تلك الحضرة، وأخاف الهجران فأكون غائباً محروماً.

والويل لمن يغيب بعد الحضور، ويهجر بعد الوصل.

أيّها الناس، إنه يحدّث الخلق تلطُّفاً فيتجلّى لهم، ثم يستتر عنهم تربيةً لهم.

فلولا تجلّيه لكفروا جملةً، ولولا ستره لفُتِنوا جميعاً، فلا يديم عليهم إحدى الحالتين.

لكني ليس يستتر عني لحظةً فأستريح، حتى استهلكت ناسوتيتي في لاهوتيّته، وتلاشى جسمي في أنوار ذاته، فلا عين لي ولا أثر، ولا وجه ولا خبر.

*

اعلموا أنّ الهياكل قائمة بياهوه، والأجسام متحرّكة بياسينهِ، والهو والسين طريقان إلى معرفة النقطة الأصلية.

*

لو ألقِيَ ممّا في قلبي ذرّة على جبال الأرض لذابت، وإنّي لو كنت يوم القيامة في النار لأُحرقت النار، ولو دخلت الجنّة لانهدم بنيانها.

*

إنّ الله، تبارك وتعالى وله الحمد، ذات واحد قائم بنفسه. منفرد عن غيره بقدمه، متوحد عمّن سواه بربوبيته.

لا يمازجه شيء، ولا يخالطه غيرٌ، ولا يحويه مكان، ولا يدركه زمان، ولا تقدّره فكرة، ولا تصوّره خطرة، ولا تدركه نظرة، ولا تعتريه فترة.

*

يا ولدي، صُن قلبك عن فكرِهِ، ولسانك عن ذكره، واستعملهما بإدامة شكره.

فإنّ الفكرة في ذاته والخطرة في صفاته والنطق في إثباته، من الذنب العظيم والتكّبر الكبير.

*

دعوى العلم جهلٌ.

توالي الخدمة سقوط الحرمة.

الاحتراز من حربه جنون.

الاغترار بصلحه حماقة.

النطق في صفاته هَوَس.
السكوت عن إثباته خرس.
طلب القرب منه جسارة، والرضى ببعده من دناءة الهمّة.

*

حسب الواجد،
إفراد الواحد له.

*

إلهي أصبحت في دار الرغائب، انظر إلى العجائب. إلهي إنك تتودّد إلى من يؤذيك، فكيف لا تتودّد إلى من يُؤذَى فيك.

*

من ظنّ أنّ الإلهيّة تمتزج بالبشريّة أو البشريّة تمتزج بالإلهيّة فقد كفر. فإنّ الله تعالى تفرّد بذاته وصفاته عن ذوات الخلق وصفاتهم،
فلا يشبههم بوجه من الوجوه، ولا يشبهونه بشيء من الأشياء.
وكيف يُتصوَّر الشبه بين القديم والمحدَث؟ ومن زعم أنّ البارئ في مكان أو على مكان أو متّصل بمكان أو يُتصوّر على الضمير، أو يتخايل في الأوهام، أو يدخل تحت الصفة والنعت، فقد أشرك.

*

ما ظهرت النقطة الأصلية إلاّ لقيام الحجّة بتصحيح عين الحقيقة،
وما قامت الحجّة بتصحيح عين الحقيقة إلاّ لثبوت الدليل على أمر الحقيقة.

*

صفات البشرّية لسان الحجة على ثبوت صفات الصمديّة. وصفات الصمديّة لسان الإشارة إلى فناء صفات البشريّة. وهما طريقان إلى معرفة الأصل الذي هو قوام التوحيد.

*

نزول الجمع ورطة وغبطة، وحلول الفرق فكاك وهلاك، وبينهما يتردّد الخاطران،

إما متعلّق بأستار القِدَم، أو مستهلك في بحار العدم.

*

من لاحظ الأزليّة والأبديّة وأغمض عينيه عمّا بينهما، فقد أثبت التوحيد. ومن أغمض عينيه عن الأزليّة والأبديّة ولاحظ ما بينهما فقد أتى بالعبادة. ومن أعرض عن البين والطرفين فقد تمسّك بعروة الحقيقة.

*

من طلب التوحيد في غير لام ألف فقد تعرّض للخَوَضان في الفكر، ومن تعرّف هو الهوّية في غير خط الاستواء فقد جاس خلال الحيرة المذمومة التي لا استراحة بعدها.

*

عين التوحيد مودَعة في السرّ،
والسرّ مودَع بين الخاطرين،
والخاطران مودَعان بين الفكرتين،
والفكرة أسرع من لواحظ العيون.

*

الكفر والإيمان يفترقان من حيث الاسم، وأمّا من حيث الحقيقة فلا فرق بينهما.

*

يا أهل الإسلام أغيثوني.
فليس يتركني ونفسي فآنَسَ بها،
وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها، وهذا دلال لا أطيقه.*

*

* كان الحلاج يصيح في سوق بغداد ويقول هذا القول.

بسم الله الرحمن الرحيم المتجلّي عن كل شيء لمن يشاء. السلام عليك يا ولدي، ستر الله عنك ظاهر الشريعة، وكشف لك حقيقة الكفر. فإنّ ظاهر الشريعة كفر خفيّ، وحقيقة الكفر معرفة جليّة. أمّا بعد حمد الله الذي يتجلّى على رأس إبرة لمن يشاء، ويستتر في السموات والأرضين عمّن يشاء، حتى يشهد هذا بأن لا هو، ويشهد ذاك بأن لا غيره. فلا الشاهد على نفيه مردود، ولا الشاهد بإثباته محمود. والمقصود من هذا الكتاب أنّي أوصيك أن لا تغترّ بالله ولا تيأس منه، ولا ترغب في محبّته ولا ترض أن تكون غير مُحِبّ، ولا تَقُلْ بإثباته ولا تَمِلْ إلى نفيه، وإيّاك والتوحيد. والسلام.*

*

اللهمّ أنت المأمول بكلّ خير، والمسؤول عند كل مُهِمّ، المرجو منك قضاء كل حاجة، والمطلوب من فضلك الواسع كل عفو ورحمة.

وأنت تعلم ولا تُعلَم، وترى ولا تُرَى، وتخبر عن كوامن أسرار ضمائر خلقك، وأنت على كل شيء قدير.

وأنا بما وجدتُ من روائح نسيم حبّك، وعواطر قربك أستحقر الراسيات، وأستخفُّ الأرضين والسموات.

وبحقّك لو بِعتَ منّي الجنة بلمحة من وقتي، أو بطرفة من أحرّ أنفاسي لما اشتريتُها.

ولو عرضتَ عليّ النارَ بما فيها من ألوان عذابك لاستهونتُها في مقابلة ما أنا فيه من حال استتارك منّي.

فاعفُ عن الخلق ولا تعفُ عني، وارحمهم ولا ترحمني،

فلا أخاصمك لنفسي، ولا أسألك بحقي، فافعل بي ما تريد.

*

---

* كتاب للحلاج لأحد مريديه.

يا بنيّ*، الأديان كلّها لله عزّ وجلّ، شَغَلَ بكل دين طائفةً لا اختياراً فيهم بل اختياراً عليهم.

فمن لام أحداً ببطلان ما هو عليه فقد حكم أنه اختار ذلك لنفسه. واعلم أنّ اليهودية والنصرانيّة والإسلام وغير ذلك من الأديان هي ألقاب مختلفة وأسامٍ متغايرة، والمقصود منها لا يتغير ولا يختلف.

*

-أريد أن أطلب الله، فأين أطلبه؟**

فاحمرّت وجنتاه وقال: الحق، تعالى عن الأين والمكان، وتفرّد عن الوقت والزمان، وتنزّه عن القلب والَجنان، واحتجب عن الكشف والبيان، وتقدّس عن إدراك العيون، وعمّا تحيط به أوهام الظنون.

تفرّد عن الخلق بالقِدَم كما تفرّدوا عنه بالحدث. فمن كان هذا صفته كيف يُطلب السبيل إليه؟

*

-أوصني.***

- هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك.

*

- يا شيخ، كيف الطريق إلى الله تعالى؟****

- خطوتين وقد وصلتَ. إضرب بالدنيا وجه عُشّاقها وسَلّم الآخرة إلى أربابها.

*

---

* الحلاج يخاطب ابن فاتك.

** الحسين بن حمدان يسأل الحلاج.

*** أحمد بن فاتك يطلب من الحلاج أن يوصيه.

**** الشبلي يسأل الحلاج.

لا يجوز لمن يرى أحداً أو يذكر أحداً أن يقول إنّي عرفت الأحد الذي ظهرت منه الآحاد.

*

- يا حسين ما المحبة؟*

- حبّة من نور نزلت بقلبي فلم أر إلا ربّي، فأخذني مني وسلبني عني. فتركت هواه لهواه ورضاه لرضاه. فنيت من البين وبقيت لا أثر ولا عين. ثم نظرت منه إليه فلم أنظر إلا هو. فسمعت منه عنه فلم أسمع إلا هو.

- يا حلاج ما أسرع الشفاعة وما كانت الخلوة إلا ساعة. ارتضعت من ثدي محبتنا رضعة وتجرعت من كأس صفوتنا جرعة فما بت إلا لحظة ولا كتمت إلا غمضة.

الدموع** خرجت من الاشتياق والدم خرج من خوف الفراق. رحم الله من عرف قدره وكتم سرّه وحفظ أمره.

يا سيدي هذا الصبر لا أطيقه، الله الله لا إله إلا الله ما أرى إلا الله. إن غبت فهو رقيبي وإن حضرت فهو حسيبي. يا قوم أنا الحق. يقولون نقطع منك الأوصال. فيقول طيب في طلب الوصل. فيقولون نحطك تحت التعذيب. فيقول طيب طيب في رضى الحبيب.***

*

- يا حسين هل لك حاجة أقضيها لك قبل الفراق؟

- نعم تحضر لي أختي الحنونة حتى أوصيها قبل وفاتي.

---

* حوار بين الجنيد والحلاج.

** بكى الجنيد، وعندما سُئل عن سبب بكائه قال ما قاله أعلاه.

*** من كلام قاله الحلاج بعد كلامه مع الجنيد.

- يا أختي استري وجهك عن الرجال.
- لو كانوا رجالاً ما أنكروا أحوال الرجال.
- يا أختي لا تبيحي سرّ المخلوق.
- يا أخي أنت أبحت سر الخالق وتنكر عليَّ الإباحة بسر المخلوق.

*

إذا أراد الله أن يوالي عبداً من عباده، فتح عليه باب الذكر، ثم فتح عليه باب القرب، ثم أجلسه على كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب: فيريه الفردانية بالمشاهدة.

ثم أدخله دار الفردانية، ثم كشف عنه الكبرياء والجمال، فإذا وقع بصره على الجمال بقي بلا هو.

فحينئذ صار العبد فانياً وبالحق باقياً. فوقع في حفظه، سبحانه! وبرئ من دعاوى نفسه.

*

- هل للعارف وقت؟
- لا؛ لأن الوقت صفة صاحب الوقت، ومن يسكن إلى صفته، لا يكون عارفاً.

*

- كيف الطريق إلى الله؟
- قدمان، وتصل. ارفع قدماً عن الدنيا، والأخرى عن العقبى، تصل إلى المولى.

*

- ما الفقر؟
- الفقير هو المستغني عما سوى الله، والناظر بالله.

*

المعرفة رؤية الأشياء، وهلاك الجميع في معناها.

*

اللسان الناطق هلاك القلوب الصامتة.

*

الخاطرُ الحقُّ، لا يعارضه شيء.

*

المريد يستظل بتوبته، والمراد يستظل بعصمته.

*

المريد من يسبق اجتهاده كشفه. والمراد من يسبق كشفه اجتهاده.

*

وقت المرء صدف، وصدره بحره.
وغداً يضربون هذا الصدف على الأرض في صعيد القيامة.

*

ترك الدنيا زهد النفس، وترك الآخرة زهد القلب، والقول بترك النفس زهد الروح.

*

يُروى أنهم جاءوه في الليلة الأولى التي حبسوه فيها، فلم يجدوه في السجن. فتفقدوا السجن كله، فلم يجدوه.
وفي الليلة الثانية، لم يجدوه هو ولا السجن، ومهما بحثوا عن السجن، لم يجدوه.
وفي الليلة الثالثة، وجدوه في السجن. فقالوا: أين كنت في الليلة الأولى؟ وأين كنت أنت والسجن في الليلة الثانية؟
قال: في الليلة الأولى، كنت في الحضرة، وفي الليلة الثانية كانت الحضرة هنا، وفي الليلة الثالثة، أرسلوني لحفظ الشريعة. فتعالوا، وأدّوا عملكم.

*

يُروى أنه كان يصلي ألف ركعة في كل يوم وليلة، فقالوا له: إنك تقول: «أنا الحق»، فلمن تصلي؟ قال: نحن نعرف قدرنا.

*

يُروى أن ثلاثمائة رجل كانوا في السجن. فلما أقبل الليل، قال: أيها المساجين، سأحرركم.

قالوا: ولماذا لا تحرر نفسك؟

قال: إنني في قيد الله، وأحظى بالسلامة. إن أردتم، حطمت القيود كلها بإشارة.

ثم أشار بإصبعه؛ فتحطمت القيود.

فقالوا: أين نذهب الآن؟ وباب السجن مغلق.

أشار فظهرت فجوات في الجدار. وقال: تسللوا.

فقالوا له: ألا تأتي معنا!

فقال: لي سرّ معه، لا يمكن إفشاؤه إلا على المشنقة.

وفي اليوم التالي، قالوا: أين ذهب المساجين؟

قال: حررتهم.

قالوا: ولِمَ لم تذهب معهم؟

قال: لأن الحق عاتب عليّ، فلم أذهب.

ووصل الخبر إلى الخليفة، فقال: إنه سيشعل الفتنة، فاقتلوه، أو اضربوه بالعصا؛ حتى يرجع عن هذا الكلام. فضربوه ثلاثمائة مقرعة، وفي كل مرة كانوا يضربونه، فيها، كان صوت فصيح يقول: «لا تخف يا ابن منصور». يقول الشيخ عبد الجليل الصفار: إن اعتقادي فيمن يضرب بالعصي، أكبر من اعتقادي في الحسين بن منصور، فأي درجة حازها ذلك الرجل في الشريعة؛ حتى كان يسمع مثل هذا النداء الصريح! ولم ترتعد يده، واستمر في الضرب.

ثم أخذوا الحسين حتى يشنقوه. وتجمع مائة ألف رجل، فكان ينظر، ويقول: حق، حق، حق، أنا الحق.

يُروى أن فقيراً سأله في تلك الأثناء: ما العشق؟

قال: ما تراه اليوم، وغداً.

طلب منه خادمه وصية وهو على تلك الحال، فقال له: اشغل نفسك بشيء جدير بالعمل، وإلا شغلتك هي بشيء لا يستحق العمل.

والبقاء بالنفس في هذا الحال هو شأن الأولياء.

*

ثم فصلوا يديه، فابتسم فقالوا له: لم تبتسم؟ قال: فصل اليد عن رجل مقيد أمر سهل. والرجل هو: من يقطع يد الصفات التي تمزق عمامة الهمة فوق مفرق العرش.

ثم قطعوا قدمه، فابتسم، وقال: كنت أسافر بهذه القدم في الدنيا. لكنني أملك قدماً أخرى أطوي بها العالمين. فاقطعوها إن استطعتم. ثم مسح وجهه بيديه المقطوعتين المخضبتين بالدم، فخضب ساعديه ووجهه بالدم.

قالوا: لماذا فعلت هذا؟

قال: نزفت دماً كثيراً، وأعلم أن وجهي قد ذبل، وحتى لا تظنوا أن ذبول وجهي بسبب الخوف، خضبت وجهي بالدم، حتى أبدو أحمر الوجه في عينكم. فلون الرجال من لون دمهم.

قالوا: إن كنت قد خضبت وجهك بالدم، فلماذا خضبت ساعديك؟

قال: لأتوضأ.

قالوا أي وضوء؟

قال: ركعتان في العشق لا يصح وضوءهما إلا بالدم.

ثم اقتلعوا عينيه؛ فثار الخلق، وكان بعضهم يبكي، والبعض الآخر يلقي الحجارة.

ثم أرادوا قطع لسانه. فقال اصبروا؛ حتى أقول شيئاً.

واتجه إلى السماء، وقال: إلهي، لا تحرمهم بهذا الألم الذي سببوه لي، من أجلك، ولا تجعلهم بلا نصيب من هذه السعادة. الحمد لله أنهم قطعوا يدي ورجلي في سبيلك، وإن فصلوا رأسي عن جسدي فوق المشنقة في مشاهدة جلالك.

ثم قطعوا أذنيه وأنفه، وألقوه بالحجارة.

وجاءت عجوز وفي يدها جرة ماء. فلما رأت الحسين، قالت: اضربوه، بشدة، فأي شأن لهذا الحلاج المستهزئ بكلام الله، وكان هذا آخر كلام قاله الحسين: «حب الواحد إفراد الواحد» وقرأ هذه الآية: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾* ثم قطعوا لسانه، وكانت صلاة المغرب حين جزوا رأسه، وابتسم أثناء ذلك، وأسلم الروح، وصرخ الناس. وحمل الحسين كرة القضاء إلى نهاية ميدان الرضا. وكان نداء «أنا الحق» ينبعث من أعضائه عضواً عضواً.

*

وفي اليوم التالي، قالوا: ستكون الفتنة بعد وفاته أكثر منها في حال حياته. ثم حرقوا أعضاءه، فكان نداء «أنا الحق» يصدر من الرماد، وكانت كل قطرة دم تقطر منه عند قتله، تكتب: الله.

فيأسوا منه، وألقوه في دجلة، فكان يقول «أنا الحق» فوق الماء، وكان الحسين قد قال: حين ألقوا برمادنا في دجلة، خافت بغداد من الغرق؛ فحملوا خرقتي إلى الماء؛ حتى لا يلحق الدمار ببغداد.

---

* سورة الشورى، آية: 18.

ولما رأى الخادم ذلك، أحضر خرقة الشيخ إلى شاطئ دجلة، حتى سكن الماء، واستقر الرماد.

ثم جمعوا رماده، ودفنوه. ولم يحظ أحد من أهل الطريقة بهذا الفتح.

*

يُروى أن الشبلي قال: ذهبت إلى قبره في تلك الليلة، وصليت حتى الصباح، وناجيت الله في السحر، وقلت: إلهي، كان عبدك هذا مؤمناً عارفاً موحداً، فلماذا ابتليته بهذا البلاء؟

وغلبني النوم، فرأيت في المنام، وكأنه يوم القيامة، وقال الحق تعالى: إنني فعلت هذا؛ لأنه أفشى سرنا لغيرنا.

*

أبو عبد اللّه الصّبيحي*

الرُّبوبيَّة سَبقتْ العُبوديَّة؛ وبالرُّبوبِيَّة ظهرتْ العبودِيَّةُ. وتمامُ وفاءِ العُبوديَّة مشاهدة الرُّبوبيَّةِ.

*

– ما التَّسَلِّي والانقطاع؟**

– لا يَقْطَعُك عن الشَّيءَ ما هو مِثْله، أو دونه؛ وإنما يَقْطَعُك عنه ما هو أتَم منه وأعْلى؛

والنَّظَرُ في عَواقِب الأُمور من أحوال العاجزين؛

والتَّقَحُّم على الموارِدِ من أحوال الرجال؛ والخُمودُ بالرِّضاء، تحت مَوارِدِ القضاء، من أحوال العارفين.

*

الغريبُ هو البعيد عن وطنه، وهو مُقيمٌ فيه.

*

الغريبُ الذى لاجِنسَ له.

*

الغريبُ من صَحِبِ الأجناس.

*

---

* من أهل البصرة، يُقال إنه عاش في سَرَب تحت الأرض لمدة ثلاثين سنة ولم يخرج منه.

** سؤال يُطرح عليه.

أبو علي الثقفي*

أفٍّ من أشغال الدنيا إذا أقبلت، وأفٍّ من حسراتها إذا أدبرت،
والعاقل من لا يركن إلى شيء إذا أقبل كان شغلاً، وإذا أدبر كان حسرة.

*

كمالُ العبوديّة هو العجزُ والقصورُ عن تدارُكِ مَعْرِفة عِلَل الأشياء بالكلية.

*

تمام العلمِ انقطاعُ الرجاء عن بلوغ كنهه.

*

مَن غلبه هواه توارَى عنه عقله.

*

يأتي على هذه الأمّة زمانٌ لا تطيب المعيشةُ فيه لمؤمنٍ، إلاَّ بعد استناده إلى مُنافِق.

*

لا تلتمسْ تقويم ما لا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب.

*

---

* توفي سنة 328 هـ.

أبو بكر الشبلي*

نارُ الهيبة تُذيبُ القلوبَ،
ونارُ المحبَّة تُذيبُ الأرواحَ،
ونارُ الشَّوْق تُذيبُ النفوسَ.

*

اللحظة حرمان، والخطرة خذلان والإشارة هجران.

*

– ما لي أراك قلقاً، أليس هو معك، وأنت معه؟
– لو كنت أنا معه كنتُ أنا، ولكني محو في ما هو.

*

– ما الوفاء؟
– هو الإخلاص بالنُّطق، واستغراقُ السرائر بالصدق.

*

الواحد: المعروف قبل الحدود وقبل الحروف.

*

ألستُ عندكم مجنوناً، وأنتم أصحّاء؟
زادَ الله في جنوني وزادَ في صحتكم.

*

* (247 –334 هـ)، من رفاق الحلاج والجنيد.

ليس يَخْطرُ الكون ببال من عرف المكوِّن.

*

الأرواح تلطَّفتْ؛ فتعلَّقتْ عند لذّات الحقيقة؛
فلم تر غير الحقِّ معبوداً يستحقُّ العبادة؛
فأيقنتْ أن المحْدَث لا يُدْرِك القديمَ بصفاتٍ معلولة.
فإذا صفَّاه الحقُّ أوْصَله إليه، فيكون الحقُّ أوصله إليه، لا وَصَل له.

*

التصوف ضبط حواسِّك، ومراعاة
أنفاسك.

*

التصوف التآلف والتعاطف.

*

أعمى اللّه بصراً يراني، ولا يرى فيَّ آثارَ القدرة: فأنا أحدُ آثار القُدْرة، وأحدُ شواهد العِزَّةِ.
لقد ذلَلْتُ حتى عَزَّ في ذُلِّي كلُّ ذُلٍّ، وعززتُ حتَّى ما تعزَّز أحدٌ إلا بي أو بمن تعزَّزْتُ به.
وما افترقنا. وكيف نفترق، ولم يَجْر علينا حالُ الجمْع أبداً؟

*

ليكن همُّك معك، لايتقدم ولا يتأخر.

*

قال الجُنيد للشِّبْليّ: لو رددت أمرك إلى اللّه لاسترحت.
فقال الشبلي: يا أبا القاسم! لو رد اللّه أمرك إليك لاسترحت.
فقال الجنيد: سيوف الشبلي تقطر دماً!

*

سَهْوُ طَرْفَةَ عين عن اللّه لأهل المعرفة شِركٌ باللّه.

*

الزمْ الوحدة، وامحُ اسمك عن القوم، واستقبلْ الجدار حتى تموت.*

*

المحبّ إذا سكتَ هلكَ، والعارفُ إذا لم يسكتْ هلكَ.

*

الحرِّيةُ هي حريةُ القلب لا غيرُ.

*

ليس مَن احتجبَ بالخَلْق عن الحقِّ، كمن احتجب بالحقِّ عن الخَلْق. وليس مَن جذبته أنوار قُدْسِهِ إلى أُنسه، كمن جَذَبتْه أنوارُ رحمته إلى مغفرته.

*

أحبَّكَ الخلقُ لنَعْمائِك، وأنا أحِبُّك لبَلائِك.

*

الحقُّ يُفْنَى بما به يُبْقى، ويُبْقي بما فيه يُفْني؛ يُفْني بما فيه بقاء، يُبْقي بما فيه فناء. فإذا أفنى عبداً عن إياه، أوصله به، وأشرفَه على أسراره، وبكى.

*

كيف يصح لك التوحيدُ، وكلَّما ملكت شيئاً ملكك؟ وكلَّما أبصرت شيئاً أَسَرك؟

*

---

* من وصيّة الشبلي لأبي العبّاس الدامغاني.

كنتُ في أول بدايتي إذا غلبني النوم أكتحلُ بالملح، فإذا زاد عليَّ الأمرُ أَحْميتُ الميل فأكتحلُ به.

*

- ما صفة الخلق؟

- إن الذل كائنُهُمْ، والعلة كَوْنُهُمْ.

*

سُبْحان من كان ولا مكان، ولا زمان، ولا أوان، ولا دهر، ولا أبد، ولا أزل، ولا أول، ولا آخر؛

وهو في حال ما أحْدَثَ الأشياء، غيرُ مشغول عنهم، ولا مستعين بهم، عدلٌ في جميع ما حكم عليهم.

*

ألف عام ماضية في ألف عام واردة،

هو ذا الوقت، ولا تغرنّكم الأشباح.

*

أنا الوقت، وقتي عزيز، وليس في الوقت غيري.

*

اللهم إن كنت تعلم أنَّ فيَّ بقية لغيرك فأحْرِقني بدارك، لا إله إلا أنت.

*

- يا أبا القاسم*، ما تقول في حال علا فظهر، ظهر فقهر، وقهر فبهر، فاستناخ واستقر؟

فالشواهد منطمسة، والأوهام خنسة، والألسن خرِسة، والعلوم مندرسة،

* أبو القاسم هو الجنيد، وهذا الكلام يخاطبه به الشبلي في كتاب أرسله إليه.

ولو تكاثفت الخليقة على من هذا حاله، لم يزدْه ذلك إلا توحشاً، ولو أقبلت الخليقة إليه تعطفاً، لم يزده ذلك إلا تبعداً،

فالحاصل في هذا الحال قد صُفد بالأغلال والأنكال، وغلبه على عقله فحال وحادَّ الحق بالحق، وصار الخلق عقالاً.

– يا أبا بكر: الله الله في الخلق، كنا نأخذ الكلمة فننشقها، ونقرظها، ونتكلم بها في السراديب، وقد جئتَ أنت فخلعت العذار، بينك وبين أكابر الخلق ألفُ طبقة، في أول طبقة يذهب ما وصفتَ.

*

وددتُ أن لو كانت الدنيا لقمةً، والآخرة لقمة، أجعلُهما في فمي، حتى أترك هذا الخلق بلا واسطة.

*

يا قوم أمُرُّ إلى ما لا وراء فلا أرى إلا وراء، وأمرُّ يميناً وشمالاً إلى ما لا وراء، فلا أرى إلا وراء،

ثم أرجع فأرى هذا كله في شعرة من خنصري.

*

ليت شعري ما اسمي عندك يا علّام الغيوب؟

وما أنت صانع في ذنوبي يا غفار الذنوب؟

وبمَ يُخْتَم عملي يا مقلب القلوب؟

*

كنت يوماً جالساً، فجرى بخاطري أني بخيل، فقلت: أنا بخيل! فقاومني خاطري، وقال: بلى! إنك بخيل!

فقلت: مهما فتح عليَّ اليوم، لأدفعنَّه إلى أول فقير يلقاني!

فبينا أنا أتفكر، إذ دخل عليَّ صاحبٌ لمؤنس الخادم، ومعه خمسون ديناراً، فقال: اجعل هذه في مصالحك، فأخذتها وخرجت. وإذا بفقير

مكفوف، بين يدي مزين، يحلق رأسه، فتقدمت إليه، وناولته الصرّة، فقال لي: أعطها للمزين. فقلت: إنها دنانير! فقال: أو ليس قد قلنا إنك بخيل! فناولتها للمزين فقال: من عاداتنا أنّ الفقير إذا جلس بين أيدينا لا نأخذ منه أجراً.

فرميتها في دجلة فقلت: ما أعزَّكِ أحدٌ إلا أذله الله!

*

كنت في قافلة بالشام، فخرج الأعراب فأخذوها، وأميرهم جالس يعرضون عليه،

فخرج جراب في لوز وسكر، فأكلوا منه إلا الأمير، فإنه لم يأكل؛

فقلت له: لمَ لا تأكل!، قال: أنا صائم!

قلت: تقطع الطرق، وتأخذ الأموال، وتقتل النفس، وأنت صائم!

قال: يا شيخ! اجعل للصلح موضعاً.

فلما كان بعد حين، رأيته يطوف، وهو محرم، كالشنِّ البالي، فقلت: أنت ذاك الرجل!

فقال: ذلك الصوم بلغ بي إلى هذا.

*

قد تحيّرت فيك، خذ بيدي يا دليلاً لمن تحيّر فيك.

*

من فنيَ عن الحقّ بالحق، لقيام الحقّ بالحق، فنيَ عن الربوبية، فضلاً عن العبودية.

*

– يا أبا بكر، ما علامة الإفلاس؟*

* سؤال موجّه للشبلي.

- من علامة الإفلاس الاستئناسُ بالناس.

*

- ما أنت؟*
- يا سيدي النقطة التي تحت الباء.
- أنتَ شاهدي، ما لم تجعل لنفسكَ مقاماً.

*

الشكر: رؤية المنعم، لا رؤية النعمة.

*

التصوّف الجلوسُ مع الله بلا همٍّ.

*

التصوف بَرْقة محرقةٌ. هو العصمة عن رؤية الكون.

*

- أخبرنا عن توحيد مجرّد وبلسان حقّ مفرد؟**
- ويحك! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن أومأ إليه فهو عابد وثن، ومن نطق فيه فهو غافل، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهَّم أنه واصل فليس له حاصل، ومن رأى أنه قريب فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد،

وكل ما ميزتموه بأوهامكم وأدركتموه بعقولكم في أتمِّ معانيكم فهو مصروف مردود إليكم، محدث مصنوع مثلكم.

*

---

* الشبلي يسأل رجلاً جاء إليه.

** سؤال طرحهُ شخص على الشّبلي.

اطلع الحق على الخلق فقال: من نام غَفَل، ومن غَفَل حُجب.

*

احذر مكرَهُ ولو في قوله كلوا واشربوا.

*

مرّ بي بُهْلول المجنونُ في بعض الأيام وهو خارجٌ إلى الجبّانة، ومعه قصبة قد جعلها فرَسَه، وبيده مِقْرعةٌ وهو يعدو، فقلت: إلى أين يا بهلول؟ فقال: إلى العَرْض على الله عزَّ وجلّ. قال: فجلستُ حتى رجع وقد انكسرتِ القَصَبة، واحمرَّتْ عيناه من البكاء،

فقلت له: ما كان منك؟

قال: وقفتُ بين يديه على أن يكتبني من الخُدَّام، فلما عرفني طردني. قلت هذا القول من بهلول قولُ عارفٍ محبٌّ مقبول، صدر من قلبٍ حزين، بالخوف مشغول.

*

رأيتُ مجنوناً في بعض الطرقات والصبيانُ خلفه يرجمونَهُ بالحجارة، وقد أدْمَوْا وجهه، وشجُّوا رأسه، فزجرتُهم عنه، فقالوا: ياشيخ دعنا نقتلْه، فإنه كافر. قلت: ما بدا لكم من كُفْره؟ قالوا: يزعم أنه يرى ربَّهُ ويحادثُه. فقلت أمسكوا عليَّ قليلاً. ثم تقدمت إليه، فوجدتُه يتحدث ويضحك ويقول في أثناء ذلك: هذا جميلٌ منك تُسلِّطُ عليَّ هؤلاء الصبيانَ يفعلونَ بي هكذا؟ فقلت له: يا أخي، هؤلاء الصبيانُ يقولون عنك شيئاً قال: يا شبلي، ما يقولون؟ قلتُ يقولون إنك تزعم أنك ترى ربك وتحادثهُ. فصاح صيحةً عظيمة، ثم قال: يا شبلي وحقِّ مَنْ تيَّمَني بحبِّه وهيّمَني بين بعده وقربه، لو احتجَبَ عني طرفةَ عين لتقطّعتُ من ألم البَيْن. ثم غاب عني مسرعاً وهو يقول:

خيالك في عيني وذِكْرُك في فمي ومَثْواكَ في قلبي فأين تغيبُ؟

*

إذا أشار الموحد يكون كما أشار،
وإذا خطر الخاطر فيهلك ذاك الشيء،
وإذا لاحظ الملاحظ فيقوى ذلك الشيء،
لأن اللحظة من ريح الله، والخطرة من نار الله، والإشارة من نور الله.

*

غاية التوحيد وجد والإنكار بالوجد عند أوقات اللذات.

*

- ما القرب؟*
-البعد.
- وكيف؟
- يغيب الذكرُ والذَاكِرُ.

*

خرجتُ ذات يوم أريدُ البادية، فرأيت شاباً صغير السنِّ نحيل الجسم أشعث أغبر عليه ثيابٌ رثَّة، وهو جالس في الجبَّانة يمرِّغُ خدَّيه بين القبور، وجعل يرمقُ السماءَ تارةً بعد تارة، ويحرِّك شفتيه.

الدموع تسيلُ من عينيه، وهو مستغرقٌ في الدعاء والذكر والاستغفار، ولا يشغَلُه شاغل عن التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد والتعظيم.

فلما رأيتُ الشابَّ على تلك الحالة مالتْ نفسي إليه، وطابتْ على لقائه، فتركتُ الطريقَ التي أروحُ عليها وقصدتُ نحوه. فلما رآني أقبلتُ إليه انتهض من مكانه، وقام يمشي هارباً مني،

فنهَّضتُ نفسي في اتباعه لعلِّي ألحقه، فلم أقدر على إدراكه فقلت له: رفقاً يا وليَّ الله.

---

* سؤل وُجِّه للشبلي.

فقال: الله.

فقلت بحقِّه إلاَّ ما صبرتَ، فأشار بإصبعه: لا أفعل.

وقال: الله .

فقلت: إن كان حقّاً ما تقول، أرني صدقك مع الله تعالى. فنادى بصوت عالٍ يا الله: فوقع في الأرض مغشياً عليه، فدنوتُ منه وحرَّكته، فإذا هو ميت من ساعته، فتوهَّمت من ذلك، وتعجَّبتُ من حاله، وصِدْقه مع الله تعالى، وقلت: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾* وقلت: لا حول ولا قوَّة إلا بالله العليّ العظيم. ثم تركتهُ في موضعه وسرتُ إلى حيٍّ من أحياء العرب لآخذ في جهازه وإصلاح شأنه. فلما رجعتُ إليه حُجِب عنِّي فطلبتهُ في المكان، فلم أجد له أثراً ولا سمعتُ له خبراً فبقيْتُ متحيِّراً،

وقلت: حُجب عني هذا الشاب، ومن سبقني إليه فسمعتُ قائلاً يقول لي: يا شبلي، قد كُفيتَ أمرَ الفتى وما تولاَّه إلا الملائكة. فعليك أنت بعبادة ربِّك وأكثر الصدقة من مالك، فما بلغ الفتى ما بلغ إلا بصدقته يوماً في الدهر. فقلت: سألتك بالله إلا أخبرتني بصدقته يوماً في الدهر فقال لي: يا شبلي إنَّ هذا الفتى كان في أوّل عمره عاصياً مذنباً فاسقاً زانياً، فعرض الله عليه رؤيا أفزعته وأقلقته، وهي أنه رأى في المنام إحْليله قد رجع ثعباناً ودار بفيه، ثم إنه أطلق من فيه لهيبَ النار، فأحرقه حتى عاد كالفحمة السوداء، فقام فزعاً مرعوباً وخرج فارَّاً بنفسه مشتغلاً بعبادةِ ربّه. وله اليوم منذ رجع إلى طاعةِ ربِّه اثنتا عشرة سنة، وهو على حالة التضرُّع والبكاء والخشوع والخوف، فلما كان بالأمس وقف له سائلٌ سأله قوتَ يومه، فخلع ثيابه وسلَّمها إليه. ففرح السائلُ بذلك، وبسط كفَّيه، ودعا له بالمغفرة، فأجابَ الله

---

* سورة آل عمران، آية 74.

دعاءه فيه ببركة الصدقة التي فرحه بها كما جاء في الحديث: «اغْتَنِمُوا دَعْوَةَ السَّائِلِ عِنْدَ فَرْحَةِ قَلْبِهِ بِالصَدَقَةِ».

*

يُروى أنه شوهد، وكان يجري وفي يده جمرة من نار.

فقيل له: إلى أين؟

قال: أجري حتى أشعل النار في الكعبة؛ حتى ينشغل الخلق برب الكعبة.

*

أمسك بقطعة خشب يوماً، كانت مشتعلة الطرفين.

فقيل له: ماذا ستفعل؟

قال: إني ذاهب لأحرق الجحيم بطرف، وإحراق الجنة بالطرف الآخر؛ حتى يرتوي الخلق برواء الحق.

*

يروى أن قدمه تعثرت في حجر ذات مرة، وكل قطرة دم كانت تسيل منها، كانت تكتب الله.

*

العجز تكيتي.

*

الحاجة رفيقي.

*

ليتني كنت تنوراً مشتعلاً؛ حتى لا أُعرف.

*

يناديني الجحيم يوم القيامة قائلاً: يا شبلي! وأذهب أنا إلى الصراط، وأنهض، وأطير كالطير.

فيقول الجحيم: أين قوتك؟ يلزمني نصيب منك، فأعود، وأقول: ها أنا خذ ما تريد.

فيقول: أريد يديك.

أقول: خذهما.

يقول: أريد رجليك.

أقول: خذهما.

يقول: أريد حدقتيك.

أقول: خذهما.

يقول: أريد قلبك.

أقول: خذه.

وفي أثناء ذلك تتجلى غيرة العزة قائلة: (...) جد بما تملك. أما القلب فهو ملك لنا، فأي شأن لك بالقلب حتى تمنحه.

ولذا قال: إن قلبي أفضل من ألف دنيا وآخرة؛ لأن الدنيا قصر المحنة، والآخرة قصر النعمة، والقلب قصر المعرفة.

*

جاءني إبليس، وقال: احذر، ولا تغتر بصفاء أوقاتك، فغوامض الآفات مستترة فيها.

*

دخل الشبلي على الجنيد يوماً، وقد غلبه السكر. وكانت امرأة الجنيد تمشط شعرها، فلما رأت الشبلي، أرادت أن تنصرف.

فقال لها الجنيد: لا تغطي رأسك، ولا تنصرفي؛ فإن سكارى هذه الطائفة لا خبر لهم عن الجحيم.

فكان الشبلي يتكلم، ويبكي.

ثم قال الجنيد لامرأته: انهضي الآن وانصرفي، فقد أفاق الشبلي من غيبته، وأخذ يبكي.

*

يُروى أن الشبلي رأى رجلاً كان يبكي ذات يوم، فقال له: لماذا تبكي؟ قال: إنه كان له حبيب، ومات.

فقال له: أيها الجاهل! لماذا تتخذ حبيباً يموت؟!

*

يروى أن الشبلي كان قد اختفى، ولم يتم العثور عليه. وفي النهاية عُثر عليه في دار المخنثين.

فقال له: ليس هذا مكانك!

فقال: بل هو مكاني؛ فهم ليسوا برجال أو نساء في الدنيا، وأنا أيضاً لست برجل أو امرأة في الدين. فهذا المكان مكاني.

*

يُروى أن الشبلي رأى جارية جميلة. فقال لسيدها: أتبيع هذه الجارية بدرهمين؟

فقال له: أيها الأبله! من في الدنيا يبيع جارية بدرهمين؟

فقال الشبلي: أنت الأبله، فالحورية تباع بثمرتين في الجنة.

*

- أي شيء أعجب؟
- قلب عرف ربه ثم عصاه.

*

- متى يكون الرجل مريداً؟
- إذا استوت حاله في السفر والحضر، والمشهد والمغيب.

*

قال عبد الله الزاهد: دخلت على الشبلي في وقت ما، وقلت: أسأله عن المعرفة.

ولما جلست. قال: ما أخبار الله في خراسان؟ ومن يعرفه فيها؟

فقلت: سألت في العراق خمسين سنة، ولم أجد أحداً يعرف الله.

قال: وكيف حال أبي علي الثقفي؟

قلت: مات.

قال: لقد كان فقيهاً، ولكنه لم يكن يعرف التوحيد.

*

– الدنيا للأشغال، والآخرة للأهوال، فمتى ستكون الراحة؟

– دعك من أشغال هذه؛ حتى تنجو من أهوال تلك.

*

– أخبرنا عن توحيد مجرد، بلسان حق مفرد.

– ويحك!! من أجاب عن التوحيد بالعبارة فهو ملحد، ومن أشار إليه فهو ثنوي، ومن سكت عنه فهو جاهل، ومن توهم أنه واصل؛ فليس له حاصل، ومن رأى أنه قريب، فهو بعيد، ومن تواجد فهو فاقد.

*

التصوف صيانة القلب عن رؤية الغير، ولا غير.

*

الفناء ناسوتي، والظهور لاهوتي.

*

التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك.

*

لا يكون المرء صوفياً، ما لم ير جميع الخلق عياله.

*

الحب دهشة في لذة، وحيرة في نعمة،
والمحبة حسد المحبوب؛ لأنه يحبه مثلك.

*

الهيبة مذيبة للقلوب،
والمحبة مذيبة للأرواح،
والشوق مذيب للنفوس.

*

ما شم روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد.

*

التوحيد حجاب الموحد عن جمال الأحدية.

*

- أتدري لم لا يصح توحيدك؟
- لا!
- لأنك تطلبه بك.

*

لما أراد الحق تعالى أن يعذب البلاء، ألقى به في قلب العارف.
فسئل: من العارف؟ فقال: من ضعف عن حمل بقة.

*

سئل السؤال ذاته مرة أخرى، فقال: العارف من حمل السموات السبع والأرضين على شعرة من أهدابه.
فقيل له: أيها الشيخ! قبلت غير ذلك في وقت آخر، والآن تقول هذا.
قال: كنت أنا في ذلك الوقت والآن أنا هو.

*

ليس لعارف علاقة، ولا لمحب شكوى، ولا لعبد دعوى، ولا لخائف قرار، ولا لأحد من الله فرار.

*

- ما المعرفة؟
- أولها الله تعالى، وآخرها ما لا نهاية له.

*

لم يعرف الله أحد قط.
قالوا: كيف هذا؟
قال: إن عرفوه لما انشغلوا بغيره.

*

العارف لا يكون لغيره لاحظاً، ولا بكلام غيره لافظاً، ولا يرى لنفسه غير الله تعالى حافظاً.

*

العارف من ملك من الدنيا إزاراً، ومن الآخرة رداءً، وتجرّد من الكونين. لأن من تجرّد من الأكوان، انفرد بالحق.

*

وقت العارف مثل الربيع، يزأر فيه الرعد، ويمطر المطر، ويلمع البرق، وتهب الريح، وتتفتح البراعم، وتغرد الطيور.
وحال العارف على هذا النحو: يبكي بعينيه، ويبتسم بشفتيه، ويحترق بقلبه، ويضحي بنفسه، ويذكر الحبيب، ويطوف حول بابه.

*

الدعوات ثلاث: دعوة العلم، ودعوة المعرفة، ودعوة المعاينة. ودعوة العلم واحدة وهي: ألا تتعلم العلم بذاتك.

*

العبارة لغة العلم، والإشارة لغة المعرفة.

*

الشريعة أن تعبده، والطريقة أن تطلبه، والحقيقة أن تراه.

*

أفضلُ ذكرٍ نسيانُ الذاكر في مشاهدةِ المذكور.

*

الجلوس مع الله بلا واسطة أمر صعب.

*

الصابر من أهل الحضرة، والراضي من أهل الصدارة، والمفوض من أهل البيت.

*

هذا الحديث طائر في قفص، يتجه إلى كل ناحية، ولا يستطيع الخروج.

*

الزهد غفلة؛ لأن الدنيا لا شيء؛ والزهد في لاشيء غفلة.

*

الزهد أن تنسى الدنيا ولا تذكر الآخرة.

*

- ما الزهد؟

- لا شيء. لأن ما كان لك سيصلك بالضرورة، وإن فررت منه، وما لم يكن لك، لن يصلك قط، وإن ألححت في طلبه. ومن ثم ففي أي شيء تزهد: في ما كان لك أم في ما لم يكن لك؟!

*

- ما الزهد؟

- تحويل القلب من الأشياء إلى رب الأشياء.

*

- ما الأنس؟
- وحشتك منك ومن نفسك.

*

ليس من أنس بالذكر، كمن أنس بالمذكور.

*

- هل يتحقق العارف بما يبدو له؟
- كيف يتحقق بما لا يثبت؟ وكيف يطمئن إلى ما لا يظهر؟ وكيف يأنس بما يخفى؟ فهو الظاهر الباطن، الباطن الظاهر.

*

الأنس بالخلق إفلاس، وتحريك اللسان دون ذكر الله وسواس.

*

الفتوة أن تريد للخلق ما تريد لنفسك، بل أفضل مما تريد لنفسك.

*

الخدمة حرية القلب.

*

الحياء أسمى منازل الرجاء.

*

الخوف في الوصل أشد من الخوف في المكر.

*

لم يغلبني الخوف في يوم قط إلا وفتح لقلبي باباً من الحكمة والعبرة.

*

الشكر: رؤية المنعم، لا رؤية النعمة.

*

إن نفساً تصعد موافقة للمولى، أفضل وأطيب من عبادة العباد جميعهم، منذ عهد آدم وحتى القيامة.

*

ليس من احتجب بالخلق عن الحق، كمن احتجب بالحق عن الخلق.

*

– متى تستريح؟

– إذا لم أر له ذاكراً سواه. أي أكون أنا الجميع.

*

أتمنى منذ زمن أن أتنفس تنفساً مستتراً عن قلبي، ولا يعلم به قلبي، فلا أستطيع.

*

ليس يخطر الكون ببالي. وكيف يخطر الكون ببال من عرف المكوِّن؟

*

يروى أن رجلاً كان يقول يوماً: يا رب!

فقال له الشبلي: لمن تقول يا رب؟ وهو يقول: عبدي، فاستمع لما يقول.

قال: إنني أسمع ما أقوله.

فقال له: تكلم إذن، فإنك معذور.

*

كان يقول في مناجاته: يا إلهي! إذا صيرت السماء طوقاً لي، والأرض قيداً لرجلي، وجعلت العالم كله متعطشاً لدمي، فإنني لا أتحول عنك.

*

بعد ذلك رُؤي في المنام، فقيل له: ماذا فعلت مع منكر ونكير؟

فقال: دخلا علي، وقالا لي: من ربك؟

قلت: ربي هو من جعلكما والملائكة جميعاً تسجدون لأبي آدم، وقد كنت في ظهر أبي، وكنت أشاهدكم. فقال منكر ونكير لبعضهما: إنه لم يجب عن نفسه قط، بل أجاب عن أبناء آدم جميعهم، فتعال، لنمضي.

*

يُروى عن أبي الحسن الحصري أنه قال: رأيت الشبلي في المنام، فقلت له: ماذا حدث لك؟

فقال: جيئ بي، وقيل لي: أتريد شيئاً؟ فقلت: يا إلهي العظيم! إن أسكنتني في جنة عدن فهو عدلك، وإن جعلتني من أهل الوصال، فهو فضلك.

*

رُؤي في المنام مرة أخرى، فسُئل: كيف وجدت سوق الآخرة؟

فقال: سوق لا رواج فيه، وليس فيه سوى أكباد محترقة، وقلوب محطمة، ولا شيء آخر.

*

أبو محمد المرتعش*

من شاهد الحقَّ في سرِّه سقط الكونُ من قلبه.

*

ذهبتْ حقائقُ الأشياء، وبقيت أسماؤها؛

فالأسماء موجودة، والحقائق مفقودة. والدَّعَاوَى في السرائر مكنونةٌ، والألسنةُ بها فصيحة؛

والأمور عن حُقوقها مصروفةٌ. وعن قريب، تُفقَدُ هذه الألسنة، وهذه الدَّعاوَى؛

فلا يوجد لسان ناطق، ولا مدَّعٍ مُطْنِب.

*

– ما التصوّف؟

– الإشكالُ، والتلبيسُ، والكتمانُ.

*

السكونُ إلى الأسباب يقطع القلوبَ عن الاعتماد على المُسبِّب.

*

---

* أصله من محلة الحيرة، توفي سنة 328 هـ.

أبو علي الروذباري*

- ما الإشارة ؟

- الإشارةُ الإبانةُ عما يتضمنهُ الوجدُ من المشار إليه، لا غير. وفى الحقيقة، إنّ الإشارة تَصْحُبها العِلَل، والعِلَل بعيدةٌ من الحقائق.

*

المشاهدات للقلوب؛ والمكاشفات للأسرار؛ والمعاينات للبصائر؛ والمراعاة للأبصار.

*

كيف تشهده الأشياء؛ وبه فنيتْ بذواتها عن ذواتها؟
أم كيف غابت الأشياء عنه، وبه ظهرتْ بصفاتها؟

*

آنسك الله في كمال الأحوال وتمامها، وبلوغ الغايات ونظامها،
وآنس بك قلوب أهل مصافاتك وموالاتك، في دوام فضلك ومعافاتك،
وجعل لك ما اتّضح لك موصولاً بك في حياتك، وبعد وفاتك،
ومنَّ علينا بما يقصر عنه بلوغ الآمال ونهاية الأحوال،
وزادك من فضله الذي عوّدك من برّه وألطافه وإحسانه، والله يمنّ علينا في ذلك بما نرجوه.

*

* أصله من بغداد، سكن مصر ومات بها في آخر الربع الأول من القرن الرابع الهجري.

الخوف، والرجاء، هما كجناحي الطائر، إذا استويا استوى الطير وتمَّ طيرانه،

وإذا نقض أحدهما وقع فيه النقص. وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت.

*

التصوفُ: الإناخةُ على باب الحبيب وإن طُرِد عنه.

*

أدنى التنفس الذي يكون بالفقر والاضطرار ولا نهاية لأعلاه.

*

والاهم قبل أفعالهم، وعاداهم قبل أفعالهم، ثم جازاهم بأفعالهم.

*

سبحان من لا يَشْهده شيءٌ ولا يَغيب عنه شيء.

*

عبد الله بن محمد بن منازل*

أفضل أوقاتك وقت تَسلم فيه من هواجس نفسك، ووقت تسلم فيه من سوء ظنِّك.

*

أحكام الغيب لا تُشاهدُ في الدُّنيا، ولكنْ تُشَاهد فضائح الدَّعْوَى.

*

إذا لم تنتفع بكلامك، فكيف ينتفع به غيرك.

*

عبِّر بلسانك عن حالك، ولا تكنْ بكلامك حاكياً لأحوال غيرك.

*

من ألزم نفسه شيئاً لا يحتاج إليه، ضيع من أحواله مثله، مما يحتاج إليه، ولا بد له منه.

*

لقد عشقتم من عشقكم.**

*

من مُنح المحبة والفقر، ولم يُمنح الخشية؛ فهو مخدوع.

*

---

* من مشائخ نيسابور، توفي سنة 329 هـ

** من كلامٍ له قاله لأصحابه.

نحن في حاجة إلى الأدب أكثر من كثرة العلم.

*

من عظم قدره عند الناس، يجب أن يحتقر نفسه عنده.

*

من احتجت إلى شيء من علومه؛ فلا تنظر إلى عيوبه، فإن نظرك يحرمك بركة الانتفاع بعلمه.

*

كل فقر لا يكون عن ضرورة، لا تكون فيه فضيلة.

*

حقيقة الفقر الانقطاع عن الدنيا والآخرة، والاستغناء برب الدنيا والآخرة.

*

من انشغل بما مضى من الوقت، ضاع وقته هباء.

*

كيف ينظر الإنسان إلى أمامه ووارئه، وهو غائب عن مقامه ووقته؟!

*

أنت تظهر دعوى العبودية، وتضمر أوصاف الربوبية.

*

العبودية اضطرار، لا اختيار فيه.

*

من لم يتذوق طعم العبودية؛ لا عيش له.

*

العبودية الرجوع في كل شيء إلى الله تعالى على حدِّ الاضطرار.

*

العبد عبد ما لم يطلب لنفسه خادماً؛ فإذا طلب لنفسه خادماً؛ فقد سقط عن حد العبودية، وترك آدابها.

*

لا خير فيمن لم يذق ذلَّ المكاسب، وذلَّ السؤال، وذلَّ الرد.

*

من رفع ظلَّ نفسه من نفسه، عاش الناس في ظلِّه.

*

العارف من لا يعجب من شيء قط.

*

يُروى أن رجلاً دعا الله له أن يعطيه ما يرجوه. فقال: الرجاء بعد المعرفة، فأين المعرفة؟

*

أبو بكر الكتاني*

مِن حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة.

*

المواردُ ترِد، فتصادف شَكْلاً أو موافقةً؛ فأيُّ وارِدٍ صادفَ شَكْلاً مازَجَه، وأيُّ واردٍ صادفَ مُوافِقاً ساكَنَه.

*

الغافلون يعيشون في حلم اللّه،
والذاكرون يعيشون في رحمة الله،
والعارفون يعيشون في لطف اللّه،
والصادقون يعيشون في قرب اللّه.

*

حقائق الحق إذا تجلَّت لسِرٍّ أزالتْ عنه الظنونَ والأمانِي؛ لأن الحقَّ إذا استولى على سرٍّ قَهَرَه، ولا يبقى للغير معه أثر.

*

كنت في البادية، فرأيت فقيراً ميتاً، كان يبتسم. فقلت: تبتسم وأنت ميت؟! قال: هكذا تكون محبة الله.

*

* أصله من بغداد، مات سنة 322 هـ.

قال أبو الحسن المزين: نزلت البادية دون زاد أو راحلة، ولما وصلت إلى حافة عين، جلست، وقلت في نفسي: لقد قطعت البادية دون زاد أو راحلة. فرأيت رجلاً، نادى عليّ قائلاً: يا حجام لا تحدث نفسك بالأباطيل. فنظرت، فرأيت الكتّاني، فتبت، وأنبت.

*

صحبني رجل، وكان على قلبي ثقيلاً؛ فوهبت له شيئاً؛ ليزول ما في قلبي، فلم يزل.

فحملته إلى بيتي، وقلت له: ضع رجلك على خدي. فأبى، فقلت: لابد. ففعل. واعتقدت ألا يرفع رجله من فوق خدي، حتى يرفع الله من قلبي ما كنت أجده، ويتبدل محبة.

وكان الله قد منّ عليّ بمائتي درهم حلالاً، فحملتها إليه، ووضعتها على طرف سجادته، وقلت له: اصرفها في بعض أمورك.

فنظر إليّ شزراً، وقال: اشتريت هذا الوقت مع الله تعالى على الفراغ بسبعين ألف دينار، وتريد أن تخدعني بهذه! وقام، ونفض السجادة، فما رأيت كعزّه حين مرَّ، ولا كذلّي حين التقطتها.

*

يُروى أنَّ مريداً كان في حال النزع، ففتح عينه، ونظر إلى الكعبة. فجاءت ناقة، وركلته، وأخرجت عينه.

فنودي الشيخ في سريرته في الحال: إن الإرادة الغيبية والمكاشفات الحقيقية تتجلى له في هذا الحال؛ فنظر إلى الكعبة، فأُدِّب؛ لأنه لا يجوز النظر إلى البيت في حضور رب البيت.

*

يُروى أن شيخاً نورانياً أطاح بالرداء، ودخل في عظمة من باب بني شيبة، وذهب إلى الكتاني، وكان قد خفض رأسه. وسلم عليه، وقال: أيها الشيخ! لماذا لا تذهب إلى مقام إبراهيم؟ فقد جاء شيخ كبير، وهو يروي أخباراً عظيمة. فلتذهب، وتستمع.

فرفع الكتاني رأسه، وقال: أيها الشيخ، عن من يروي هذا الرجل؟

قال: عن عبد الله بن عمر، عن الزهري، عن أبي هريرة، عن الرسول. قال: أيها الشيخ، ذكرت أسانيد طويلة. كل ما يذكروه هناك بالأسانيد. نسمعه نحن هنا دون أسانيد.

قال الشيخ: مِن مَن تسمعه؟ قال «حدثني قلبي عن ربي جلَّ جلاله». قال الشيخ: وما دليلك على هذا الكلام؟

قال: الدليل أن قلبي يخبرني أنك الخضر عليه السلام.

فقال: كنت أظن أنه ليس هناك ولي من أولياء الله لا أعرفه، حتى رأيت أبا بكر الكتاني، فلم أعرفه وعرفني هو؛ فعلمت أن لله أولياء يعرفوني، ولا أعرفهم.

*

جاءني فقير، وكان يبكي، ويقول: إنني جائع منذ عشرة أيام، وشكوت الجوع لبعض الأصحاب. ثم ذهبت إلى السوق، فوجدت درهماً في الطريق، مكتوباً عليه: يعلم الله جوعك الذي تشكو منه.

*

- أوصني.
- كن مع الله اليوم، كما سيكون معك غداً.

*

الأنس بالمخلوق عقوبة، وقرب أهل الدنيا معصية، والميل إليهم مذلة.

*

– ما حقيقة الزهد؟

– فقد الشيء والسرور، من القلب، بفقده، وملازمة الجهد إلى الموت، واحتمال الذلّ صبراً، والرضا به حتى تموت.

*

الفراسة مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب، وهي من مقامات الإيمان.

*

التصوف صفوة ومشاهدة.

*

طاعة الصوفي جناية، بالنسبة له، يجب الاستغفار عليها.

*

الاستغفار توبة، والتوبة اسم جامع لستة أشياء: الندم على ما مضى، والعزم على عدم الرجوع إلى الذنب، وأداء الفرائض بين العبد وربه، ورد المظالم للخلق، وترك كل لحم وجلد وشحم ينبت من الحرام، وأن يذيق الجسد ألم الطاعة كما يذيقه حلاوة المعصية.

*

أول الوجد حلو، وأوسطه مُرّ، وآخره سقم.

*

التوكل في الأصل إتباع العلم، وفي الحقيقة كمال اليقين.

*

العلم بالله أتمُّ من العبادة له.

*

الطعام المشتهى لقمة من ذكر الله في فم اليقين، تؤخذ من مائدة الرضا، في حال التوحيد، مع حسن الظن بكرامة الحق.

*

إذا صحَّ الافتقار إلى الله، صحَّ الغنى به؛ لأنهما حالان لا يتم أحدهما إلا بصاحبه.

*

قُسمت الدنيا على البلوى، وقُسِّمت الآخرة على التقوى.

*

من حكم المريد أن يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة.

*

الشهوة زمام الشيطان؛ فمن أخذ بزمامه كان عبده.

*

كن في الدنيا ببدنك، وفي الآخرة بقلبك.

*

إذا سألت الله تعالى التوفيق، فابدأ بالعمل.

*

وجدنا دين الله مبنياً على ثلاثة أركان: الحق، والعدل، والصدق.

*

لما نزلت البادية، كان معي حبل ودلو. فشعرتُ بالعطش، ورأيت بئراً، وكان ظبي يشرب منه.

فلما دنوت من البئر، إذا الماء في أسفله. فقلت: يا إلهي، أَقَدْرُ عبد الله أقل من قَدْر هذا الظبي!

فسمعت صوتاً يقول: ليس لهذا الظبي دلو ولا حبل، وتوكل علينا. فطاب وقتي، وأطحت بالدلو والحبل، ومضيت. فسمعت صوتاً يقول: يا عبد الله، جربناك فما صبرت! ارجع، واشربْ الماء.

فرجعت، فإذا البئر ملأى ماء. فتوضأت، وشربت، ومضيت. ولم تكن لي حاجة قط إلى الماء حتى وصلت إلى المدينة. ولما عدت، ووصلت إلى بغداد، ذهبت إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة. فلما وقع بصر الجنيد عليّ قال: لو صبرت، لنبع الماء من تحت رجلك.

*

كنتُ في بلاد الروم في إحدى السنوات، وذهبتُ إلى الصحراء يوماً، فأحضروا راهباً، وحرقوه، وكحّلوا عيون العُميان برماده؛ فأبصروا بقدرة الله.

وكان المرضى يتناولونه؛ فيشفون. فاندهشت؛ لأنهم على باطل، فكيف يكون هذا حالهم؟!

وفي تلك الليلة رأيت المصطفى في المنام، فقلت: يا رسول الله، ماذا تفعل هنا؟

قال: لقد جئت من أجلك.

قلت: وما هذا الحال يا رسول الله؟

فقال: إنه أثر الصدق والرياضة في الباطل. فما بالك إذا كان في الحق!

*

أبو يعقوب النهرجوري*

الدنيا بحر، والآخرة ساحل، والمركب التقوى، والناس سفرٌ.

*

الصدقُ مُوافقةُ الحقِّ في السر والعلانية.
وحقيقة الصدق القول بالحقّ في مواطن التهلكة.

*

مفاوز الدنيا تُقطع بالأقدام،
ومفاوز الآخرة تُقطع بالقلوب.

*

الذي حصَّل أهل الحقائق في حقائقهم: أن اللّه غير مفقود فيطلب؛ ولا ذو غاية فيدرك.

ومن أراد موجوداً فهو بالموجود مغرور، وإنما الموجود عندنا معرفة حال، وكشف علم بلا حال.

*

مشاهدةُ الأرواح تحقيق، ومُشاهدة القلوب تعريف.

*

الجمع عين الحق الذي قامت به الأشياءُ،
والتفرقة صفوة الحقِّ من الباطل.

*

* من كبار مشائخ الصوفية، مات سنة 330 هـ.

من كان شبعه بالطعام، لم يزل جائعاً، ومن كان غناه بالمال، لم يزل مفتقراً. ومن قصد بحاجته الخلق، لم يزل محروماً. ومن استعان في أمره بغير الله، لم يزل مخذولاً.

*

لا زوال للنعمة إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت.

*

إن بلغ عبد الكمال، استوى لديه البلاء والنعيم، والرجاء والمصيبة، بحقيقة اليقين.

*

أصل السياسة قلة الأكل، وقلة النوم، وقلة الكلام، وترك الشهوات.

*

من لا يستعين بعلم الرضا في العبودية، وتصحبه العبودية في فنائه وبقائه، فهو مدع وكذاب.

*

السعادة في ثلاث خصال: في طاعة الله، والقرب من الله، والبعد عن الخلق، وذكر الله ونسيان الخلق.

*

علامات السرور بالله ثلاث: أن يداوم المرء على الطاعة، ويعتزل الدنيا وأهلها، وينبغي عليه أن ينسى الخلق، ولا يذكر مع الله تعالى شيئاً سوى الله.

*

لا يدرك العارف الحق إلا بالانقطاع عن ثلاثة أشياء: العلم، والعمل، والخلوة. أي الانقطاع عنهم بهم.

*

- هل يتأسف العارف على شيء غير الله عز وجل؟
- وهل يرى غيره فيتأسف عليه؟
- فبأي عين ينظر إلى الأشياء؟
- بعين الفناء والزوال.

*

الجمع ما علمه لآدم من الأسماء. والتفرقة ما تفرق من ذلك العلم، وانتشر.

*

أرزاق المتوكلين على الله تعالى تصلهم بعلم الله، دون تعب منهم أو مشقة، وغيرهم ينشغل بطلبه دائماً، ويكدح.

*

المتوكل الحقيقي من تحمل أذى الخلق، لا يشكو لأحد مما يصيبه، ولا يذم أحداً يمنعه؛ لأنه لا يرى المنع والعطاء إلا من الله تعالى.

*

التوكل على كمال الحقيقة: وما وقع لإبراهيم الخليل عليه السلام، في الوقت الذي قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ قال: أما إليك فلا؛ لأنه غابت نفسه بالله تعالى، فلم ير مع الله غير الله عز وجل.

*

لأهل التوكل، في حقائق التوكل، أوقات في الغلبات، إن مشوا على النار في تلك الأوقات، لما شعروا بها. وإن ألقوا بهم في النار في تلك الحال، لما أصابهم ضرر، وإن ضربوا بالسهام، وجرحوا، لما تألموا، بينما إن وخزتهم بعوضة في وقت آخر، خافوا، وتثاقلوا.

*

- ما الطريق إلى الله تعالى؟

- اجتناب الجهلاء، وصحبة العلماء، واستعمال العلم، والمداومة على الذكر.

*

أبو علي بن الكاتب*

إذا سكن الخوفُ في القلب، لم ينطق اللسان إلا بما يعنيه.

*

روائح نسيم المحبة تفوح من المحبّين، وإن كتموها؛

وتظهرُ عليهم دلائلها، وإن أخفوها، وتدلُّ عليهم وإن ستروها.

*

الهمّة مُقدَّمة الأشياء.

*

---

* من كبار المشائخ، مات سنة 340 هـ.

أبو بكر بن طاهر الأبهري*

الجمعُ جَمْعُ المتفرِّقات، والتفرقةُ تفرقةُ المجموعات. فإذا جمعتَ، قلت: اللّهُ، ولا سواه.

وإذا فرَّقتَ، نظرتَ إلى الكَوْن.

*

من خاف على نفسه شقَّ عليه ركوبُ الأهوال.

ومن شقَّ عليه ركوبُ الأهوال، لا يرتقي إلى سمو المعالي في الأحوال.

*

* توفي سنة 330 هـ.

مظفر القرمسيني*

ليس لك من عمرك إلا نَفْس واحدة؛ فإن لم تُفْنها في ما لك، فلا تُفْنها في ما عليك.

*

صوم الروحِ بقصر الأمل،
وصومُ العقل بخلاف الهوى، وصوم النفس بالإمساك عن الطعام والمحارِم.

*

الجوع، إذا ساعدته القناعة، مزرعة الفكرة وينبوع الحكمة، وحياة الفطنة، ومصباح القلب.

*

* لا تُعرف سنة ولادته ولا موته.

أبو الحسين بن هند الفارسي*

القلوب أوعيةٌ وظروف. وكُلٌّ وعاء وظرف يصلح لنوعٍ من المحمولات: قلوب الأولياء أوعية المعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس. ولكل من الأحوال آداب، من لم يستعملها في أوقاتها هلك، من حيث يرجو النجاة.

*

* لا تُعرف سنة موته ولا ولادته.

يوسف بن أسباط*

لا يمحو الشهوات من القلب إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق.

*

علامات المراقبة: اختيار العبد ما اختاره الله، وحسن النية بالله تعالى، والاعتراف بالتقصير تجاهه، وسكون القلب إلى الله تعالى، وانقطاعه عن الخلق جميعهم.

*

علامات الصدق صدق القلب مع اللسان، واقتران القول بالفعل، وترك طلب المحمدة في هذه الدنيا، والتخلي عن الرئاسة، وإيثار الآخرة على الدنيا، وقهر النفس.

*

للتوكل عشر علامات: الثقة بما وعد به الحقُّ تعالى، والوقوف على ما يصلك من رفيعٍ ووضيعٍ، والتسليم بما يكون، وتعلّق القلب بين الكاف والنون، وقطع العلائق، واليأس من الخلائق، والدخول في الحقائق، وإدراك الدقائق.

*

---

* من زهّاد القرن الثاني الهجري. من قرية يُقال لها «شيح». مات سنة 199 هـ.

اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عمله، وتوكل توكل رجل لا يصيبه إلا ما كتب له.

*

علامة الأنس دوام الجلوس في الخلوة، وطول الوحشة من المخالطة، واللذة بالذكر، والراحة في المجاهدة، والاعتصام بحبل الطاعة.

*

علامة الحياء انقباض القلب، وعظمة رؤية الخالق، ووزن الكلام قبل التحدث، وترك ما يوجب الاعتذار، واجتناب الخوض في شيء تخجل منه، وحفظ اللسان، والعين، والأذن، والبطن، والفرج، وترك زينة الحياة الدنيا، وذكر القبر والموتى.

*

علامة الشوق محبة الموت في وقت الاستمتاع بالدنيا، وعداوة الحياة في وقت الصحة والرغبة، والأنس بذكر الحق، والاضطراب في وقت نشر آلاء الحق، والسرور في وقت التفكر خاصة حين يتعلق نظرك بالحق.

*

- ما الجمع والتفرقة؟
- الجمع جمع القلب في المعرفة، والتفرقة تفرقة في الأحوال.

*

إبراهيم بن شيبان القرمسيني*

أهل المشاهدة لا يغيبون عنه قياماً ولاقعوداً، ولا نائمين ولا منتبهين. ولهم أحوال، يشتمل عليهم أنوارُ قُرْبه، فيغرقون فيها.

ولا يتفرغون إلى الخلق، وما هم فيه. وتلك أحوال الدهشة، تراهم دَهِشين متحيرين، غائبين حاضرين؛

غائبين بأسرارهم، حاضرين بأبدانهم.

*

تعلّمْ العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فَقَلَّ من أعرض عنه فأقبل عليه.

*

التواضع من تصفية الباطن تُلْقَى بركاتُه على الظاهر، والتكبُّرُ من كُدورة الباطن تظهر ظُلَمُه على الظاهر.

*

* لا تُعرف سنة موته، ولا سنة ولادته.

أبو بكر بن يزدانيار*

- ما الفرقُ بين المُريد، والعارف؟**

- المريد طالب، والعارف مطلوب؛ والمطلوبُ مقتول، والطالب مرعوب.

*

الرُّوح مزرعةُ الخير، لأنها معدن الرحمة؛ والنفس والجسد مزرعة الشر، لأنها معدن الشهوة؛ والروح مطبوعة بإرادة الخير؛ والنفس مطبوعة بإرادة الشر؛ والهوى مدبر الجسد، والعقل مدبر الروح؛ والمعرفة حاضرة فيما بين العقل والهوى؛ والمعرفة في القلب؛ والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان؛ والهوى صاحب جيش النفس؛ والعقل صاحب جيش القلب؛ والتوفيق من اللّه مدد العقل؛ والخذلان مدد الهوى؛ والظفر لمن أراد اللّه سعادته؛ والخذلان لمن أراد الله شقاوته.

*

* من أهل أُرْمية، مدينة كبيرة بأذربيجان.

** سؤال موجّه لأبي بكر بن يزدانيار.

أبو إسحق إبراهيم بن المولد الرقّي*

من كانت بدايته نهايته، ونهايته بدايته في الاجتهاد يلزمه في البداية النهاية.

*

جُبِلتْ الأرواحُ من الأفراح؛ فهي تعلو أبدا إلى محل الفرح من المشاهدة. والأجسادُ خُلِقَتْ من الأكماد؛ فهي لا تزالُ ترجع إلى كَمْدِها، من طلب هذه الفانية، والاهتمام بها ولها.

*

نفسك سائرةٌ بك، وقلبُك طائر بك؛ فكن مع أسرعهما وصولاً.

*

حسبك من الدنيا شيئان: صُحبة فقير وحرمة وليّ.

*

أضعف الخلق من ضعف عن ردّ شهواته؛ وأقوى الخلق من قويَ على ردّها.

*

---

* أصله من الرقّة. مات سنة 326 هـ.

أبو سعيد بن الأعرابي*

(...) وهو** ترك المحظور كله، وترك الحلال والمباح قبل الحاجة والضرورة إليه.

قالوا: فإن أكل قبل أن يجوع، أو شرب قبل أن يعطش، أو رقد قبل أن ينعس، أو جامع قبل حلول الحاجة إليه، فقد مال إلى التلذذ، والتلذذ من الدنيا.

(...) واختلفوا فيه إذا تعالج من علة. فقال قائلون: إنما ذلك رغبة في الصحة، والحياة في الدنيا.

وقال آخرون: ذلك قدر نيته، إن نوى به حب البقاء والصحة وزوال الأمر، فهو من حب الدنيا. وإن كان فعل ذلك ليتقوى على أمر الله وطاعته، فذلك على قدر نيته.

وقالوا: لو أن رجلاً طلب الدنيا ليأكل، ويشرب، ويلبس ويتمتع فيها، وآخر تركها لراحة قلبه وجسمه، وتلذذ بالفراغ والراحة، كانا جميعاً غير زاهدين، حتى ينوي التارك لها بنية غير هذه: إما ليفرغ منها لأن لا تشغله عن الآخرة، وإما لأن الله عز وجل ذمها، وزهد فيها، فذلك على قدر نيته أيضاً.

وقالوا لو تركها وجانبها ولها في قلبه قدر وموضع، كان بذلك فاضلاً معاملاً مجاهداً، ولم يكن بالترك زاهداً.

---

* بصري الأصل، سكن مكة، مات سنة 340 هـ.

** يعني الزهد.

وإنما الزهد عندهم خروج قدرها، إذ هي لا شيء. قالوا: فذلك الزهد.

ومن الزهد أيضاً: الزهد في الرئاسة، والمحاسنة، والمحادثة، والمعاشرة.

وأول الزهد: الزهد في الحرام، ثم الزهد في المباح، وأعلى مراتب الزهد أن يزهد في الفضول، والفضول كل ما لك عنه غنى، فكأنك تزهد في كل شيء إلا في ما أمرك الله، أو في ما ندبك إليه مما يقربك إليه، أو ما لا بد منه، وكل ما كان سوى ذلك فهو من الفضول، وهو ترك مالا يعني.

وقال قوم: النساء كهذه الأشياء، وإن كان يحبها ويريدها، إذا تركها مجاهداً لنفسه، صابراً عنها، إنه زاهد.

وقال آخرون: لا يسمى زاهداً حتى يكون مع تركه لها غير مريد لها. وذلك خروج قدرها من القلب.

واختلفوا إذا خرج قدرها من القلب، ولم تحبها النفس فتتناول منها شيئاً على جهة المباح.

فقال قوم: قد تم زهده بخروج قدرها من قلبه، وإن تناول منها.

وقال آخرون: إذا خرج قدرها فتناول منها شيئاً، فهو ناقص، إلا أن يكون المتناول منها يعين على طاعة، أو ما لابد منه.

وقال آخرون: لا يكون خارجاً من الزهد من يتناول مباحاً، كما لا يكون زاهداً من تناول محظوراً.

وقال آخرون: كل ما يتناوله أو يدخل فيه، لابدَّ من أن يكون محرماً منهياً عنه، أو محللاً مأموراً به، أو مباحاً مسكوتاً عنه.

فأما الحرام فلا معنى للكلام فيه.

وأما الحلال والمباح، فلا يدخل فيه إلا بنيّة، ولا تخلو النية من أن تكون محصورة يُراد بها الطاعة، أو مذمومة تؤول إلى المعصية، أو مسكوتاً

عنها. فمن دخل الأشياء بلا نيّة لم يُقطع عليه اسم حمد ولا ذم. ومَنْ دخل فيها بنية رُدَّ إلى نيّته.

*

مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة.

*

العارفون بين ذائق، وشائق، ووامق.

فالمِقَة شاقتْهم، والشوقُ ذَوَّقهم.

فمن ذاق في شوق فرويَ، سكن وتمكّن؛

ومن ذاق فيه من غير ريٍّ، أورثه الانزعاج والهيمان.

*

أيُّما أفضلُ وأتمّ، الحركة في الوجد أم السكون فيه؟

وقد قال قوم: إن السكون والتمكن أفضلُ وأعلى من الحركة والانزعاج.

فالجواب في ذلك والله أعلم: إن الواردات من الأذكار، منها ما يوجب السكون، فالسكون فيها أفضل من الحركة،

ومنها ما يوجب الحركة، فالحركة فيها أتمّ. إذ حُكمها القهر لأهلها. فإذا لم يَقُمْ بهذا القهر كان الوارد ضعيفاً في وروده. ولو ورد بحقيقته لأوجب ضرورة الحركة والواردات من العلوم والأذكار الكائن عنها الوجد والاستهتار على القلوب فيشاهدها.

(...) فمن شرَّف أهلَ السكون إنما شرَّفهم بفضل عقولهم وشدَّة تمكنهم، ومن فضّل المتحرّكين فضّلهم بقوَّة الوارد من الذكر الذي ينخنس دون فهم العقل، فكان أفضل لفضل الوارد،

وإذا كان العقلان مستويَيْن، ليس أحدهما أفضل، فالساكن أتمُّ.

وهذا ما لا أحسبُهُ يكون: أن يستوي رجلان أو عقلانِ أو واردان، وقد أبَى ذلك أهل العلم.

وإذا بطل التساوي رَجَعْنا إلى ما قلنا في أوّل المسألة: أن لا معنى لتفضيل الساكن على المتحرِّك، ولا المتحرّك على الساكن؛ لاختلاف الحال الواردة التي توجب الحركة، والحال التي توجب السكون؛

لأن الواجدين لا يستوون في ما كوشفوا به ولا ما شاهدوه من حالة الذكر الموجبة إحدى الحالَيْن من الحركة والسكون.

وفي الواردات التي توجب السكون ما هو أعلى من الواردات التي توجب الحركة،

وفي الواردات التي توجب الحركة ما هو أفضل من الواردات التي توجب السكون،

فليس الفضل ها هنا بالحركة ولا بالسكون حتى تعلم الحال الواردة على المتحركين وعلى الساكنين. فإن كانت الحال توجب سكوناً فلم تُسكِّن صاحبها فهو ناقصٌ عن غيره، وإن كانت توجب حركةً فلم تُحَرِّكه دلَّ ذلك على نقص وارِدِهِ، والمشاهدات الواردات على قدر صفاء القلوب، وتخلّيها عن الحجُب المانعة لإدراك الواردات.

*

الوجد ما يكون عند ذِكْر مُزْعِجٍ، أو خوفٍ مُقْلِقٍ، أو توبيخ على زلّة، أو محادثة لطيفة، أو إشارة إلى فائدة، أو شوق إلى غائب، أو أسف على فائت، أو ندم على ماضٍ، أو استجلاب إلى حال، أو داعٍ إلى واجب، أو مناجاة بسرّ، وهي مقابلة الظاهر بالظاهر والباطن بالباطن والغيب بالغيب والسِرّ بالسرّ، واستخراج ما لك بما عليك مما سبق لك؛ لتسعى فيه فيُكْتَبَ

لك بعد كونه منك، فيثبت لك قَدَمٌ بلا قدم وذِكر بلا ذكر، إذ كان هو المبتدئ بالنِعَم والمتولّي لها، ومُلهم الشكر عليها، والمضيف إليك كسبها، فيثبت لك بها درجة عاجلة، وإليه يرجع الأمر كلّه، فهذا جُملةً ظاهرُ علم الوجود.

*

الوجد مباشرة رَوْح ومطالعة مزيد، لا يُصْبَرُ عن قليله ولا يُقْدَرُ على كثيره. التخييل منه متدارك، والاستحثاث منه إليه متواتر، فلذلك يقع اللهف وربما كان دونه التلف.

*

الوجد في الدنيا ليس بكشفٍ ولكن مشاهدة قلبٍ وتوهّم حق وظنّ يقين، فيشاهد من رَوْح اليقين وصفاء الذكر لأنّه منتبهٌ. فإذا أفاق من غَمْرته فَقَدَ ما وجد، وبقي عليه عِلْمُهُ، فتمتّع بذلك رُوحه ما زيد من اليقين بالمكاشفة، وهذا من العبد على حسب قُرْبه وبُعْده، وعلى ما يُشهده من ذلك خالقُهُ.

ومنهم من ثبت في وجده وشاهد من ذلك بتمكينه، فوصف بعضَ ما شاهده، فيكون ذلك حُجةً على غيرهم. ولولا ذلك ما خَبَّروا به توقِّياً عليه وصيانةً له وإشفاقاً أن يضعوه غير موضعه فيُسْلَبوه، وربما وقع بهم الوجد من المسموع قَبْلَ تدبره، ومن المنظور إليه قبل الفكر فيه، ولا يأمنون أن يكون ذلك من الطبع واستحسان النفس مع ما يجدون فيه من الرقة ويشهدون بعده من الزيادة فيلتبس عليهم تمييز الحق من الباطل، ولا يجب لمن يدعي معرفة خالقه أن يسكن إلى سواه أو يشغل خاطره بناقص أو يقع وهمه على زائل. وهذا وإن كان مشكلاً عليه لتشابهه، فإنه عند أهل النظر والتحصيل مميِّز بالتفضيل. إذ ليس ما تلقته القلوب بمشاهدتها كما توهّمته

بظنونها، ولا من كان متروكاً مُهمَلاً كمن كان محفوظاً، ولا ما استُجلب كونه كما فاض عن معدنه، ولا ما نتج عن الفكر كما رشح عن الذكر. وربما يختلط ذلك على أهل التمييز لعلةٍ وينكشف لهم بعد زوال العلة، لأن المتميِّز بالفكر ليس كالمستهترِ بالذكر ولا المتخير المختار كمن غلب عليه الوجد والاستهتار. وليس هذا صفة كل واجد لاختلاف أحوالهم، فمنهم من وجْده العلم، ومنهم من وجْدُه بالعلم، ومنهم من وجْده علمٌ.

فأما الوجد الذي يكون لأهل الثبات من السكون عن الحركة والمنَعة بالخلوة لأن الأنس أفناهم عن الوحشة والقُرْب عن رؤية المسافة، فربما بدا لهم بادٍ فيتغالون في وجودهم، وربما ردهم إلى صفاتهم بُقْيا عليهم لما افتُطروا عليه من الحاجة إلى الغذاء والنساء فيحشمهم ذلك فينزعجون من رؤيتهم ذلك انزعاجاً يظنونها لعلة وقد خافوه زماناً فيلحقهم عند ذلك الوله لطلب ما فقدوه فيحملهم على الاقتحام على كل ما توهّموه أنه يوصلهم، غلبت رؤيتهم التمييز، فبادروا مسرعين، كلما رأوا سراباً ظنّوه ماءً، وكلما رأوا ماء ظنوه سراباً لغلبة الطمع، فهم على وجوههم ذاهبون في كل وادٍ يهيمون ولكل بارق يتبعون. سبق سَيلهم مَطَرَهم وذِكرُهم فكرَهم، إلى كل سبب يُسْلمون، وعليه لا يعولون، والطمع يُطمح أبصارهم، واليأس يزجرهم، فلا يأسهم يدوم فينصرفوا ولا طمعهم يصح فيأتلفوا، أشْبَهَ شيء بالمجانين، قد سمحت أنفسُهم بتلف مُهجتهم عندما يطلبون، لو توهّموه في تيه سلكوه، أو وراء بحر سبحوه أو وراء نارٍ تأججُ اقتحموها كالفراش إذا رأى ضَوْءَ النار لا يقصر عن تقحّمها، أوَ ما رأيتهم مشرَّدين مهيمين بالمفاوز والمهالك والقفار، لا يأوون ولا يُؤوون؟ إلا أنهم في ذلك محفوظون من الزللِ بِصدقهم في قصدهم، فهم من العلم على سَنَن.

وأما من فارق العلوم الظاهرة فغير مأمون عليه الزلل، ومن سلك غير المحجة كان من السلامة على خَطَر.

وكلما ذكرنا من علوم الوجد ظاهراً وما لحقته العبارة أوْمَينا إليه بالإشارة أو بدليل قام عليه أو مثال قاربه، فأما ما كان غير ذلك فإنه علمه منه، وشاهده فيه، وحقيقته كونه، ووصفه ذوقه، لأن حجج الله على عباده باهرة، وأهله غير محتاجين إلى علمها، لقيام الشاهد فيها، وانتفاء كل وصف عنها، لأنها مما تولّى الله كونها، وانفرد بعلم كُنْهها، ومتَّع أهل الإيمان بها، لما كاشفهم فيها، فلم يبحثوا عما وراء ذلك لِغناهم بها عن غيرها، لأن ما أبدى لهم منه فهم له مشاهدون ظاهراً وفيه مقيمون باطناً، وهو الغيب الذي وصفه الله.

فإن سأل سائل عن الزيادة في وصف الوجد فهيهات دون ذلك! فكيف يُوصف من ليس له صفة غيره ولا يقام عليه شاهدٌ غيره؟ فهو شاهدُ نفسه، وحقيقته كونه، يعرفه من وجده، وينكره من لم يعرفه، ويُعجز الجميع، من عرفه ومن لم يعرفه، فهو بالذوق محسوس وصاحبه بالمراد مكاشف، وهو عزيز موجود منيع مفقود محتجب بأنواره عن نوره، وبصفاته عن إدراكه، وبأسمائه عن ذاته: أعني ذات الوجد واليقين والإيمان والحقائق وكذلك المحبة والشوق والقرب، كل ذلك يَدِقُّ وصفه ولا يُدْرِكُ كنْهَهُ إلا من ذاقه وتفضل عليه بإرثه به فيخيَّلون فيه ولا يصفونه ولا يدركونه، يلبسهم إلباساً ويُذهب عنهم الوحشة إيناساً، فكلما ازدادوا من صفته وصفاً كانوا من حقيقته أشد بُعْداً فخرسهم فيه أبلغُ من النطق، فلن يعرف أهله منه إلا ما عُرِّفوه، واعترافهم بالتقصير فيها نهاية العلم بها، فنطقهم عيٌّ، وعيُّهم بلاغة ولُكْنَتُهُمْ فصاحةٌ.

فالسائل عن طعمه وذوقه يسأل عن مُحال؛ لأن الطعم والذوق لا يُدرك بالوصف دون التطعم والتذوق.

والسائل عن كنهه فسؤاله دليلٌ على جهله به، ولا سبيل للعالم إلى جواب كل سائل، إذا كان بعضهم يسأل عما له وبعضهم يسأل عما عليه، فقد أخذ الله على العلماء أن لا يكتموا العلم أهله كما أخذ الله على العلماء أن يصونوه عن غير أهله، وقد قلنا إن أهله غير مرتابين فيسألوا، ولا شاكين فيتعرفوا.

ولما كانت هذه الأحوال ليس لها نهاية كان الكلام فيها ليس له نهاية، فقطعناه. فلو وصلناه لاتَّصل إلى ما لا نهاية له، لأنها ازديادات في المعارف وليست من كسب الآدميين بل هي داخلة في قوله عز وجل: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾*. فهذا بعض عطاياه المعمومة، لا نهاية لها، ولا يُبْلَغُ وصفُها فكيف باختصاصه أولياءه بما يُورد عليهم في كلِّ وقت وزمان وطرفة عين؟ وأقَلَّ من ذلك من الأحوال التي هي مذكورةٌ عندنا صارت للعلماء بفضله معلومةً لاَ يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ. وهذه وإن كانت ليست باكتساب الآدميين، وإنما هي خصوص وبعضها مواريث الأعمال، فالطالب من عند الله المزيد، قد أحكم الأصل الذي يوجب المزيد. فمن فرَّط فيه فليس بمأمون عليه أن يُسْلَبَ الأصل الذي معه، إذ لم يَرْعَهُ حق بَيِّنٌ، فإذا قويت الرغبة عن التوقّف فالهجوم ربما أوصل. فأمَّا من كان مطالباً بأصلٍ فخطأٌ تخطّيه إلى الفرع قَبْلَ إحكام الأصل، لا يؤمن عليه الزلل.

كما قال أبو يزيد رحمه الله: قال لي، أبو علي السِنْدي: كنتُ في حالٍ مِنّي بي لي، ثم صرتُ في حالٍ منه به له.

*

---

* سورة ق، آية: 50.

أبو بكر بن داود الدقي*

كمْ من مَسرورٍ سرورهُ بلاؤه، وكم مِنْ مغمومٍ غمُّه نجاته.

*

المعدة موضع لجميع الأطعمة. فإذا طرحت فيها الحلال صدرت الأعضاء بالأعمال الصالحة؛

وإذا طرحت فيها الشبهة اشتبه عليك الطريق إلى الله. وإذا طرحت فيها التبعات كان بينك وبين أمر الله حجاب.

*

من عرف ربه لم ينقطع رجاؤه،

ومن عرف نفسه لم يعجب بعمله، ومن عرف الله لجأ إليه، ومن نسيَ الله لجأ إلى المخلوقين،

والمؤمن لا يسهو حتى يغفل، فإذا تفكر حزن واستغفر.

*

كنت بالبادية، فوافيت قبيلة من قبائل العرب، فأضافني رجل منهم، فرأيت غلاما أسود، مقيّداً هناك، ورأيت جمالاً ماتت بفناء البيت.

فقال الغلام: أنت الليلة ضيف، وأنت على مولاي كريم، فتشفع لي! فإنّه لا يردك!

فقلت لصاحب البيت: لا آكل حتى تحل هذا العبد،

---

* أقام بالشام، مات بعد سنة 350 هـ.

فقال: هذا الغلام قد أفقرني، وأتلف مالي!

فقلت: ما فعل.

فقال: له صوت طيب، وكنت أعيش من ظهر هذه الجمال، فحملها أحمالاً ثقيلة، وحدا لها، حتى قطعت مسيرة ثلاثة أيام في يوم، فلما حط عنها ماتت كلها! ولكن قد وهبته لك.

وأمر بالغلام فحلّ عنه القيد. فلما أصبحنا أحببت أن أسمع صوته، فسألته عن ذلك، فأمر الغلام أن يحدو على جمل كان على بئر هناك، يسقى عليه، فحدا، فهام الجمل على وجهه، وقطع حباله. ولا أظن أني سمعت صوتا أطيب منه، ووقعت لوجهي حتى أشار عليه بالسكوت.

*

أبو عمرو إسماعيل بن نجيد*

من أظهر محاسِنَه لمن لا يملك ضَرَّه ولا نفْعه، فقد أظهر جَهلَه.

*

الهِمَمُ توصِّل النُّفوس إلى سَنِيِّ الرتب.

*

الأنسُ بغير اللّه تعالى وَحْشة.

*

الطمأنينة إلى الخَلْق عجز.

*

* جدّ عبد الرحمن السُّلمي لأمّه، مات سنة 366 هـ.

أبو الحسن على بن أحمد البوشنْجي*

الخيرُ منَّا زَلَّة، لأَنَّ الشرَّ لنا صِفَةٌ.

*

الناس على ثلاث منازل:

الأولياء، وهم الذين باطنهم أفضل من ظاهرهم.

والعلماء، وهم الذين سرهم وعلانيتهم سواء.

والجهال، وهم الذين علانيتهم بخلاف أسرارهم، لا ينصفون من أنفسهم ولا يطلبون الإنصاف من غيرهم.

*

- ما التصوف؟
- قصر الأمل، والمداومة على العمل.

*

- ما الفتوة؟
- حسن المراعاة، ودوام المراقبة، وألا ترى من نفسك ظاهراً يخالفه باطنك.

*

التوحيد أن تعلم أنه غير مُشبَّهٍ للذوات، ولا منفي الصفات.

*

* أصله من خراسان، توفي سنة 348 هـ.

الإخلاص هو الذي لا يستطيع الكرام الكاتبون كتابه، ولا يستطيع الشيطان إفساده، ولا يستطيع إنسان الإطلاع عليه.

*

أول الإيمان منوط بآخره.

*

– ما الإيمان، وما التوكُّل؟

– أن تتناول الخبز أمامك، وتمضغ اللقمة الصغيرة، وأنت مطمئن البال، وتعلم أن ما قدر لك لن يفوتك.

*

من ذل في نفسه، رفع الله قدره. ومن عز في نفسه أذله الحق تعالى في أعين عباده.

*

يروى أن رجلاً طلب منه الدعاء، فقال: أعاذك الله من فتنتك.

*

أبو عبد الله محمد بن خفيف*

القربُ طَيُّ المسافاتِ بلطيف المداناة.

*

اليقين تحقّق الأسرار بأحكام المُغيَّبات.

*

الواصل من اتصل بمحبوبه دون كلِّ شيء سواه، وغاب عن كلِّ شيء سواه.

*

سألت الله أن ألقاه، ولا يكون لي شيء، ولا لأحد عليّ شيء، ولا يكون على بدني من اللحم شيء!**

*

– كيف تجد العلة،***

– سلوا العلة عني!

*

يُروى أنه قال للخادم في منتصف الليل: ابحث لي عن امرأة أتزوجها. فقال الخادم: أين أذهب في منتصف الليل؟ ولكن، إن لي ابنة، إن أَذِنَ لي الشيخ، أحضرتها.

---

* مات سنة 371 هـ.

** قيل مات وهو كذلك.

*** من كلام قيل له عند وفاته.

فقال له: أحضرها.

فأحضر الخادم ابنته، فتزوجها الشيخ في الحال. فلما انقضت سبعة أشهر، وضعت طفلاً، ومات.

فقال الشيخ للخادم: خيّر ابنتك بين الطلاق أو البقاء.

قال الخادم: ما السر في هذا أيها الشيخ؟

قال: في الليلة التي تزوجتها، رأيت القيامة في المنام، وقد بقي خلق غفير غرقى في عرقهم. فجاء طفل، وأخذ بيد والديه، وعبر بهما الصراط كالريح. وأردت أنا، أن يكون لي طفل مثله. ولما ولد ذلك الطفل، ورحل، تحقق مرادي.

*

الرياضة كسر النفوس بالخدمة، ومنعها عن الفترة.

*

القناعة ترك التشوّف إلى المفقود، والاستغناء بالموجود.

*

علامة الزهد وجود الراحة في الخروج عن الملك.

*

الحزن حصر النفس عن النهوض في الطرب.

*

الرجاء الاستبشار بوصاله.

*

تعامل القرن الأول من الناس في ما بينهم بالدين، حتى رقَّ الدين.

ثم تعامل القرن الثاني بالوفاء، حتى ذهب الوفاء.

ثم تعامل القرن الثالث بالمروءة، حتى ذهبت المروءة.

ثم تعامل القرن الرابع بالحياء، حتى ذهب الحياء.

ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة والرهبة.

*

- ما أصل أمر القلب؟

- الأصل المقاربة. أي يرى الله، ويشاهد صنعه.

*

- ما التوكل؟

- معاينة الاضطرار.

*

الإخلاص ثمرة اليقين، والرياء ثمرة الشك.

*

كمال الشكر في مشاهدة العجز عن الشكر.

*

- ما العزلة؟

-الدخول بين الزحام.

*

أبو الحسن علي بن محمد الديلمي*

(...) والحب اسم لصفاء المودة، لأن العرب تقول لصفاء بياض الأسنان ونضارتها حبب الأسنان. والحباب شيء يعلو الماء عند المطر الشديد. والحباب أيضاً حبة بيضاء نقية. وقال بعضهم: الحب مأخوذ من قولهم حباباً لأن حباب الماء معظمه. والعرب تقول: حبابك أن تفعل ذلك، أي غايتك. ويفتح الحاء فكأنه قيل للحب حبّ لأنه غاية معظم ما في القلب من المهمات.

*

وقال بعضهم: الحب مأخوذ من القلق لأن العرب تسمّي القرط حِباً. فسمي القرط حباً إما للزومه الأذن، وإما لقلقه واضطرابه. وقال بعضهم: هو مأخوذ من الحِبة، وهي بروز نبات الصحراء، فسمي الحب حباً لأنه لباب الحياة، كما أن الحب لباب النبات والحبّ كالعَمر والعُمر والسَّدّ والسُّدّ بمعنى واحد.

*

وقال بعضهم هو مأخوذ من الحُب وهي الخابئة لأجل أنه يُمسك بما فيه ويستوي منه فلا يدخله شيء إلا أن يتفرغ عنه شيء بقدر ما دخل فيه. ولذلك يقال لا يجتمع حُبّان في قلبٍ واحد. وإذا استوفى مراد محبوبه قيل له محب.

---

* أبو علي بن محمد الديلمي تتلمذ على أبي عبدِ الله محمد بن خفيف، القرن الرابع الهجري، أصله من الديلم.

وقيل هو مأخوذ من حب الماء لتمكنه من الأرض ولزومه بها.

*

... سمعت أبا قاسم بن الطبيب بن علي التميمي يقول: قال ابن الأعرابي: العشَقة اللبلاب؛ كله عشق كان أخضر أم أصفر. وإنما سُمّي العاشق به لدقته وضعفه. وقال غيرهما: العشق نهاية الحب، كما أن الصبابة نهاية الشوق، والرأفة نهاية الرحمة.

*

وقال أبو عمرو الشيباني: العشق صخر ينحدر من الجبل فيرسب في الوادي، وبه سمي العاشق لرسوب الحب في قلبه وثقله عليه.

وقال النضر بن شميل: يقال للسيف العشق، وبه سمي العاشق، فكأن الحب يصنع به ما يصنع السيف.

*

وقال أبو القاسم الجنيد بن محمد: العشق مأخوذ من العشق وهو رأس الجبل وأقصاه؛ فعلى هذا يجب أن يقال عشق فلان إذا ازدادت المحبة وثارت وارتفعت حتى تبلغ أقصاها وتنتهي في معناها.

*

وقال شيخنا أبو عبد الله محمد بن خفيف إنه مأخوذ من قوله «يُحبهم»، فأفاض على الأسرار من حبه فاحتواها وألبسها لبسة من محبوبه، فشاع في وصفه فسمي ذلك حباً باسم الحق ووصفه.

*

فأما أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد الأعرابي، فإنه قال: إن لهذه القصة درجات ورتباً ومعاني وحدوداً. ولكل درجة منها اسم وعلى كل مقام

منه رسم. فأولها التعرّف والتأمّل والتولع والتشوف والتطلع والتعلق والتتبع والتألف والود والحب والغرام والصبابة والاستهتار والكلف والعشق والشجن والتتيم والتوله والتهالك.

... فالتعرف أول حس النفس بموضع الموافقة.

والتأمل سفارة الوطن بينه وبين المواصلة.

والتعجب ظفرها بموضع المطالبة.

والتولع تقلبها بغلبة المنازعة.

والتعلق إذعان القلب لها بصدق المشاركة.

والتشوف شدة توقعها أوان المتابعة.

والتطلع استطالتها لساعة المراحبة.

والتتبع كثرة سؤالها لأوقات المباسطة.

والتألف ركونها تحت جناح المساكنة.

والود سلامة السماحة من عوارض المناقصة.

والحب استحلاؤها عذوبة العاطفة.

والغرام إصاخة الكبد إلى داعي المجاهرة،

والصبابة حنين الروح إلى طلب المناسمة،

والاستهتار إيثار موقف المعاكفة.

والعشق إعطاء محضر المخالطة،

والشجن اشتعال الأحشاء عند حدود المبالغة،

والتتيم انحلال العرى بترادف المنازعة،

والتوله خلع التفقد لشروط المراقبة،

والتهالك إسقاط قدْر الحياة في جنب المواجهة.

... وكل هذه المقامات والمواقف، فإن اسم الهوى يقع عليها ويلزمها. ومعنى الهوى إيثار النفس للشيء.

*

وسئل أبو عبد الله محمد بن خفيف عن الفرق بين الخلّة والمحبة، فقال: الخلة من تخلل الشيء في الشيء بالممازجة.

والمحبة من الملازمة والمفاوضة على الحب.

*

(...) قال صاحب الكتاب: للمحبة أسماء اشتقت من رتبها ودرجاتها مختلفة الألفاظ والمعنى واحد، وبتزايدها تختلف أسماؤها، وهي في الجملة عشر مقامات، وتنتهي في الحادي عشر إلى العشق وهو الغاية.

... فأولها الألفة، وهي مأخوذة من ألَّفت الشيء، إذا جمعت، وألَّفت الكلام إذا جمعت الكلمة والكلمة بالمعنى.. فالألفة على هذا من مقاربة القلب بالقلب واتصال الحب بالقلب.

... فإذا زاد بعض الزيادة تسمى أنساً وهو الرؤية، وهو مأخوذ من مداومة النظر إلى المحبوب مع سكون النفس إليه.

... ثم الود والمودة والمواصلة. وسمي الوتد وداً لأن الحبل يُربط إليه ويوصل.. وأيضاً فإن الوتد يُدق في الحائط فسمي الود وداً برسوخ ذِكْرِ محبويه في قلبه كرسوخ الوتد في الحائط.

... ثم المحبة، وهي تمكن وجود لذَّات ذكر المحبوب من قلب المحب.. ومن ها هنا تبتدئ غالبة سلطان المحبة على سلطان العقل وتعتريه الوسوسة.

... ثم الخُلّة؛ ويقال خليل من الخلة وهي الصداقة. والخليل الفقير من الخَلة. ويقال خللت الشيء إذا نظمته، وتخلل القوم أي دخل بينهم. فاسم

الخليل يحتمل جميع ذلك لأنه صديق وصاحب وفقير إليه ومحتاج إليه لا إلى غيره. وتخلل ذكر خليله في لحمه ودمه ولا يذكر سواه.

... ثم العشق، فإذا زاد بعض زيادة صار الشَّغف. والعشق شدة الولوع بذكر المحبوب، وهو الفتنة، من قولهم: فلان شَغِف بفلان، إذا هَذى بذكره كثيراً.

... ثم الشَّغف. يقال شغفت فلاناً إذا أصبت شغافه، كما تقول كبدته إذا أصبت كبده وبطنته إذا أصبت بطنه. والشغاف غلاف القلب، فكأنه يريد: بلغ الحب غلاف قلبه، وإنما يريد به القلب وتغلغل الحب فيه.

... ثم الاستهتار، وهو كثرة الهذيان، والتذكار وشدة الشغل والذهول به عن كل شيء وعن كل أحد. ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «سيروا فقد سبق المفردون. قيل: ومن هم يا رسول الله؟ قال: المستهترون بذكر الله».

... ثم يكون بعده الوله، وهو ذهول العقل من شدة الحزن، وهي خفة تأخذ الإنسان من شدة الحزن ومن الطرب.

... ثم الهيمان، وهو ذهاب العزاء والصبر من وجود حرق نيران الحب. والهيمان من الهُيام وهو داء يأخذ الإبل فلا تروى أبداً حتى تموت من العطش.

... ثم العشق وهو غليان الحب، حتى أفاض على جوارحه الظاهرة والباطنة، وقد ذكرنا اشتقاقه في ما تقدم. فأما معناه فذهاب حظه من كل شيء سوى معشوقه، حتى يذهل عن عشقه بمعشوقه.

... فهذه غاية مقامات المحبة. وبعد هذا المقام، إن زاد فيها زيادة، خرج عن حد المحب، ودخل في معنى غيرها، وانتقل اسمها إلى معنى تسمّيه

أهل هذه القصة وهم الصوفية، سكرة وغلبة، وهو ذهاب عن المحبة والعشق برؤية المحبوب المعشوق، وذهاب عن كل شيء وضدّه.

*

قال الحسين بن منصور:

«... فأقبل تعالى من الكمال على ما فيه من صفة العشق، وهذه الصفة صورة في ذاته هي ذاته. وهو كاستحسانك الشيء من ذاتك وفرحك بشيء من ذاتك. فكان على هذه الصفة المدة الطويلة التي لا يوقف على طول مدتها، وذلك أن السنة الواحدة من سنيه لو اجتمع أهل السماوات والأرضين أن يعرفوا مقدارها على ما يعرف الحساب، لعجزوا، لأنها أوقات أزلية لا يحاط بها إلا بالأزلية ولا يضبطها حساب الحدث.

... فأراد الله تعالى أن يرى هذه الصفة من العشق على الانفراد ناظراً إليها مخاطباً لها. فأقبل على الأزل فأبدى صورة هي صورته وذاته. والله تعالى إذا أقبل على شيء فأظهر فيه منه صورة، أبدى صورة وأبدى في الصورة العلم والقدرة والحركة والإرادة وسائر صفاته. فلما تجلّى تعالى أبدى شخصاً هو هو فنظر إليه دهراً من دهره، ثم سلم عليه دهراً، ثم حيّاه دهراً من دهره، ثم خاطبه ثم هنأه ثم بشّره، ثم هكذا حتى يأتي على جميع ما يعرف وما لا يعرف أكثر.

... فلما نظر إليه وملكه، تجلى فيه وتجلى منه». فهذا رأي الحسين بن منصور في أصل العشق والمحبة. والفرق بينه وبين قول الأوائل، أن الأوائل جعلوها مبدَعاً وهو جعله ذاتياً.

*

وسئل بعض الفلاسفة، وأنا حاضر، عن بدء العشق فقال: أول من عشق البارئ تعالى: عشقَ نفسه حيث لا سواه.

*

... فإن النفس إذا لم تكن مهيأة لقبول المحبة الطبيعية لم تقبل المحبة الإلهية.

*

... فالمحبة التي كانت أول بارز برز من الصفات كان معنى نورانياً ظهر من الأزل إلى الحدث، فانقسم ثلاثة: محباً ومحبوباً ومحبة، وهي كانت من أصل واحد.

فإن قيل: كيف انقسم الواحد ثلاثة؟ وكيف يكون تأثير الواحد ثلاثة؟ قلنا: هي ثلاثة في ما أنت، وواحدة في ما هي. وذاك أن أغراضنا من ذلك طلب الأحدية في كل شيء لأنها ظاهرة في كل معقول وموهوم ومحسوس. وسنبيّن ذلك من الأصلين الصحيحين اللذين لا شك فيهما، عند أهل المعرفة وإليهما الرجوع في كل مشكلة وهما الحروف والعدد.

اعلم أن المحبة قبل الإبداء من عين الأحدية كانت مجموعة لا صورة لها في العقول ولا العلم، ولا للمعرفة إلى كيفيتها سبيل.

... فأما من حيث الحروف، فاعلم أن أصل كل موهوم ومعقول ومحسوس كان الحروف الثمانية والعشرين والتسعة والعشرين، وهي دلت على كل شيء وبانت عن كل شيء. وأصل الحروف كلها هي الألف ومنها بدت سائرها، وهي إشارة إلى التوحيد. وهي حرف هوائيّ لا يُضبط ولا صورة لها في الحس، بل هي موهومة في الأصل.

فإذا أردت أن تبرزها من الموهوم إلى المعقول جعلت لها مثالاً في الحدث والرسم، فخططت لها صورة الألف على الانفراد، صورة قائمة بنفسها منفردة عن أخواتها بحدود وهي: النقطة والمدة والرفع. فأعطاك الثلاثة معنى الواحد.

... ثم إذا أردت أن تخرج الألف من المعقول إلى المعروف لتعرف تعقل هذه الصورة الواحدة المعقولة القائمة بنفسها، ألفت أحرفاً ثلاثة، يدلك بذلك

تأليفها على معرفة ماهية هذا الواحد، وهي هجاء الألف، وهو ألف ولام وفاء، وهذه صورتها، ألف، فأعطاك هذه الثلاثة أيضاً معنى الواحد في المنزلة الثالثة وهي المعرفة.

... فإن أردت أن تعتبر اتحاد الحب والمحبوب والمحبة على ما ذكرناه قبل، فتأمل هجاء الألف... فإذا قسمتها قلت أَلف، أي أحب وهو المحب، ثم قلت: إِلف وهو المحبوب، ثم قلت: ألّف وهو فعل الله عز وجل بينهما وهي المحبة.

... أما من حيث العدد فاعلم أن العدد مركب من ثلاثة أنواع: أوله الآحاد وحشوه العشرات وغايته المئات. فأعطاك هذه الأنواع الثلاثة معنى الحساب جملة، كما أعطاك النقطة والمدة والرفع معنى الألف، وكما أعطاك الألف اللام، والفاء معنى الألف من المنزلة الثانية. فكان معنى البادئ في العدد موضع النقطة في الخط، والعشرات موضع المدة، والمئات موضع الرفع. فابتدأ بابتدائه وانتهى بانتهائه.

فإذا بلغ العدد الألف، فهو تكرير، فكان صورة الألف في النهاية من حيث العدد صورة الألف في البداية من حيث الحروف ومعناه معناها، لأن الألف واحد في صورة الأصل وواحد من حيث العدد وواحد في حساب الجمّل. وكان معناه أن الألف واحد والواحد ألف بأن ترد النهاية إلى البداية والبداية إلى النهاية لأنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو أول كل شيء وآخر كل شيء.

*

سئل بعض الأعراب عن العشق، فقال: هو أغمضُ مسلكاً في القلب من الروح في الجسد، وأملك بالنفس من النفس. بطن فظهر، ولطف فامتنع وصفه عن اللسان، فهو بين السحر والجنون.

*

وقيل لرجل من بني عذرة: مالكم تذوبون في العشق، كما يذوب الملح في الماء؟ فقال: لأننا نرى ما لا ترون، ونسمع ما لا تسمعون، ونعصي العواذل واللوام.

*

... إن المحبة لما كانت مشوبة النور بالظلمة، والصفاء بالكدر، والحلاوة بالمرارة.. آثرت النورانية لذة، فآثرت الظلمة كربةً وآثرت الصفاء حلاوة وآثرت الكدورة مرارة، فتتولد منها أحوال مختلفة متغايرة، من أجلها اختلفت أحوال المحبين وتضادت مذاقاتهم: كالحب والبغض، والقرب والبعد، والهجر والوصل، والنأي والتداني، والجفاء والوفاء، والغلظة والرقة، والشدة والرخاء، والبؤس والسعة، والعذاب والرحمة، والألم والراحة، والرضا والسخط، والصبر والجزع، والعفو والعقوبة، واليأس والطمع، والخوف والرجاء، والذل والعناد، والمرض والعافية، وآخر هذا كله الموت.

*

... المحبة صفة للمحب ما ثبتت نسبته فيها. فإذا ارتفعت نسبته فيها نقل عنها إلى غيرها. فإذا نقل عنها اشتق له من المنقول إليه اسم ومن الحال البادي له نعت، وأدرج الحال الماضي في المستقبل من الحال. فسمي حينئذ سكراناً أو مغلوباً أو مصطلماً أو مدروجاً. هكذا إذا كان انتقاله من المحبة إلى المحبة، معناه إذا تناهى فيها إلى حد الفناء بها لها فيها.

فأما إذا نقل عند التناهي إلى محل المعرفة، لم يكن مغلوباً بها ولا مصطلماً ولا سكراناً منها، بل تتدرج نسبة المحب في نسبة المعرفة، فيكون محباً عارفاً. فيرتفع محله عن هذه المرتبة حتى يستحق ما مضى منها في ما يرى منها، فيذوق منها نوعاً غير هذا النوع. ويكون ممن طرأت عليه المحبة بعد المعرفة، وصارت المحبة له مقاماً بعد أن كانت له حالاً. وهذا مقام شريف جداً عند أهل المعرفة، وإلى هذا يشير القوم. وأشار إليه سمنون، وكان ممن غلبت عليه المحبة بعد المعرفة. فقال:

وكنتُ أرى أنّي بلغتُ من الهوى إلى غايةٍ ما بعدها لي مَذهَبُ

فلما تفرَّقنا تذكَّرت ما مضى وأيقنتُ أنّي إنّما كنتُ ألعبُ

واعلمْ أن المحبين من أهل الطبيعة تناهت محبتهم إلى ذهاب العقل والدهشة والتوحش، ثم أدى ذلك منهم بهم إلى الهلاك والموت.

وليس هكذا حال الإلهيين منهم، فإن حال تناهيهم إما إلى اتحاد بالمحبوب وهو الحياة الدائمة، أو إلى مقام التوحيد وهو الوصول بالمحبوب وشهود الشواهد بالشاهد المحبوب حتى كأنه هو حقيقة كل شيء

ومنه كل شيء وبه كل شيء وله كل شيء وعنه كل شيء وهو في كل شيء وسع كل شيء ولكل شيء وبكل شيء وعن كل شيء، وكأنه لا بشيء ولا لشيء ولا عن شيء ولا من شيء ولا في شيء ولا شيء.

*

أبو بكر الطمستاني*

الدُّنيا كلُّها حكمةٌ واحدة، وكلٌّ واحد منهم أصاب على قدر ما كُشِف له.

*

ما الحياةُ إلاّ في الموتِ.

*

كيف أصنع والكونُ كلُّه عدوٌّ لي؟

*

النعمة العظيمة الخروج من النفس، لأن النفس أعظم حجابٍ بينك وبين الله.

*

من لم يكن الصمتُ وطنه فهو في فضول وإن كان ساكناً.

*

* فارسي الأصل، وهو من عظماء المتصوفة، مات سنة 340 هـ.

أبو العباس أحمد بن محمد الدينوري*

لسان الظاهر لا يغيِّر حكم الباطن.

*

مكاشفاتُ الأعيان بالأبصار ومكاشفاتُ القلوبِ بالاتصال.

*

العالم متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء:

فقومٌ رجعوا من الأشياء إلى الله ، فشاهدوا الأشياء من حيث الأشياء، ثم رجعوا عنها إلى الله.

وقومٌ رجعوا من الله إلى الأشياء، من غير غيبتهم عنه. فلم يروا شيئاً وإلا ورأوا الحقّ قبله.

وقومٌ بقوا مع الأشياء، لأنّهم لم يكن لهم طريق منها إلى الله ليجتازوا بها عليها.

*

أدنى الذّكر أن تنسى ما دونه،

ونهايته أن يغيب الذاكر في الذكر عن الذكر.

*

* مات بسمرقند، بعد سنة 340 هـ.

محمد بن عبد الجبّار بن الحسن النّفّري*

موقف العز

أوقفني في العز وقال لي لا يستقل به من دوني شيء، ولا يصلح من دوني لشيء، وأنا العزيز الذي لا يستطاع مجاورته، ولا ترام مداومته، وأظهرت الظاهر وأنا أظهر منه فما يدركني قربه ولا يهتدي إلي وجوده، وأخفيت الباطن وأنا أخفى منه فما يقوم علي دليله ولا يصح إلي سبيله.

وقال لي أنا أقرب إلى كل شيء من معرفته بنفسه فما تجاوزه إلي معرفته، ولا يعرفني أين تعرفت إليه نفسه.

وقال لي لو نطق ناطق العز لصمتت نواطق كل وصف، ورجعت إلى العدم مبالغ كل حرف.

وقال لي أين من أعد معارفه للقائي لو أبديت له لسان الجبروت لأنكر ما عرف، ولمارَ مور السماء يوم تمور موراً.

وقال لي إن لم أشهدك عزّي فيما أشهد فقد أقررتك على الذل فيه.

وقال لي طائفة أهل السماوات وأهل الأرض في ذل الحصر، ولي عبيد لا تسعهم طبقات السماء ولا تقلّ أفئدتهم جوانب الأرض. أشهدت مناظر قلوبهم أنوار عزتي فما أتت على شيءٍ إلا أحرقته، فلا لها منظر في السماء فتثبته، ولا مرجع إلى الأرض فتقر فيه.

وقال لي خذ حاجتك التي تجمعك علي وإلا رددتك إليها وفرقتك عني.

وقال لي مع معرفتي لا تحتاج، وما أتت معرفتي فخذ حاجتك.

---

* توفّي بعد عام 354 هـ.

وقال لي تعرّفي الذي أبديته لا يحتمل تعرفي الذي لم أبده.

وقال لي لا أنا التعرف ولا أنا العلم، ولا أنا كالتعرّف ولا أنا كالعلم.

*

موقف القرب

أوقفني في القرب وقال لي ما منّي شيء أبعد من شيء ولا منّي شيء أقرب من شيء إلا على حكم إثباتي له في القرب والبعد.

وقال لي البعد تعرفه بالقرب، والقرب تعرفه بالوجود. وأنا الذي لا يرومه القرب، ولا ينتهي إليه الوجود.

وقال لي أدنى علوم القرب أن ترى آثار نظري في كل شيء فيكون أغلب عليك من معرفتك به.

وقال لي القرب الذي تعرفه في القرب الذي أعرفه كمعرفتك في معرفتي.

وقال لي لا بعدي عرفت ولا قربي عرفت ولا وصفي كما وصفي عرفت.

وقال لي أنا القريب لا كقرب الشيء من الشيء وأنا البعيد لا كبعد الشيء من الشيء.

وقال لي قربك لا هو بعدك وبعدك لا هو قربك، وأنا القريب البعيد قرباً هو البعد وبعداً هو القرب.

وقال لي القرب الذي تعرفه مسافة، والبعد الذي تعرفه مسافة، وأنا القريب البعيد بلا مسافة.

وقال لي أنا أقرب إلى اللسان من نطقه إذا نطق، فمن شهدني لم يذكر ومن ذكرني لم يشهد.

وقال لي الشاهد الذاكر إن لم يكن حقيقةَ ما شهده حجبه ما ذكر.

وقال لي ما كل ذاكر شاهد وكل شاهد ذاكر.

وقال لي تعرفت إليك وما عرفتني: ذلك هو البعد، رآني قلبك وما رآني: ذلك هو البعد.

وقال لي تجدني ولا تجدني: ذلك هو البعد. تصفني ولا تدركني بصفتي: ذلك هو البعد. تسمع خطابي لك من قلبك وهو مني: ذلك هو البعد. تراك وأنا أقرب إليك من رؤيتك: ذلك هو البعد.

*

موقف الكبرياء

أوقفني في كبريائه وقال لي أنا الظاهر الذي لا يكشفه ظهوره، وأنا الباطن الذي لا ترجع البواطن بدرك من علمه.

وقال لي بدأت فخلقت الفرق فلا شيء مني ولا أنا منه، وعدت فخلقت الجمع فيه اجتمعت المتفرقات وتألفت المتباينات.

وقال لي ما كل عبد يعرف لغتي فتخاطبه، ولا كل عبد يفهم ترجمتي فتحادثه.

وقال لي لو جمعت قدرة كل شيء لشيء، وحزت معرفة كل شيء لشيء، وأثبت قوة كل شيء لشيء، ما حمل تعرفي بمحوه، ولا صبر على مداومتي بفقد وجده لنفسه.

وقال لي الأنوار من نور ظهوري بادية وإلى نور ظهوري آفلة، والظلم من فوت مرامي بادية وإلى فوت مرامي آيبة.

وقال لي الكبرياء هو العز والعز هو القرب والقرب فوت عن علم العالمين.

وقال لي أرواح العارفين لا كالأرواح وأجسامهم لا كالأجسام.

وقال لي أوليائي الواقفون بين يدي ثلاثة فواقف بعبادة أتعرف إليه بالكرم، وواقف بعلم أتعرّف إليه بالعزّة، وواقف بمعرفة أتعرّف إليه بالغلبة.

وقال لي نطق الكرم بالوعد الجميل، ونطقت العزة بإثبات القدرة، ونطقت الغلبة بلسان القرب.

وقال لي الواقفون بي واقفون في كل موقف خارجون عن كل موقف.

*

موقف أنت معنى الكون

أوقفني وقال لي أنت ثابت ومثبت فلا تنظر إلى ثبتك، فمن نظرك إليك أتيت.

وقال لي انظر إلى مثبتي ومثبتك تسلم لأنك تراني وتراك وإذا كنت في شيء غلبت.

وقال لي متى رأيت نفسك ثبتاً أو ثابتاً ولم ترني في الرؤية مثبتاً حجبت وجهي وأسفر لك وجهك فانظر إلى ماذا بدا لك وماذا توارى عنك.

وقال لي لا تنظر إلى الإبداء وإلى البادي فتضحك وتبكي وإذا ضحكت وبكيت فأنت منك لا مني.

وقال لي إن لم تجعل كل ما أبديت وأبديه وراء ظهرك لم تفلح فإن لم تفلح لم تجتمع علي.

وقال لي كن بيني وبين ما بدا ويبدو ولا تجعل بيني وبينك بدواً ولا إبداء.

وقال لي الإخبار الذي أنت فيه عموم.

وقال لي أنت معنى الكون كله.

وقال لي أريد أن أخبرك عني بلا أثر سواي.

وقال لي ليس لي من رآني ورآه بإرائته إنما لي من رآني ورآه بإرائتي.

(...)

وقال لي الحقيقة وصف الحقّ، والحقُّ أنا.

وقال لي هذه عبارتي وأنت تكتب، فكيف وأنت لا تكتب.

*

موقف قد جاء وقتي

أوقفني وقال لي إن لم ترني لم تكن بي.

وقال لي إن رأيت غيري لم ترني.

وقال لي إشاراتي في الشيء تمحو معنى المعنى فيه وتثبت منه لا به.

وقال لي فيك ما لا ينصرف ولا يصرف.

وقال لي أصمت لي الصامت منك ينطق الناطق ضرورة.

وقال لي أثر نظري في كل شيء فإن خاطبته على لسانك قلبته.

وقال لي اجعل ذكري وراء ظهرك وإلا رجعت إلى سواي لا حائل بينك وبينه.

وقال لي قد جاء وقتي وآن لي أن أكشف عن وجهي وأظهر سبحاتي ويتّصل نوري بالأفنية وما وراءها وتطّلع عليَّ العيون والقلوب، وترى عدوي يحبّني وترى أوليائي يحكمون، فأرفع لهم العروش ويرسلون النار فلا ترجع، وأعمِّر بيوتي الخراب وتتزيّن بالزينة الحق، وترى قسطي كيف ينفي ما سواه، وأجمع الناس على اليُسْر فلا يفترقون ولا يذلّون، فاستخرج كنزي وتحقق ما أحققتك به من خبري وعدتي وقرب طلوعي. فإني سوف أطلع وتجتمع حولي النجوم، وأجمع بين الشمس والقمر، وأدخل في كل بيت ويسلمون عليّ وأسلّم عليهم، وذلك بأن لي المشيئة وبإذني تقوم الساعة وأنا العزيز الرحيم.

*

موقف البحر

أوقفني في البحر فرأيت المراكب تغرق والألوان تسلم، ثم غرقت الألواح، وقال لي لا يسلم من ركب.

وقال لي خاطر من ألقى نفسه ولم يركب.

وقال لي هلك من ركب وما خاطر.

وقال لي في المخاطرة جزء من النجاة، وجاء الموج فرفع ما تحته وساح على الساحل.

وقال لي ظاهر البحر ضوء لا يبلغ، وقعره ظلمة لا تمكن، وبينهما حيتان لا تستأمن.

وقال لي في البحر حدود، فأيها يقلّك.

وقال لي إذا وهبت نفسك للبحر فغرقت فيه كنت كدابَّة من دوابه.

وقال لي غششتك إن دللتك على سواي.

وقال لي إن هلكت في سواي كنت لما هلكت فيه.

وقال لي الدنيا لمن صرفته عنها وصرفتها عنه، والآخرة لمن أقبلت بها إليه وأقبلت به عليّ.

*

موقف وأحل المنطقة

أوقفني وقال لي إذا رأيتني كان فقرك في إجابة المسألة.

وقال لي إذا رأيتني فلا تسألني في الرؤية ولا في الغيبة لأنك إن سألتني في الرؤية اتخذتها إلهاً من دوني، وإن سألتني في الغيبة كنت كمن لم يعرفني، ولابد لك أن تسألني وأغضب إن لم تسألني فسلني إذا قلت لك سلني.

وقال لي إذا رأيتني فانظر إلي أكن بينك وبين الأشياء، وإذا لم ترني فنادني لا لأظهر ولا لتراني، لكن لأني أحب نداء أحبائي لي.

وقال لي إذا رأيتني أغنيتك الغنى الذي لا ضدّ له.

وقال لي إن تبعك السوى وإلا تبعته.

وقال لي ذكري في رؤيتي جفاء فكيف رؤية سواي، أم كيف ذكري مع رؤية سواي.

*

موقف ادعني ولا تسألني

أوقفني وقال لي الدنيا سجن المؤمن، والغيبة سجن المؤمن.

وقال لي الغيبة دنيا وآخرة، والرؤية لا دنيا ولا رؤية.

وقال لي رؤية خصوص غيبة عموم لا رؤية ولا غيبة حرب العدو.

وقال لي ليس من أهل الغيبة من لم يكن من أهل الرؤية.

وقال لي الصلاة في الغيبة نور.

وقال لي ادعني في رؤيتي ولا تسألني وسلني في غيبتي ولا تدْعني.

وقال لي انظر ما بدا لك فإن قطعك عن القواطع فهو مني.

وقال لي كلما بدا لك فابتدأ يجمعك قبل قطعك فخف مكره.

*

موقف ما لا ينقال

أوقفني في ما لا ينقال، وقال لي به تجتمع فيما ينقال.

وقال لي إن لم تشهد ما لا ينقال تشتت بما ينقال.

وقال لي ما ينقال يصرفك إلى القولية، والقولية قول والقول حرف والحرف تصريف، وما لا ينقال يشهدك في كل شيء تعرّفي إليه ويشهدك من كل شيء مواضع معرفته.

وقال لي العبارة ميل، فإذا شهدت ما لا يتغير لم تمل.

وقال لي القول يصرف إلى الوجد والتواجد يصرف إلى المواجيد بالمقولات.

وقال لي المواجيد بالمقولات كفر على حكم التعريف.

وقال لي لا تسمع فيّ من الحرف، ولا تأخذ خبري عن الحرف.

وقال لي الحرف يعجز أن يخبر عن نفسه، فكيف يخبر عنّي؟

وقال لي أنا جاعل الحرف والمخبر عنه.

وقال لي أنا المخبر عنّي لمن أشاء أن أخبره.

وقال لي لإخباري علامة بإشهاد لا توجد بسواه ولا يبدو إخباري إلا فيه.

وقال لي لا تزال تكتب ما دمت تحسب، فإذا لم تحسب لم تكتب.

وقال لي إذا لم تحسب ولم تكتب ضربت لك بسهم في الأمية لأن النبي الأمي لا يكتب ولا يحسب.

وقال لي لا تكتب ولا تهم، ولا تحسب ولا تطالع.

وقال لي الهمّ يكتب الحق والباطل، والمطالعة تحسب الأخذ والترك.

وقال لي ليس مني ولا من نسبتي من كتب الحق والباطل وحسب الأخذ والترك.

وقال لي كل كاتب يقرأ كتابته، وكل قارئ يحسب قراءته.

*

موقف المحضر والحرف

أوقفني في المحضر وقال لي الحرف حجاب والحجاب حرف.

وقال لي قف في العرش، فرأيت الحرم لا يسلكه النطق ولا تدخله الهموم ورأيت فيه أبواب كل شيء ورأيت الأبواب كلها ناراً، وللنار حرم لا يدخله إلا العمل الخالص فإذا دخله صار إلى الباب فإذا صار إلى الباب وقف فيه على المحاسبة. ورأيت المحاسبة تفرد ما لوجه الله عما لسواه، ورأيت الجزاء سواه ورأيت الخالص له ومن أجله يرفع من الباب إلى المنظر الأعلى، فإذا رفع إليه كتب على الباب جاز الحساب.

وقال لي إن لم تأكل من يدي وتشرب من يدي لم تستو على طاعتي.

وقال لي إن لم تطعني لأجلي لم تستو على عبادتي.

وقال لي اطرح ذنبك تطرح جهلك.

وقال لي إن ذكرت ذنبك لم تذكر ربك.

وقال لي في الجنة من كل ما يحتمله الخاطر ومن ورائه أكبر منه، وفي النار من كل ما يحتمله الخاطر ومن ورائه أكبر منه.

وقال لي الذي يصدك عني في الدنيا هو الذي يصدك عني في الآخرة.

وقال لي أوقفت الحرف قدّام الكون وأوقفت العقل قدام الحرف وأوقفت المعرفة قدام العقل وأوقفت الإخلاص قدام المعرفة.

وقال لي لا يعرفني الحرف ولا يعرفني ما عن الحرف ولا يعرفني ما في الحرف.

وقال لي إنما خاطبت الحرف بلسان الحرف فلا اللسان شهدني ولا الحرف عرفني.

وقال لي النعيم كله لا يعرفني والعذاب كله لا يعرفني.

وقال لي لو عرفني النعيم انقطع بمعرفتي عن التنعيم، ولو عرفني العذاب انقطع بمعرفتي عن التعذيب.

وقال لي رسول رحمة لا يحيط بمعرفتي ورسول عقوبة لا يحيط بمعرفتي.

وقال لي يبدو عليك البادي من جنس ما يستقرّ عليه.

وقال لي إنما توسوس الوسوسة في الجهل وإنما تخطر الخواطر في الجهل.

وقال لي إن صدك عن العلم فإنما يصدك عنه ليصدك عن الجهل.

وقال لي الذين عندي لا يفهمون عن حرف هو يخاطبهم ولا يفهمون في حرف هو مكانهم ولا يفهمون عنه وهو علمهم. أشهدتهم قيامي بالحرف فرأوني قيّما وشهدوه جهة وسمعوا مني وعرفوه آلة.

وقال لي تحمل إلي ومعك ما عرفت وما أنكرت وما أخذت وما تركت فأسألك عن أجلي فتجب حجتي فأعفو برحمتي.

وقال لي الحرف مكانهم بما به بدا، والحرف علمهم بما عنه بدا، والحرف موقفهم بما له بدا.

وقال لي العارف يخرج مبلغه عن الحرف، فهو في مبلغه وإن كانت الحروف ستره.

وقال لي مبلغ العارف مستقره ومستقره هو الذي إن لم يكن به لم يسكن.

وقال لي الحرف لا يلج الجهل ولا يستطيعه.

وقال لي الحرف دليل العلم والعلم معدن الحرف.

وقال لي أصحاب الحروف محجوبون عن الكشوف قائمون بمعانيهم بين الصفوف.

وقال لي هذا معناك أنا خلقته وهذه أوصافه أنا جعلته وهذه حليته أنا أثبتّه وهذا مبلغه أنا جوّزته.

وقال لي أنا من ورائه ومن وراء ما عرفته، لا تعلمني علومه ولا تشهدني شواهده.

وقال لي إن لم أنتصر بك لم تثبت وإن لم تثبت لم أتعرف إليك.

وقال لي اذكرني تعرفني وانصرني تشهدني.

وقال لي أنا القريب فلا بيان قرب، وأنا البعيد فلا بيان بعد.

وقال لي أنا الظاهر لا كما ظهرت الظواهر، وأنا الباطن لا كما بطنت البواطن.

وقال لي قل عافني من معافاتك منك، وحُلْ بيني وبين ما يحول عنك ولا تذرني بمذاري الحروف في معرفتك، ولا توقفني أبداً إلا بك.

وقال لي تعلم العلم لوجهي تصب الحق عندي.

وقال لي إذا أصبت الحق عندي أثنيت عليك بثنائي على نفسي.

وقال لي من تعرفت إليه توليت نعيمه بنفسي وتوليت عذابه بنفسي فأمددت النعيم من نعيمه وأمددت العذاب من عذابه.

وقال لي الاسم ألف معطوف.

وقال لي العلم من وراء الحروف.

وقال لي المحضر خاص ولكل خاص عام.

وقال لي الحضرة تحرق الحرف وفي الحرف الجهل والعلم، ففي العلم الدنيا والآخرة وفي الجهل مطلع الدنيا والآخرة. والمطلع مبلغ كل ظاهر وباطن والمبلغ محو في باد من بوادي الحضرة.

وقال لي الحرف لا يلج الحضرة وأهل الحضرة يعبرون الحرف ولا يقفون فيه.

وقال لي تستوحش تحت الأرض مما تستوحش منه فوق الأرض.

وقال لي أهل الحضرة ينفون الحرف مع ما فيه نفي الخواطر.

وقال لي إن لم تكن من أهل الحضرة جاءك الخاطر وكل السوى خاطر فلم يكن إلا العلم وللعلم أضداد ولا تخلص إلا بالجهاد.

وقال لي لا جهاد إلا بي ولا علم إلا بي، فإن وقفت بي فأنت من أهل حضرتي.

وقال لي انظر إلى قبرك، إن دخل معك العلم دخل معه الجهل، وإن دخل معك العمل دخلت معه المحاسبة، وإن دخل معك السّوى دخل معه ضده من السوى.

وقال لي ادخل إلى قبرك وحدك تراني وحدي فلا تثبت لي مع سواي.

وقال لي إذا تعرفت إليك فاحذرني، لا أجعل العذاب وما فيه في جارحة من جوارحك. وارجُ فضلي في أضعاف ذلك في كرامتك.

وقال لي أهل الحضرة هم الذين عندي.

وقال لي الخارجون عن الحرف هم أهل الحضرة.

وقال لي الخارجون عن أنفسهم هم الخارجون عن الحرف.

وقال لي اخرج من العلم تخرج من الجهل، واخرج من العمل تخرج من المحاسبة، واخرج من الإخلاص تخرج من الشرك، واخرج من الاتحاد إلى الواحد، واخرج من الوحدة تخرج من الوحشة، واخرج من الذكر تخرج من الغفلة واخرج من الشكر تخرج من الكفر.

وقال لي اخرج من السِّوى تخرج من الحجاب واخرج من الحجاب تخرج من البعد واخرج من القرب ترى الله.

وقال لي لو تعرفت إليك بمعارف السطوة فقدت العلم والحسّ.

وقال لي للمحضر أبواب عدد ما في السماء والأرض وهو باب من أبواب الحضرة.

وقال لي أول باب من أبواب الحضرة موقف المسألة، أوقفك فأسألك فأعلمك فتجيب فتثبت بتعرفي وتعرف معارفك من لدني فتخبر عني.

وقال لي: ما النار؟

قلت نور من أنوار السطوة.

وقال ما السطوة؟

قلت وصف من أوصاف العزة.

قال ما العزة؟

قلت وصف من أوصاف الجبروت.

قال ما الجبروت؟

قلت وصف من أوصاف الكبرياء.

قال ما الكبرياء؟

قلت وصف من أوصاف السلطان.

قال ما السلطان؟

قلت وصف من أوصاف العظمة؟

قال ما العظمة؟

قلت وصف من أوصاف الذات.

قال ما الذات؟

قلت أنت الله لا إله إلا أنت.

قال قلت الحق.

قلت أنت قوّلتني. قال لترى بينتي.

قال لي الطبقة الأولى يعذبون بالسطوة والطبقة الثانية يعذبون بالعزة والطبقة الثالثة يعذبون بالجبروت والطبقة الرابعة يعذبون بالكبرياء والطبقة الخامسة يعذبون بالسلطان والطبقة السادسة يعذبون بالعظمة والطبقة السابعة يعذبون بالذات.

وقال لي أهل النار يأتيهم العذاب من تحتهم وأهل الجنة ينزل عليهم نعيمهم من فوقهم.

*

وقال لي ما الجنة؟

قلت وصف من أوصاف التنعيم.

قال ما التنعيم؟

قلت وصف من أوصاف اللطف.

قال ما اللطف؟

قلت وصف من أوصاف الرحمة.

قال ما الرحمة؟

قلت وصف من أوصاف الكرم.

قال ما الكرم؟

قلت وصف من أوصاف العطف.

قال ما العطف؟

قلت وصف من أوصاف الود.

قال ما الود؟

قلت وصف من أوصاف الحب.

قال ما الحب؟

قلت وصف من أوصاف الرضا.

قال ما الرضا؟

قلت وصف من أوصاف الاصطفاء.

قال ما الاصطفاء؟

قلت وصف من أوصاف النظر.

قال ما النظر؟

قلت وصف من أوصاف الذات.

قال ما الذات؟

قلت أنت الله.

قال قلت الحق.

قلت أنت قوّلتني.

قال لترى نعمتي.

*

وقال لي الطبقة الأولى يتنعمون بالتنعيم والطبقة الثانية يتنعمون بالكرم والطبقة الثالثة يتنعمون بالعطف والطبقة الرابعة يتنعمون بالود والطبقة

الخامسة يتنعمون بالحب والطبقة السادسة يتنعمون بالرضا والطبقة السابعة يتنعمون بالاصطفاء والطبقة الثامنة يتنعمون بالنظر.

وقال لي قد رأيت كيف يسري العذاب وكيف يسري النعيم وإليّ يرجع الأمر كله فقف عندي تقف من وراء كل وصف.

وقال لي إن أخذك الوصف الأعلى أخذك الوصف الأدنى.

وقال لي إن أخذك الوصف الأدنى فما أنت مني ولا من معرفتي.

وقال لي أجللتك فاستخلفتك وعظمتك فاستعبدتك وكرّمتك فعاينتك وأحببتك فابتليتك.

وقال لي نظرت إليك فناجيتك وأقبلت عليك فأمرتك وغرت عليك فنهيتك وأخلصتك لودي فعرفتك.

وقال لي القرآن يبني والأذكار تغرس.

وقال لي الحرف يسري حيث القصد جيم جنة، جيم جحيم.

وقال لي إن آخذتك بذنب آخذتك بكل ذنب حتى أسألك عن رجع طرفك وعن ضمير قلبك.

وقال لي إن قبلت حسنة جعلت السيئات كلها حسنات.

*

وقال لي مَن أهل النار؟

قلت أهل الحرف الظاهر.

قال من أهل الجنة؟

قلت أهل الحرف الباطن.

قال لي ما الحرف الظاهر؟

قلت علم لا يهدي إلى عمل.

قال ما الحرف الباطن؟

قلت علم يهدي إلى حقيقة.

قال ما العمل؟

قلت الإخلاص.

قال لي ما الحقيقة؟

قلت ما تعرّفت به.

قال لي ما الإخلاص؟

قلت لوجهك.

قال ما التعرّف؟

قلت ما تلقيه إلى قلوب أوليائك.

وقال لي القول الخالص موقوف على العمل والعمل موقوف على الأجل والأجل موقوف على الطمأنينة والطمأنينة موقوفة على الدوام.

*

موقف الاختيار

وقال لي هو ذا يدخل الطب عليهم بالغداء والعشيّ وأخاطبهم أنا على ألسنة الطب ويعلمون أنني أنا أكلمهم ويعدون الطب بالحمية ولا يعدونني.

وقال لي كانوا في يدي فقلبتهم إلى يدي وليس أردهم إلى اليد التي كانوا فيها.

وقال لي لابد أن تتحرك عادة فإذا تحركت عادة فما لك أدب.

وقال لي صلاتك لما يوقفك أو يجعلك، وقصدك لما يحادثك أو تحادثه.

وقال لي ما لي باب ولا طريق.

وقال لي إذا تكلمت فتكلم وإذا صمت فاصمت.

وقال لي اخرج إلى البرية الفارغة واقعد وحدك حتى أراك فإني إذا رأيتك عرجت بك من الأرض إلى السماء ولم أحتجب عنك.

وقال لي إن لم تصحبك في هذا كله دعوة عامي تهت.

وقال لي إذا كنت كما أريد في كل شيء فابك على نفسك ونادني أعوذ بك من سوء القرين.

وقال لي كلك خلق فماذا تروم، فرأيت السد قد أحاط بي ورأيته في السد يضحك، وقال هذا منزل أهلي ولا أضحك إلا فيه.

وقال لي قد جعلتُ لك في السد أبواباً بعدد ما خلقت وغرست على كل باب شجرة وعين ماء باردة وأظمأتك، وعزتي لئن خرجت لا رددتك إلى منزل أهلي ولا سقيتك من الماء.

وقال لي نم لتراني فإنك تراني، واستيقظ لتراك فإنك لن تراني.

وقال لي إذا وجدتني عند الكذاب فلا تذكره بي، وإذا وجدتني عند المخلص فذكره بي.

وقال لي لابد من أن أتعرف إليك وتعرفي إليك بلاء. أنا لا أزول، أنا أصل البلاء، أحببت فيك البلاء، أظهرت لك البلاء، كرهت منك البلاء. معرفتك بالبلاء بلاء. إنكارك للبلاء بلاء.

وقال لي لا تكون لي عبداً وأنت تخبر الناس بك، أو بما منك، فإذا جئت إلي فكأنّ الذي جرى كلّه لم يكن.

*

موقف نور

أوقفني في نور وقال لي لا أقبضه ولا أبسطه ولا أطويه ولا أنشره ولا أخفيه ولا أظهره. وقال يا نور انقبض وانبسط وانطو وانتشر واخف واظهر، فانقبض وانبسط وانطوى وانتشر وخفي وظهر، ورأيت حقيقة لا أقبض وحقيقة يا نور انقبض.

وقال لي ليس أعطيك أكثر من هذه العبارة، فانصرفت فرأيت طلب رضاه معصيته. فقال لي أطعني فإذا أطعتني فما أطعتني ولا أطاعني أحد. فرأيت الوحدانية الحقيقية والقدرة الحقيقية. فقال غضّ عن هذا كله وانظر إليك، وإذا نظرت إليك لم أرض، وأنا أغفر ولا أبالي.

*

موقف بين يديه

وقال لي اكشفك لي ولا تغطك فإنك إن تغطيت هتكتك وإن هتكتك لم أسترك، فتغطيت ولم أبرز وتكشفت ولم أتغط. فرأيته يرضى ما لا يرضى ولا يرضى ما يرضى. فقال إن أسلمت ألحدت، وإن طالبت أسلمت. فرأيته فعرفته ورأيت نفسي فعرفتها. فقال لي أفلحت، وإذا جئت إلي فلا يكن معك من هذا كله شيء لأنك لا تعرفني ولا تعرفك.

*

موقف من أنت ومن أنا

أوقفني وقال لي من أنت ومن أنا، فرأيت الشمس والقمر والنجوم وجميع الأنوار.

وقال لي ما بقي نور في مجرى بحري إلا وقد رأيته. وجاءني كل شيء حتى لم يبق شيء فقبّل بين عينيَّ وسلّم علي ووقفَ في الظل.

وقال لي تعرفني ولا أعرفك، فرأيته كله يتعلق بثوبي ولا يتعلق بي. وقال هذه عبادتي، ومال ثوبي وما ملت. فلما مال ثوبي قال لي من أنا. فكسفت الشمس والقمر وسقطت النجوم وخمدت الأنوار وغشيت الظلمة كل شيء سواه ولم تر عيني ولم تسمع أذني وبطل حسّي. ونطق كل شيء فقال الله أكبر، وجاءني كل شيء وفي يده حربة. فقال لي اهربْ، فقلت إلى أين؟ فقال قع في الظلمة، فوقعت في الظلمة فأبصرت نفسي. فقال لي لا تبصر

غيرك أبداً ولا تخرج من الظلمة أبداً فإذا أخرجتك منها أريتك نفسي، فرأيتني، وإذا رأيتني فأنت أبعد الأبعدين.

*

موقف التيه

أوقفني في التيه فرأيت المحاجّ كلها تحت الأرض وقال لي ليس فوق الأرض محجة. ورأيت الناس كلهم فوق الأرض والمحجات كلها فارغة. ورأيت من ينظر إلى السماء ولا يبرح من فوق الأرض ومن ينظر إلى الأرض ينزل إلى المحجة ويمشي فيها.

وقال لي من لم يمش في المحجة لم يهتد إلي.

وقال لي أنت صاحبي فإذا لم تجدني فاطلبني عند أشدهم عليّ تمرداً وإذا وجدتني فلا تعصه، وإن لم تجدني فاضربه بالسيف ولا تقتله فأطالبك به، وخلّ بيني وبينك، ولا تخلّ بيني وبين الناس وخاصمني وتوكّل لهم عليّ فإذا أعطيتك ما تريد فاجعله قرباناً للنار، وقف في ظل فقير من الفقراء فسله أن يسألني ولا تسألني أنت فأمنع غيرك بمسألتك فتكون ضداً لي وأخذلك، فرأيت طرح كل شيء، الفوز.

وقال لي إن طرحت أفلست، وأنا لا أحب إلا الأغنياء ولا أكره إلا الفقراء فلا أرى معك غنياً ولا فقيراً فإني لا أنظر إلى الأنواع.

*

موقف بحر

أوقفني في بحر ولم يسمّه وقال لي لا أسمّيه لأنك لي لا له، وإذا عرّفتك سواي فأنت أجهل الجاهلين، والكون كله سواي فما دعا إليّ لا إليه فهو مني فإن أجبتك عذبتك ولم أقبل ما تجيء به. وليس لي منك بد وحاجتي كلها عندك فاطلب مني الخبز والقميص فإني أفرح وجالسني أسرّك ولا

يسرّك غيري، وانظر إليّ فإني ما أنظر إلا إليك. وإذا جئتني بهذا كله وقلت لك إنه صحيح فما أنت مني ولا أنا منك.

*

موقف وراء المواقف

وقال لي كل جزيئة من الكون موقف.

وقال لي الوسوسة في كل موقف والخاطر في كل كون.

وقال لي طافت الوسوسة على كل شيء إلا على العلم.

وقال لي العقود قائمة في العلوم والوسوسة تخطر في أحكام العلوم.

وقال لي إذا جاءتك الوسوسة فانظر إلى مجيئها ومنصرفها واعتراضك عليها ترى الحق وتشهده وهو ما تنفيها به وترى الباطل وتشهده وهو ما نفيت.

وقال لي من تعلّق بالكون عرض له الكون.

وقال لي الوسوسة فيّ علم من أعلام التحريض عليّ.

وقال لي قد جاءتك معارفي بلطفي وأسفر لك تكلّمي عن حبي.

وقال لي كل شيء يصدرك إلي يصدرك ومعك بقية منك أو من غيرك إلا الوسوسة فإنها تصدرك إلي وحدك.

وقال لي الوسوسة ردّي إياك إليّ بالقهر.

وقال لي انظر إلى الوسوسة عمّ تخرجك فلن تصلح إلا على مفارقته وبم تعلقك فلن تصلح إلا على التعلق به.

وقال لي الجهل وراء المواقف فقف فيه وراء مقام الدنيا والآخرة.

وقال لي الجهل وراء المواقف فمن وقف فيه أدرك علوم المواقف.

وقال لي اختم علمك بالجهل وإلا هلكت به، واختم عملك بالعلم وإلا هلكت به.

وقال لي كلما على التراب من التراب فانظر إلى التراب تذهب عما هو منه وترَ ما قلّبه عن عينه في مرأى العيون لعينه فلا تخطفك عيونه.

وقال لي اتخذ أعواناً لتقلب عينك فإذا لم تتقلب عينك فلا أعوان.

وقال لي لا يكون لك أعوان حتى يكون لا زمان ولا يكون لا زمان حتى يكون لا أعيان ولا يكون لا أعيان حتى لا تراها وتراني.

وقال لي إذا حَزَنك أمر فالباب فإن حَزنك في الباب فالوقفة فإن أحزنك في الوقفة فالوقفة.

وقال لي الوقفة هي مقامك مني وكذلك وقفة كل عبد هي مقامه مني.

وقال لي خاطب من خاطبت بمبلغه الذي يحب أن يذكرني فيه فهي حاله التي عليها ما يقر.

وقال لي لَهَا من خاطبته برغبته وانقطع من خاطبته برهبته واتصل من خاطبته بمبلغه.

وقال لي إن كان النعت مبلغاً فهو مبلغ لا نعت، وإن كان النعت لا مبلغ فهو نعت.

وقال لي المبلغ منتهى النسب والنسب منتهى السبب.

وقال لي دام النسب ما دام السبب ودام السبب ما دام الطلب ودام الطلب ما دمت، ودمت ما لم ترني فإذا رأيتني لا أنت، وإذا لا أنت لا طلب، وإذا لا طلب لا سبب، وإذا لا سبب لا نسب، وإذا لا نسب لا حد، وإذا لا حد لا حجبة.

وقال لي العلم الرباني لا يتعلق بالعبودية ولا تستقر عليه.

وقال لي اعرف المعرفة تعرف بالمعرفة، اعرفني تعرف بي، ولن تعرفني حتى لا إلا ما تعرف، ولن تجهلني حتى لا إلا ما تجهل، فلا أنا ما عرفت ولا أنا ما جهلت.

وقال لي المعرفة من كل شيء حدك، الكل من كل كلية حدك، الحد من كل حدية منتهاك الجزء من كل جزئية تقلّبك.

وقال لي إن بقيت للباطن عليك إمرة فقد بقيت للظاهر عليك فتنة.

وقال لي إذا نفيت ما سواي لقيتني بعدد ما خلقت حسنات.

وقال لي ما كل من نفى سواي رآني ومن رآني فقد نفى سواي.

وقال لي لا تكون عبدي حتى أدعوك بلساني إلى السوى فتجيب الدعاء وتنفي السوى.

وقال لي أنت عبد السِّوى ما رأيت له أثراً.

وقال لي أثر كل شيء حكمه.

وقال لي إذا لم تر للسوى أثراً لم تتعبد له.

وقال لي لا تبع ما عرفتني فيه من حالك بما لم تعرفه.

وقال لي هيمنت الرؤية على المعرفة كما هيمنت المعرفة على العلم.

وقال لي إن أثبت السوى ومحوته فمحوك له إثبات.

وقال لي من رآني شهد أن الشيء لي ومن شهد أن الشيء لي لم يرتبط به.

وقال لي ما ارتبطت بشيء حتى تراه لك من وجه، ولو رأيته لي من كل وجه لم ترتبط به.

وقال لي من لم يرني رأى الشيء لي ولم يشهده لي، وما كل من رآني شهد ما رأى.

وقال لي الشهادة أن تعرف وقد ترى ولا تعرف.

*

وقال لي: لولايَ ما أبصرت العيون مناظرها، ولا رجعت الأسماع بمسامعها.

*

وقال لي: لو أبديت لغة العز لخطفت الأفهام خطف المناجل، ودرست المعارف درس الرمال عصفتْ عليها الرياحُ العواصف.

*

وقال لي: لا تركبِ البحرَ فأحجبْكَ بالآلة، ولا تُلْقِ نفسكَ فيه فأحجبْكَ به.

*

وقال لي: إن استخلفتُكَ جعلتُ غضبَكَ من غضبي، فلم تَرْأَفْ بذي البشرية، ولم تتعطفْ على الجنسية.

*

وقال إذا رأيتني فاتبعْني، ولو صرفتُ وجوهَ الكلِّ عنكَ فإنّي أُقبِلُ بهم خاضعينَ إليك.

*

وقال لي: إذا رأيتَني فأعرضْ عمَّن أعرضَ عنكَ وأَقبَلَ إليكَ.

*

وقال لي: الواقف يرى الأواخر فلا تحكم عليه الأوائل.

*

وقال لي: يا من صبر عليّ ابسطْ الكونَ لعطائي لا يَسَعْ، ابسطْ أمانيكَ لعطائي لا تبلُغْ.

*

وقال لي: من رآني صَمَد لي، ومن صَمَد لي لم يصلح على المواقيت.

*

وقال لي: كلُّ معنوية ممعناةٌ، إنما معنيت لتصرف، وكل ماهية ممهاة، إنما أمهيت لتُختَرَعَ.

*

وقال لي: تعلّم ولا تسمع من العلم واعمل، ولا تنظر إلى العمل.

*

وقال لي: أنا اللّهُ لا يُدْخَلُ إليّ بالأجسام، ولا تُدْرَكُ معرفتي بالأوهام.

*

وقال لي: مَنْ لم يفهمْ عنّي ولا عن حقي ولا عن نِعمتي فاتَّخذْهُ عدوّاً، فإن جاءكَ بحكمتي فخُذْها منه، كما تأخذُ ضالّتَكَ من الأرضِ المُسْبِعَةِ.

*

أوقفني في الموت، فرأيتُ الأعمالَ كلَّها سيئاتٍ، ورأيتُ الخوف يَتَحَكَّمُ على الرَّجاءِ، ورأيتُ الغنى قد صارَ ناراً ولَحِقَ بالنارِ، ورأيتُ الفقر خَصْماً يحتجُّ، ورأيتُ كلَّ شيءٍ لا يقدرُ على شيءٍ، ورأيتُ المُلْكَ غروراً، ورأيتُ الملكوتَ خِداعاً، وناديتُ يا علم، فلم يُجِبْني، وناديتُ يا معرفة فلم تُجِبْني، ورأيتُ كلَّ شيءٍ قد أسلمَني، ورأيتُ كلَّ خليقةٍ قد هربَ منّي، وبقيتُ وحدي، وجاءني العَمَلُ، فرأيتُ فيه الوهمَ الخفيّ والخفيَّ الغابرَ، فما نفعني إلا رحمةُ ربّي، وقال لي أين علمُكَ؟ فرأيتُ النارَ.

*

وقال لي: أين عملُكَ؟ فرأيتُ النارَ.

وقال لي: أين معرفتك؟ فرأيتُ النارَ. وكَشفَ لي عن معارفِهِ الفردانيةِ، فَخَمَدَتِ النارُ.

*

وقال لي: أنا وليُّكَ، فثبتُّ.

*

وقال لي: أنا معرفتُكَ، فنطقْتُ.

*

وقال لي: أنا طالبُكَ، فخرجْتُ.

*

وقال لي: إذا خرجتَ عن الحرفِ خرجتَ عن الأسماء، وإذا خرجتَ عن الأسماءِ خرجتَ عن المسمَّياتِ، وإذا خرجتَ عن المسمَّياتِ خرجتَ عن كلِّ ما بدا، وإذا خرجتَ عن كلِّ ما بدا قلتَ فسمعتُ ودعوتَ فأجبْتُ.

*

وقال لي: أَفِلَ الليلُ وطَلَعَ وجهُ السَّحَرِ وقامَ الفجرُ على السَّاقِ، فاستيقظي أيَّتُها النائمةُ إلى ظهوركِ، وقفي في مُصَلاَّكِ، فإنني أخرجُ من المحرابِ، فليكُنْ وجهُكِ أوّلَ ما ألقاهُ، فقد خرجتُ إلى الأرض مراراً، وعبرتُ إلاَّ في هذه المرّةِ، فإنني أقمتُ في بيتي، وأريدُ أن أرجعَ إلى السماءِ، فظهوري إلى الأرض هو جوازي عليها، وخروجي منها، وهو آخرُ عهدِها بي، ثم لا تراني ولا ما فيها أبدَ الآبدينَ، وإذا خرجتُ منها إن لم أمْسِكُها لم تَقُمْ، وأُحِلُّ المِنْطقةَ فينتثرُ كلُّ شيءٍ، وأنزعُ درْعي ولأُمتي فتسقطُ الحربُ، وأكشفُ البُرْقُعَ ولا ألبسه، وأدعو أصحابي القدماءَ كما وعدتُهمْ، فيصيرونَ إليَّ وينعمون ويتنعمون، ويرونَ النهارَ سرمداً، ذلك يومي، ويومي لا ينقضي.

*

وقال لي: بدنُكَ بعدَ الموتِ في مَحَلِّ قلبِكَ قبلَ الموتِ.

*

وقال لي: الأماني غَرْسُ العدوِّ في كلِّ شيء.

*

وقال لي: لو صلحتَ لشيءٍ ما أبديتُ لكَ وَجْهي.

*

أوقفني وقال لي: العلمُ على مَنْ رآني أَضَرُّ منَ الجهل.

*

وقال لي: القلبُ الذي يراني محلُّ البلاءِ.

*

وقال لي: إذا رأيتَني كان بلاؤك بعددِ كلِّ شيءٍ، وكان كلُّ شيءٍ بلاءَكَ.

*

وقال لي: يا من بلاؤه كلُّ شيءٍ، صرفت البلاء عنك بالعافية، والعافية داخلةٌ في الشيئية، والشيئية بلاءٌ، والبلاءُ والعافيةُ إذا رأيَتني عليكَ سواءٌ، فأيهما أصرفُ والصرف بلاء.

*

وقال لي: وعزّتي إن لي أعزاءَ لا يأكلون في غيبتي ولا يشربون ولا ينامون ولا ينصرفون.

*

وقال لي: وعزّتي لي أعزّاء ما لهم عيون فيكون لهم دموعٌ، ولا لهم إقبالٌ فيكونَ لهم رجوعٌ.

*

وقال لي: لي أعزاءُ ما لهم دنيا فتكُونَ لهم آخرةٌ.

*

وقال لي: كلَّما اتَّسعَتِ الرؤيةُ ضاقَتِ العبارة.

*

وقال لي: قفْ من وراءِ الكونِ، فرأيتُ الكونَ فجهلَ الكونُ فسألتُ الجهلَ فجهلَ الجهلُ.

*

وقال لي: الكونُ موقفٌ.

وقال لي: مَنْ لم يَسْتَقِرَّ في الجهلِ لم يَسْتَقِرَّ في العلم.

*

وقال لي: المعرفةُ التي ما فيها جهلٌ هي المعرفة التي ما فيها معرفةٌ.

*

أوقفني وقال لي: ما أنت قريبٌ ولا بعيدٌ ولا غائبٌ ولا حاضرٌ ولا أنت حيّ ولا ميّت، فاسمعْ وصيتي وإذا سمّيتك فلا تَتَسَمَّ وإذا حلّيتُكَ فلا تَتَحَلَّ ولا تذكرْني فإنك إن ذكرتني أنسيتك ذكري، وكشفَ لي عن وجه كلِّ شيء فرأيته متعلقاً بوجهه وعن ظهرِ كلِّ شيءٍ فرأيتُه متعلّقاً بأمرِهِ ونهيِهِ.

*

وقال لي انظر إلى وجهي، فنظرت، فقال ليس غيري، فقلت ليس غيرك.

*

وقال لي: انظرْ إلى وجهِكَ، فنظرتُ. فقال ليس غيرك، فقلت ليس غيري، فقال اخرجْ فأنتَ الفقيه، فخرجتُ أسعى في الفقهِ وصحَّ لي قلبُ العينِ فقلبتُها بالفقه وجئتُ بها إليه، فقال لا أنظر إلى مصنوعٍ.

*

أوقفني بين يديه وقال لي: ما رضيتُك لشيءٍ ولا رضيتُ لكَ شيئاً، سبحانَك أنا أسبّحُكَ فلا تسبّحْني، وأنا أفعلُكَ وأفعّلُكَ فكيف تفعلُني؟ فرأيت الأنوارَ ظلمةً والاستغفار مناوأةً والطريقَ كلَّهُ لا ينفذ، فقالَ لي: سبّحْكَ وقدّسْكَ وعظّمْكَ وغطِّكَ عني ولا تبرزْكَ فإنّكَ إن برزتَ لي أحرقتُكَ وتغطيّتُ عنك.

*

وقال لي: قد عرفتَ مكاني فلا تَدُلَّ عليّ، فرأيتُه قد حجَبَ كلَّ شيءٍ وأوصلَ كلَّ شيءٍ.

*

وقال لي: اصحَبِ المحجوبَ وفارق الموصول، وادخُلْ عليّ بغير إذن، فإنكَ إن استأذنتَ حجبتُكَ، وإذا دخلت إليّ فاخرج بغير إذن، فإنك إن استأذنْتَ حبستُكَ، فرأيتَ كلَّ ما أُظهرُ إبرةً وكلَّ ما أستر خيطاً.

*

وقال لي: اقعُدْ في ثقب الإبرة ولا تبرح، وإذا دخل الخيط في الإبرة فلا تمسِكْهُ، وإذا خرج فلا تمدّه، وافرَحْ فإني لا أحبّ إلاَّ الفرحانَ، وقل لهم قبلَني وحدي وردّكم كلّكم، فإذا جاؤوا معك قبلتهم ورددتُكَ، وإذا تخلّفوا عذرتُهم ولُمْتُكَ، فرأيت الناس كلهم براء.

*

أوقفني في الحجاب فرأيتُهُ قد احتجبَ عن طائفةٍ بنفسِه واحتجبَ عن طائفةٍ بخلقِهِ، وقال لي: ما بقيَ حجابٌ، فرأيت العيونَ كلَّها تنظرُ إلى وجهِه شاخصةً فتراه في كلِّ شيءٍ احتجبَ بِهِ وإذا أطرقتْ رأتْهُ فيها.

*

وقال لي: المماليكُ في الجنّة، والأحرارُ في النار.

*

وقال لي: إن لم تجالسْ إلاَّ نفسَكَ جالستُكَ.

*

وقال لي: يومُ الموتِ يومُ العرسِ، ويومُ الخلوةِ يومُ الأنسِ.

*

وقال لي: إن شغلتُكَ بدلالةِ الناس عَلَيَّ فقد طردتُكَ.

*

وقال لي: إن كان مأواك القبر فرشتُهُ لك بيدي، وإن كان مأواك الذكر نشرت عليك ذكري، وإن كنتُ أنا حسبُكَ فما فيّ قبر ولا ذكر ولا مسرح ولا وكر.

*

وقال لي: أنظرُ إليك في قبرِكَ وليسَ معَكَ ما أردتَهُ ولا ما أرادَكَ.

*

وقال لي: اسمعْ لسانَ العوالمِ الثبتيةِ في المبدياتِ المعنوية، وإذا هي تقول الله الله.

*

وقال لي: لا يسمعُها من هو فيها أو في الشواهد التي هِيَ فيها.

*

أوقفني في الاختيار وقال لي: كلُّهم مرضى.

*

وقال لي: إذا رأيتَ النارَ فَقَعْ فيها ولا تهرب، فإنك إن وقعتَ فيها انطفتْ، وإن هربتَ منها طلبتْكَ وأحرقتْكَ.

*

وقال لي: أنا أوقدُ النارَ باليد الثانية.

*

وقال لي: إذا كنتَ كما أريدُ في بعض الشيء فقد ركبتَ الخَطرَ، وإن تَحرّكَ بؤبؤُ عينِكَ ضرَّكَ.

*

وقال لي: اذكرْني كما يذكرُني الطفلُ، وادعُني كما تدعوني المرأةُ.

*

وقال لي: الحرفُ حجابٌ، وكلّيةُ الحرف حجابٌ، وفرعية الحرفِ حجابٌ.

*

وقال لي: لا يعرفني الحرفُ ولا ما في الحرف، ولا ما من الحرف ولا ما يدلُّ عليه الحرفُ.

*

وقال لي: المعنى الذي يخبر به الحرفُ حرفٌ، والطريقُ الذي يهدي إليه حرفٌ.

*

وقال لي: إذا علمتَ عِلْماً لا ضدَّ لَه وجَهِلْتَ جَهلاً لا ضدَّ لَه فَلَسْتَ من الأرضِ ولا من السَّماء.

*

وقال لي: إذا لم تكُنْ من أهْلِ الأرضِ لم أستعملْكَ بأعمالِ أهلِ الأرضِ، وإذا لم تكُنْ من أهلِ السماءِ لم أستعملْكَ بأعمالِ أهلِ السماء.

*

وقال لي: أعمالُ أهلِ الأرضِ الحرصُ والغفلةُ، فالحرصُ تعبّدهُم لنفوسِهِمْ والغفلةُ سكونُهمْ إلى نفوسِهِمْ.

*

وقال لي: أعمالُ أهلِ السماءِ الذكرُ والتعظيمُ، فالذكرُ تعبّدُهم لربِّهِمْ والتعظيمْ سكونُهم إلى ربِّهِمْ.

*

وقال لي: إذا جئتَني فألقِ ظهرَكَ وألقِ ما وراءَ ظهرِكَ، وألقِ ما قدّامَكَ وألقِ ما عن يمينِكَ وألقِ ما عن شمالِكَ.

*

وقال لي: لن تَلْقَى في موتك إلاَّ ما لقيته في حياتِكَ.

*

وقال لي: إنما اسمُكَ مكتوبٌ على وجهِ ما به تسكنُ.

*

وقال لي: قلوبُ العارفينَ ترى الأَبَدَ وعيونُهم ترى المواقيتَ.

*

وقال لي: أصحابي عُطُلٌ مما بدا، وأحبابي من وراءِ اليوم وغداً.

*

وقال لي: التقطِ الحكمةَ من أفواهِ الغافلينَ عنها، كما تلتقطُها من أفواهِ العامدينَ لها، إنك تراني وحدي في حكمةِ الغافلينَ لا في حكمةِ العامدين.

*

وقال لي: اكتبْ حكمةَ الجاهلِ كما تكتُبُ حكمةَ العالمِ.

*

وقال لي: قل لسريرتِكَ تقفْ بين يديّ لا بشيءٍ ولا لشيءٍ أجعلِ الملكوتَ الأكبرَ من ورائِكَ وأجعلِ المُلْكَ الأعظمَ تحتَ رجليكَ.

*

وقال لي: ربٌّ حاضرٌ وقلبٌ فارغٌ وكونٌ غائبٌ، هذه صفةُ مَنْ أستحيي منه.

*

وقال لي: العلمُ المستقرٌّ هو الجهلُ المستقرٌّ.

*

وقال لي: أعدى عَدُوٍّ لكَ إنما يحاولُ إخراجَكَ من الجهلَ لا من العلم.

*

وقال لي: الحرفُ فَجٌّ إبليسَ.

*

وقال لي: بقيَ علمٌ بقي خَطَرٌ، بقي قلبٌ بَقِيَ خَطَرٌ، بَقِيَ عقلٌ بقيَ خطرٌ، بَقِيَ همٌّ بقي خطرٌ.

*

وقال لي: مَعْناكَ أقوى من السماءِ والأرضِ.

*

وقال لي: معناكَ يُبصِرُ بلا طرفٍ ويسمعُ بلا سمع.

*

وقال لي: معناكَ لا يسكن الديارَ ولا يأكل من الثِّمارِ.

*

وقال لي: معناكَ لا يُجِنُّهُ الليلُ ولا يَسرحُ بالنَّهارِ.

*

وقال لي: معناك لا تُحيطُ بهِ الألبابُ ولا تتعلَّقُ بهِ الأسبابُ.

*

وقال لي: إن لم تقفْ وراء الوصفِ أَخذَكَ الوصف.

*

وقال لي: أقوى القوّةِ جهلٌ لا يميلُ، فمَنْ دامَ فيه دامَ في القوّة، ومَنْ تميّلَ فيه تميّلَ في القوّة.

*

وقال لي: كلَّما قَوِيْتَ في الجهلِ قَوِيْتَ في العلم.

*

وقال لي: إن أردتَ وجهي ركبتَ القوّة.

*

وقال لي: أبناءُ همِّكَ جمعٌ ويفترقونَ بالشَّهَوات، أبناءُ عِلْمِكَ جمعٌ ويفترقونَ بالشَّهَوات، أبناءُ عملِكَ جمعٌ ويفترقون بالشهوات، أبناءُ شهوتكَ

جمعٌ ويفترقونَ بالتركِ، والتاركونَ أبناءُ ما من أجلِهِ تركوا، والآخذونَ أبناءُ ما من أجلِهِ أخذوا.

*

وقال لي: إن لم تكُنْ في أمري كالنارِ أَدْخَلْتُكَ النارَ.

*

وقال لي: انظرْ الى النار كيف هي لي لا ترجعُ، فكذلكَ كُنْ لي لا ترجعُ قولاً ولا فعلاً.

*

وقال لي: لا تجعلِ الكونَ من فوقكَ ولا من تحتِكَ ولا عن يمينكَ ولا عن شمالك، ولا في علمِكَ ولا في وَجْدِكَ، ولا في ذكرك ولا في فكرك، ولا تعلّقْه بصفةٍ من صفاتكَ، ولا تعبر عنه بلغةٍ من لغاتِكَ، وانظرْ إليّ من قبله، فذلك مقامُكَ فأقمْ فيه ناظراً إليّ، كيف كوّنتُ وكيف أُكوِّنُ وكيفَ قلبتُ ما أكوّن، وكيف أشهدتُ وغيّبت في ما قلبتُ، وكيف استوليتُ على ما أشهدتُ، وكيف أحطتُ على ما استوليتُ، وكيف استأثرتُ فيما أحطتُ، وكيف فتُّ في ما أستأثرتُ، وكيف قربتُ فما فتُّ، وكيف بعدتُ في ما قربت، وكيف دنوتُ في ما بعدتُ، فلا تَمِلْ مع العائلاتِ، ولا تَمِدْ مع المائداتِ، وكن كأنك صفةٌ لا تتميّلُ ولا تنزيّلُ.

*

وقال لي: هذا مقامُ الأمانِ والظلِّ، وهذا مقامُ العقدِ والحلّ.

*

وقال لي: هذا مقامُ الولايةِ والأمانةِ.

*

وقال لي: هذا مقامُكَ فأقمْ تكُنْ في إحسانِ كلِّ محسنٍ وفي استغفار كلِّ مستغفرٍ.

*

يا عبدُ أنا لِما عَرَاكَ خيرٌ من فكرِكَ، وأنا على ما طَرَقَكَ أقوى من دَفْعِكَ.

*

يا عبدُ انتقلْ ببطنكَ عن بطون المترفينَ ذوي الشهواتِ المحجوباتِ عن الكراماتِ، وذوي الإراداتِ الموصولاتِ بالمَهانات.

*

يا عبدُ اجعلْ بطنَكَ كبُطونِ الصالحَين واجعلْ قلبك كقلوبُهم.

*

يا عبدُ اقصدْني بمالِكَ وأهلِكَ وعلمِكَ وجهلِكَ.

*

يا عبدُ همُّكَ المحزونُ عَلَيَّ كَشَجَرَة طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّماءِ.

*

يا عبدُ ما كنتَ تعلمُ عِلْمَ همّكَ المحزونِ عَلَيّ، هو تحتَ كافِ التَّشبيهِ كالشعاعِ تحتَ السَّحابِ.

*

يا عبدُ اجعلْ لي من بيتكَ وطناً كما جعلتَ لذكري من قلبِكَ وَطَنَاً.

*

يا عبدُ شيءٌ كانَ، وشيءٌ يكونُ، وشيءٌ لا يكون، فشيءٌ كان حُبِّي لكَ، وشيءٌ يكونُ تراني، وشيءٌ لا يكونُ لا تعرفُني معرفةً أبداً.

*

يا عبدُ الهمُّ المحزونُ كالمِعْوَلِ في الجدار المائلِ.

*

يا عبدُ إذا بَدَتِ الرؤية تَبْقى فتذرُ فما رأيتني، وإذا بَدَتْ لا تبقي ولا تَذرُ فقد رأيتني، وأنا النَّصُوحُ، ما لمَلِكٍ خلقتُكَ، ولا لنبيٍّ صنعتُكَ، ولا على

مَدرْجـةٍ وقفتُـكَ، ولا لمُلْـكٍ ومَلْكـوتٍ بنيتُـكَ، ولا لعلـمٍ صـنعتُكَ، ولا للحِكمْـةِ أظهرتُـكَ، ولا لغيـري أردتُـكَ، أظهرتُـكَ لـي وحـدي، فجريـت بـإذني، وقلبتُـكَ فانقلبتَ على الثبتِ الذي شئتُه، والثبتُ سترُكَ الأصليُّ، وتحتَهُ ثَبَتتِ الفروعُ كلُّها، وبدأتُ فأخرقتُ السِّتْرَ وما تحته، ونصبتُ الإخراقَ سِتْراً بينـي وبينك، وإنمـا قلـتُ لك أبـدو لأعرّفَكَ، إنمـا يبـدو مـن يغيـبُ ويغيـب مـن يبـدو، وأنـا الدائمُ صفتُه، المنزَّهُ عن بدوٍ وغيبةٍ، وإنما أبديكَ وأخفيكَ وأفرشُك وأطويكَ، وأقول لكَ بدأتُ لم يسبقْني إليكَ سابقٌ، وظهرتُ لا حقيقة من دونـي قائمـةً، إلـيَّ مُنتهى ما أحققتُه، فإذا انتهى فلا هو وأنا فيما هو، وفيما لا هو كما أنا، فقِفْ لي، أنتَ جسري ومدرجةُ ذكري، عليكَ أعبرُ إلى أصحابي.

*

يا عبدُ ويا كُلَّ عبدٍ قفْ في موقفِ الوقوفِ، وانظرْ إلى كلِّ شيءٍ واقفاً بين يديَّ، وانظرْ إلى كُلِّ واقفٍ كيف لَهُ مقامٌ لا يعدوه، وانظرْ الى السماءِ كيف تقفُ وكلَّ سماءٍ، وانظرْ إلى الأرضِ كيفَ تقفُ وكلّ أرضٍ، وانظرْ إلى الماء كيفَ يقفُ وكلَّ ماءٍ، وانظرْ إلى النارِ كيف تقفُ وكلَّ نارٍ، وانظرْ إلى العلمِ كيفَ يقفُ وكلَّ علمٍ، وانظرْ إلى المعرفةِ كيف تقفُ وكلَّ معرفةٍ، وانظرْ إلى النورِ كيفَ يقفُ وكلَّ نورٍ، وانظرْ إلى الظُّلْمةِ كيف تقفُ وكل ظلمةٍ، وانظرْ إلى الحركةِ كيفَ تقفُ وأينَ تقفُ، وانظرْ إلى الآخرةِ كيفَ تقفُ وأين تقفُ، وانظر إلى داري كيفَ تقفُ وأينَ تقفُ، وانظرْ إلى دار أعدائي كيفَ تقفُ وأين تقفُ، وانظرْ إلى الذكرِ كيف يقفُ وأين يقفُ، وانظرْ الى الأسماءِ كيفَ تقفُ وأين تقفُ، وانظرْ الى قلبِكَ أينَ وقفَ فهو من أهلِ ما وقفَ فيه، إنَّ لي قلوباً لا تقفُ في شيءٍ ولا يقفُ فيها شيءٌ، هي بيتي وهي بيني وبين كلّ واقفٍ من الملك والملكوت، هي تليني

وكلٌّ واقفٍ يليها، تلك التي لا تستطيعُها العلومُ ولا تقومُ لأنوارِها المعارفُ ولا تَسَعُها الأسماءُ.

*

وقال لي: قد أشهدتُكَ هذا المقامَ فاشهدْه بعدَ كلِّ وِتْرٍ.

*

وقال لي: نَمْ فيه، فإن لم تستطعْ فَنَمْ عليهِ، فإن لم تستطعْ فَنَمْ في جوارِهِ.

*

وقال لي: سُدَّ بابَ قلبكَ الذي يدخلُ منه سواي لأن قلبَكَ بيتي، وقُمْ رقيباً على السَّدِّ، وأقمْ فيه إلى أن تلتقي، فَبِي أقسمتُ وبجلالِ ثنائي في كرم آلائي حَلَفْتُ، إنّ البيوتَ التي تُبْنى على السدِّ بيوتي، وإن أهلَها أهلي وأعزّتي.

*

يا عبدُ من رآني جاز النُّطْقَ والصَّمْتَ.

*

يا عبدُ ثبتَ لك الحرفُ ما أنتَ منّي ولا أنا منك، عارضَكَ الحرفُ ما أنتَ منّي ولا أنا منك.

*

يا عبدُ جعتَ فأكلتَ ما أنتَ منّي ولا أنا منكَ، عَطِشْتَ فَشَرِبْتَ ما أنتَ منّي ولا أنا منك.

*

يا عبدُ لما أعطيتُ شَكَرتَ ما أنتَ منّي ولا أنا منكَ.

*

يا عبدُ رأيتني فَنُمْتَ ما أنتَ منّي ولا أنا منكَ.

*

يا عبدُ ناجيتُكَ فطلبتَ ما أنت منّي ولا أنا منكَ، أحضرتُكَ فسألتَ ما أنت مني ولا أنا منكَ.

*

يا عبدُ ذكرتَني لتحرسَ دنياكَ ما أنتَ منّي ولا أنا منكَ.

*

يا عبدُ فَقَّهتُكَ فتأوّلتَ ما أنت منّي ولا أنا منك، شكوتَ إلى سِوايَ ما أنتَ منّي ولا أنا منكَ، لم ترضَ إذا رضيتَ ما أنت منّي ولا أنا منكَ، لم تغضبْ إذا غضبتَ ما أنت منّي ولا أنا منكَ.

*

يا عبدُ قُلْ أعوذُ بوحدانيّةِ وصفِكَ من كلِّ وصفٍ، وأعوذُ برحمانيّةِ برِّكَ من كلِّ عَسْفٍ.

*

يا عبدُ قُلْ أعوذُ بذاتِكَ من كلِّ ذاتٍ.

*

يا عبدُ قُلْ أعوذُ بوجهِكَ من كُلِّ وجهٍ.

*

يا عبدُ قُلْ أعوذُ بقربِكَ من بُعْدِكَ، وأعوذُ ببعدِكَ من مَقْتِكَ، وأعوذُ بالوَجْدِ بكَ من فَقْدكَ.

*

يا عبدُ اجعلْ ذَنْبَكَ تحتَ رِجلَيْكَ واجعلْ حسنتَكَ تحتَ ذَنْبِكَ.

*

يا عبدُ مَنْ رآني عرفَني وإلاَّ فلا، من عَرَفَني صَبَرَ عَلَيَّ وإلاَّ فلا.

*

يا عبدُ مَنْ صَبَرَ عن سوايَ أبْصَرَ نعمتي وإلاَّ فلا.

*

يا عبدُ مَنْ أَبْصَرَ نِعْمتي شكَرَني وإلاَّ فلا.

*

يا عبدُ من شَكَرَني تَعَبَّدَ لي وإلاَّ فلا.

*

يا عبدُ من تَعَبَّدَ لي أخلصَ وإلاَّ فلا، مَنْ أخْلَصَ لي قَبِلْتُهُ وإلاَّ فلا، من قَبِلْتُهُ كلمتُهُ وإلاَّ فلا.

*

يا عبدُ من كلَّمتُهُ سَمِعَ منّي وإلاَّ فلا، مَن سَمِعَ منّي أجابَني وإلاَّ فلا، من أجابَني أسرعَ إلَيَّ وإلاَّ فلا، مَنْ أَسْرعَ إلَيَّ جاورني وإلا فلا، من جاورني أجَرتْهُ وإلاَّ فلا، من أجَرَتْهُ نَصرْتُهُ وإلاَّ فلا، من نَصَرْتُهُ أعززتُهُ وإلاَّ فلا.

*

يا عبدُ من عرفَني سامَرَ الخَطَرَ، ومن سامَرَ الخَطَرَ مقتَ نفسَهُ وإن ذكرَ.

*

يا عبدُ لا تنظر إلى ما أبديهِ بعينِ ما يعودُ عليك تستغني من أوّلِ نظرِهِ، ولا تَذَلُّ لشيءٍ.

*

يا عبدُ إذا بدوتُ لكَ فلا غنى ولا فقرَ.

*

يا عبدُ أنتَ رِقُّ ما استَولى عليكَ.

*

يــا عبــدُ ابــنِ لقلبِــكَ بيتــاً جُدرانُــهُ مواقــعُ نظــري فــي كــلِّ مشــهودٍ، وسـقفُهُ قيّوميّتي بكلِّ موجودٍ، وبابُهُ وجهي الذي لا يغيبُ.

*

يا عبدُ اهدمْ ما بنيتَهُ بيدِكَ قبلَ أن أهْدِمَهُ بيدي.

*

يا عبدُ انظرْ لما تنتظرُ فَرَجي، اتَّقِني لا تنتظرْ فَرَجاً منّي.

*

يا عبدُ بنيتُ لك بيتاً بيدي إن هدمتَ ما بنيتَهُ بيدِكَ.

*

يا عبدُ إذا رأيتَني فلا والدَ يستجرُّكَ ولا ولدَ يستعطفُكَ.

*

يا عبدُ إذا رأيتني في الضدّينِ رؤيةً واحدةً فقد اصطفيتُكَ لنفسي.

*

يا عبدُ وَلِّني أمْرَكَ بطَرْحِ أمرِكَ.

*

يا عبدُ الغيبةُ أن لا تراني في شيءٍ، الرؤيةُ أن تراني في كلِّ شيءٍ.

*

يا عبدُ اجعلْ لي يوماً ولكَ يوماً، وابتدئ بيومي يحملْ يومُكَ يومي.

*

يا عبدُ اصبرْ لي يوماً أَكْفِكَ غلبةَ الأيام.

*

يا عبدُ إذا لم تَرني تَخَطَّفَكَ كلُّ ما تَرَى.

*

يا عبدُ إن لم تنظرْ إلَيَّ في الشيءِ نظرتَ إليهِ.

*

يا عبدُ يومُكَ هو عمرُك.

*

يا عبدُ الداءُ والدواءُ للغافلِ.

*

يا عبدُ لا في الرؤيةِ صمتٌ ولا نطقٌ، إنّ الصمتَ على فكرٍ، وإنّ النطقَ علـى قَصْدٍ، وليسَ في رؤيتـي فكرٌ فيكونَ عليـه صمتٌ، ولا قصدٌ فيكونَ عليه نطقٌ.

*

يا عبدُ عُكوفُكَ على الدنيا أحسنُ من عبادتِكَ للآخرة.

*

يا عبدُ قيمةُ كلِّ امرئٍ حديثُ قلبهِ.

*

يـا عبـدُ إذا رأيتَنـي فاهدمْ أوطـارَكَ وأخطـارَكَ، فـوعزّتي لا يـزولُ الخطـرُ حتّى يزولَ الوطرُ.

*

يا عبدُ إذا رأيتني فاكظمْ علي رؤيتي، لا أردُّكَ إلى علمٍ من علومِ السَّماءِ والأرضِ، أحجبُك بهِ عنّي ما بقيتَ.

*

يا عبدُ إذا رأيتَني فَلَفْظُ ربٍّ خاطرٌ، وحجابُكَ خاطرٌ.

*

كـذلكَ أوقفَنـي الـربُّ وقـال لـي: قُـلْ للشـمسِ أيتهـا المكتوبـةُ بقلـمِ الـربِّ أَخْرِجي وجهك وابسطي من أعطافِكِ وسيري حيث ترين فرحَكِ علـى همِّك، وأرسلي القمرَ بينَ يديكَ، ولتحدقْ بِك النجومُ الثابتةُ وسيري تحتَ السحاب، واطلعي على قعور المياه، ولا تغربـي فـي المغرب ولا تطلعي فـي المشرقِ،

وقفي للظل، إنما أنتِ مرحمةُ الربِّ وقدسُه، يرسلُكِ على من يشاء، ذلك هدى اللهِ يهدي به مَن يشاء، كذلك يُنزلُ اللَّهُ الوحيَ، فانقلي أيتها الثاويةُ واطمأنّي أيّتها المتوارية فقد أُلْقيَتِ الأزمّةُ وقدَّمَ الربُّ بين يديكِ نجواه.

*

كذلكَ يقولُ الربُّ اطلعي أيتها الشمسُ المضيئةُ، فقد سلختُ الليلَ، وانبسطي على كل شيءٍ، ينبت الزرع وتُؤتي كلُّ شجرةٍ أُكُلَها بإذنِ ربِّها، ويخرجُ إليك اليتيمُ فيطولُ، ويجتمعُ إليك الدعاةُ وترينَ نوري كيف يُزهِرُ، فخذي أهبتَك أيتها الخارجة وتزوّدي للسفر، إنما أنت نورُ الربِّ قال له الربُّ لتقيمَ للناسِ حكماً عادلاً تثبتُهم، وتركنَ إليكِ قلوبُ المؤمنينَ ويقوى الضعفاءُ بكِ فيدافعون عن أنفسِهم ما يخافونَ.

*

أيتُها النائمةُ هلمّي فاستيقظي، وأبشري فقد أُنزِلَتِ المائدةُ ونبعتْ عليها عيونُ الطّعام والشرابِ، وسوفَ يأتونَكِ فيرونـي عن يمينِكِ وشمالِكِ، ويكونون أعوانَكِ ويغلبونَ لأنّ الذي يقاتلهُم يقاتلُني وأنا الغلوبُ، وانفسحي يا محصورةُ فقد أُطلِقَ أسرُكِ، وفُتِحَتْ الأبوابُ عليكِ، فتزيّني وزيّني الشعوبَ ببهائي، فقد أُذهِبَ عنكَ الحُزنُ وملأتُ قَلبكِ بالفرحِ، وسوف يصطفّونَ صفّاً لقُدومي وأقدمُ بغتةً، فلا تدهشين، ولا تتحيّرينِ، فلستُ أغيبُ بعدَ هذه إلاَّ مرةً، ثم أظهرُ ولا أغيبُ وترينَ أوليائي القدماءَ يقيمونَ ويفرحونَ.

*

أوقفني في الصمت وقال لي:

إنّ لي عباداً صامتينَ رأوا جلالي، فلا يستطيعونَ أن يُكلّموه، ورأوا بهائي، فلا يستطيعون أن يُسبِّحُوه. فلا يزالونَ صامتينَ حتّى آتيَهُمْ فأُخْرِجَهُمْ من مقامِ صمتهم إلَيَّ. فمن صمتَ عنّي، فهو عبديَ الصامتُ.

*

وقال لي: اصمُتْ لي ما استطعتَ، تكُنْ أولَ مَنْ يُدعي إِلَيَّ إذا جئتُ.

*

وقال لي: عبديَ الصامتُ أتلقاهُ قبل موقِفِهِ وأشيّعهُ إلى دارِهِ.

*

وأوقفني في النطق وقال لي:

إن لي عباداً ناطقينَ ما كلَّمُوا سوايَ ولا يُكَلّمون. فمن كَلَّمَني ولم يُكَلّمْ سوايَ، فهو عبدي الناطقُ.

*

وقال لي: كلّمْني ولا تكلّمْ سِوايَ ما استطعتَ: أجعلَ لَكَ شفاعةً.

*

وأوقفني في النطق والصمت تارةً وتارةً وقال لي:

ما وقفَ فيه ناطقٌ ولا صامتٌ. فمن نطقَ وصمتَ فهو من أهلِ معرفتي التي عنها نطقَ وصمتَ.

*

وقال لي: بين النُّطْقِ والصَّمْتِ برزخٌ فيه قبرُ العقلِ وفيه قبورُ الأشياءِ.

*

وأوقفني في الحزنِ، وجاءَني بكلِّ حزينٍ، فرأيتُ كلَّ حزينٍ على فوته، لا على شيءٍ منه، ولا على شيءٍ به، ولا على شيءٍ له. ورأيتُ كلِّ حزينٍ لا يحزنُ على فوتهِ إلا أن يراه. ورأيتُ كلَّ مَنْ رآه، لا يحزنُ على فوتهِ أو يجالسُهُ. ورأيتُه يفوتُ الجلساءَ، ويفوتُ كلَّ من يرى، ويفوتُ العلمَ والعلماءَ، ورأيتُ الفوتَ صفتَهُ، ورأيتُ الحزنَ لا يبرحُ، ورأيتُ باباً من أبواب رؤيتهِ مفتوحاً إلى الحزنِ. ولم أرَ في الحزن باباً من أبوابِ مجالستِهِ. فكانتْ رؤيتُه هي القيوميّةُ بالمحزونينَ. ولولا هي، لما أقامَ في الحزنِ حزينٌ.

*

وقال لي: لا تقفْ في الحزنِ، فتأخذَكَ عنه البشرى. ولا تقفْ في البشرى، فيأخذَكَ عنها الأمنُ. وقفْ لي وقفْ بي. إنّما البشرى لسانٌ من ألسِنةِ رضاي: فلا تذهبْ به عنّي، وإنّما الحزنُ لسانٌ من ألسِنةِ حفظي لك، فلا تذهبُ به عنّي. وقفْ لي: تنظرْ إلى حفظي وتنظرْ إلى رضاي. فاحملْ بي حفظي، لا يأخذْكَ عنّي. واحملْ بي رضاي، لا يأخذْكَ عنّي. كذلك تقفُ الجلساءُ بين يَدَيَّ، وكذلك يَطْلُعُ نوري على قلوبِ الناظرينَ إلَيَّ.

*

وقال لي: عينُ البشرية جسدٌ محتاجٌ؛ حُكْمُ البشريةِ طبعٌ غافلٌ.

*

وقال لي: إن دمتَ في رؤيتي، أوحشتُكَ منك، كما تستوحشُ من عدوِّكَ.

*

أوقفني في الاستواء وقال لي:

سبقتُ إلى الجزئيات: فبي تجزأتْ، لا بالحدّ. وسبقتُ إلى الحدِّ: فبي تحدَّدَ، لا بالمكان، وسبقتُ إلى المكانِ: فبي تمكّنَ، لا بالمسافةِ، وسبقتُ إلى المسافة: فبي سافتْ، لا بالفضاء. وسبقتُ إلى الفضاء: فبي تَفَضَّأَ، لا بالهواءِ. وسبقتُ إلى الهواء: فبي كانَ هواءً، لا بالهباءِ. وسبقتُ إلى الهباءِ: فبي كانَ هباءً، لا بالإبداءِ. وسبقتُ إلى الابداءِ: فبي كان إبداءً، لا بالمدى.

*

اعلمْ كلّ شيءٍ ولا تحدّثْهُ: تحكمْ عليه ولا يحكمْ عليكَ.

*

الجهلُ خاطرٌ في العلم، والعلمُ خاطرٌ في المعرفة، والمعرفةُ خاطرٌ في التعرف، والتعرُّفُ خاطرٌ في الوقفة، والوقفةُ منتهى: والمنتهى لا خَطَرٌ ولا خاطِرٌ.

*

والعقلُ آلةُ العلم بها يتصرَّفُ، والعلمُ آلةُ المعرفةِ، والمعرفة آلـةُ التعرُّف. وليسَ التعرّفُ آلـةً، ولا الوقفةُ آلـةً. ولكلِّ آلـةٍ يدانِ، ولكلِّ يدٍ قَبْضٌ وبَسْطٌ؛ وفي القبض والبسطِ شواهدُ الاختلاف. وما ليسَ بآلةٍ، فلا اختلافَ فيه.

*

يا عبدُ من رآنـي فلا لباسُه الليل ولا معاشُهُ النهار. إلَـيَّ موئلُه أين دارَ، ولَدَيّ مرجعُه أين سارَ.

*

إلهي! أعرضَ سواكَ، فلا أُقبِلُ، وأَقبلَ برُّكَ، فلا أُعرِضُ. فباللطفِ الذي أشهدتَ بـه قربَكَ، وبالقربِ الذي أوجدتَ بـه لطفَكَ أَعِذْني من سواكَ أين سريتُ، وأقرِرْني بالطمأنينةِ بذكرِكَ أينَ قَرَرتُ.

*

إلهي! رجعتْ رواجعُ سواكَ عن الحجابِ عنكَ، وظهرتْ ظواهرُ الحجابِ عن قوّتِكَ، وبطنتْ كلُّ باطنـةٍ على الجهلِ بمعرفتِكَ. لا يهتدي إليك العلومُ فيعرفَكَ العارفونَ. ولا تدلُّ عليك الأعلامُ فيقصدَكَ العارفونَ. فأنتَ أنتَ تعلمُ العلمَ، ولا يعلمُكَ، وتعرفُ المعرفةَ، ولا تعرفُكَ. لكَ المنّةُ بسَبْقٍ منك، ولك الحُجَّةُ بشواهدِ العَجْزِ عن حقِّكَ.

*

إلهي! أَثبتْني في مثبّتاتِكَ التي أقبلتَ عليها بوجهِكَ، وأدبرتَ بها عن نظر سواكَ، فدانتْ لك بِدينك، فانتهتْ إليك بِتعرُّفِكَ.

*

إلهي! أرِنيكَ في تقليبِكَ، وأشْهِدْنيكَ في ترتيبِكَ وأوجِدْني بك في إشهادِكَ حتى لا تكون عَلَيَّ لسواكَ ربانيّةُ الحكم، ولا رهبانيّة العلم، ولا معنويةُ الاسم.

*

إلهي! أنت أعلمُ بي بما بَرأْتَني، فأنتَ أعرفُ بدواعي نفسي بما اخترعتَني. وأنت مولايَ الغنيُّ عنّي، كيف صرفَتني. وأنت ربّي، أنتَ أرحمُ الراحمينَ بي كيف قلبتَني.

*

إلهي! أوحشْني من كلِّ شيءٍ بأُنْسِ نِعمتِكَ، وأرِني في كلّ نعمتك وجوهَ معارفكَ، وتولَّني في معارفك بعلوم ربانيتكَ! وأَرِني أنوارَكَ بتبصيرِ هداياتِكَ، فلا أرى ما رأيتُ إلا بنظري، ولا أطوي ما طويتُ إلا بإذنِكَ.

*

إلهي! عزَّت أوصافك عن حروفِ الناطقينَ، وعلتْ أذكارُ قدسِكَ على أفكار الصامتينَ. فما سبحتْكَ خليقةٌ إلاَّ وتسبيحُكَ أكبرُ، ولا حمدتْكَ بريةٌ إلاَّ وثناؤك أعظمُ.

*

إلهي! أنت الغنيُّ، فلا يُستطاعُ وصفُ غناك، وأنتَ المنعمُ، فكلٌّ شيءٍ عاجزٌ عن شكرِ نعماك.

*

إلهي! اعصمْني بعصمَتكَ الكالية، واكنفني بكلايِتكَ الحافظِة، ونَوِّرْ قلبي بأنوارِ قربكَ وثبّته على معرفِتكَ بأعلامِ هدايتِكَ.

*

إلهي! أنت الدليلُ على دلالاتك، وأنت المُبينُ على تبيانِكَ وآياتِكَ، وأنت الظاهرُ: فبظهورِكَ ظهرَ إظهارُكَ. وأنتَ الموجودُ: فبوجودكَ وُجدتْ أخبارُكَ.

*

إلهي! رجعت المعارفُ من دونِ معرفِتكَ حيّرة، ورجعتْ أبصارُ القلوب من دون بهاء عظمِتكَ كليلةً، وعادتْ مبالغُ ما انتهتْ إليه العلومُ دون

مرامك جَهولةً: فأنتَ سابقُها بالفَوت، فلا دَرَكَ لها في العلمِ، وأنت حاصرُها بالحدّ، فلا خروج لها عن الجنس.

*

إلهي! أسلَمَ كلُّ شيءٍ لربّانيّتك، واستسلمتْ كلُّ ربانيةٍ لبهاءِ عزتك، وذلَّتْ كلُّ عزةٍ لبهاء سلطانك، وخشعَ كلُّ سلطانٍ لحياطةِ قيوميتك: فلا قوةَ إلاَّ بحولكَ، ولا حولَ إلّا بقوّتك، ولا حولَ ولا قوة إلاَّ بك.

*

إلهي! سَجَدتِ الأنوار لنورِكَ، وسبَّحتِ الأذكارُ لذكرك، وحارتْ كلُّ قدسيةٍ في قدسيتكَ، وعجزتْ كلُّ ناطقةٍ عن الثناءِ عليك، وتاهتْ كلُّ صامتةٍ عن حقائق الاعتراف بحقِّكَ.

*

إلهي! أسْفَرَتِ الظواهرُ والبواطنُ عن نِعَمِكَ، فلا يصفُها الواصفونَ، وسلّمتِ العلومُ والمعارفُ لأمرِكَ، فما يحيطُ به العالمونَ.

*

إلهي! أقرّتْ لكَ كلُّ شاكلةٍ، وخضعتْ لكَ كلُّ مائلةٍ، ووقفتْ على باب رجائك كلُّ سائلةٍ، وبادتْ لدوام بقائك كلُّ بائدةٍ، ولاذتْ بحريم غناك كلُّ عاطلةٍ وشاغلةٍ رجاء لثوابكَ، وخيفة من عقابِكَ، إن رحمتَ فبرحمانيتك، وإن عاقبتَ فبوجوب حجّتِكَ.

*

الهي! محتْ رحمانيتُكَ آثار كلِّ جريرةٍ، ودرستْ رأفتُكَ آثار كلِّ سيئةٍ، وأسفرتْ وجوهُ عفوك عن محبتِكَ للمغفرة، وعادتْ عوائدُ طَوْلِكَ بعظيم المسامحة.

*

إلهي! عجزتِ العباراتُ عن أذكارِكَ، وقَصّرَ كل طَولٍ عن شكر نعمائِكَ، وأحاطتْ بكل إحاطةٍ أيدي أقدارك.

*

إلهي! أعوذُ بك من حَيرة الأمل، وأدفعُ بك شنارَ الطمعِ، وأبرأُ إليكَ من موجباتِ الغفلة، وأعوذُ بفِناء عزّك أن تأخذَني الغرّةُ أو تستضيمَني الفترة.

*

إلهي! أنتَ الذي لا يحيطُ بذكر برّكَ حياطةُ العلوم، ولا يقومُ بمعرفةِ آلائك مبالغُ المعارف.

*

إلهي! حكمتْ على كلِّ حكمةٍ حكمتُكَ، واستولتْ على كلِّ ولايةٍ بيّنتُك، وعصفَ على كلّ ريحٍ إثارتك، وختمتْ على كلِّ تكوينٍ خواتمُكَ، وسبقتْ كلَّ شيءٍ رحمتُكَ.

*

إلهي! أنّى ترومُكَ الأقطارُ وأنت مُصرِّفُها بقدرتك؟ أم كيف تحيطُ بكَ الأفكار وأنت مقلبُها بمشيئتِك؟

*

رجعتْ رواجعُ كلِّ شيءٍ على العجز عن صفاتِكَ، وأدبرَ وجهُ كلِّ شيءٍ عن حقائقِ الإقبالِ على ذكرك.

*

إلهي! لا تغلقْ عنّي أبوابَ دعائِكَ، ولا تختمْ على قلبي بطابعِ حجابِكَ، ولا تكلْني إلى تردُّدِ نفسي في جارياتِ تقليبك.

*

إلهي! أنت الظاهرُ، فلا يشبهُكَ ما ظهرَ؛ وأنت الباطنُ، فلا يشبهُكَ ما بطنَ، وأنتَ العالمُ، فما تشبهُكَ العلومُ؛ وأنت المتعرفُ، فلا تشبهُك المعرفةُ.

*

إلهي، أنت! فلا أشباهَ تماثُلك، ولا أمثالَ تشاكُلكَ، ولا شواكلَ تجانسُكَ.

*

إلهي! أنتَ الدائمُ، فمن أدمتَه في صالحةٍ فهي محلُّه الذي فيه حَبْسُهُ؛ ومن أَدَمْتَهُ في سيئةٍ فهي مَوئلُه إلاَّ أن تجيرَهُ.

*

الناس أشتاتٌ، والدهرُ ميقاتٌ، والميقاتُ عاداتٌ، والعاداتُ زلاّت، والزَّلاّتُ حُجبٌ، والحجبُ حدودٌ؛ ولكلِّ حدٍّ بابٌ، ولكلِّ بابٍ طريقٌ، ولكلِّ طريقٍ نفاذٌ، ولكلِّ نفاذٍ وصولٌ، ولكلّ وصولٍ علم: من انتهى إليه لم يجهلْ.

*

العلمُ كلُّه طريقٌ إلى العمل، والعملُ كلُّه طريقٌ إلى الجزاء، والجزاءُ كلُّه طريقٌ إلى القسمة، والقسمةُ كلُّها طريقٌ إلى الجفاء، والجفاءُ طريقٌ إلى الحجاب.

*

وقال لي: مقامي في كلِّ جزئيةٍ أُثبتُها في معناها، ومقامي في كلِّ معنويةٍ أجريها في مجراها، ومقامي في كلِّ جاريةٍ أوردُها على منتهاها، ومقامي في كلّ نهايةٍ أردُّها إلى أوّلِها.

*

وقال لي: لولا العارفونَ أخذتُ الكلَّ، ولولا المعرفةُ أخذتُ العارفينَ، ولولا الكرمُ أخذتُ المعرفة.

*

وقال لي: العابدونَ أوتادُ الأرضِ، والعارفونَ أوتادُ الذكرِ.

*

الفهرس

مكتبة بغداد

❖ إذا رأيتَ عالماً يلوذ بباب سُلْطانٍ فاعلم أنه لص.

(سفيان الثوري)

❖ أريد سفراً ما سافرته قط!..
أريد أن أسلك طريقاً ما سلكته قط!..

(حبيب العجمي)

❖ وقال لي: كلَّما اتَّسعَت الرؤيةُ ضاقَت العبارة.
❖ وقال لي: المعرفةُ التي ما فيها جهـلٌ هي المعـــرفة التي ما فيها معرفةٌ.
❖ وقال لي: المماليكُ في الجنّة، والأحرارُ في النار.

(محمد بن عبد الجبّارالنفّري)

❖ تزهو الأرض بالمتصوفة، كما تزهو السماء بالنجوم.

(أبو القاسم الجنيد)

❖ عبِّر بلسانك عن حالك، ولا تكنْ بكلامك حاكياً لأحوال غيرك.

(عبد الله بن محمد بن منازل)

❖ أصل السياسة قلة الأكل، وقلة النوم، وقلة الكلام، وترك الشهوات.

(أبو يعقوب النهرجوري)

بدايات